عُلُومُ القُرْآنِ

مِنْ خِلالِ

مُقَدِّمَاتِ التَّفَاسِيرِ

الدكتور
محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المجلد الثاني

مؤسسة الرسالة

علوم القرآن

من خلال

مقدمات التفاسير

الطَّبعَةُ الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع وطى المصيطبة - شارع حبيب أبي شهلا- بناية المسكن، بيروت-لبنان
تلفاكس:٣١٩٠٣٩-٨١٥١١٢ فاكس:٦٠٣٢٤٣ص.ب:١١٧٤٦٠

Al-Resalah PUBLISHERS
BEIRUT/LEBANON-Telefax:815112-319039 Fax:603243-P.O.Box:117460
Email:Resalah@Cyberia.net.lb

إهداء

إلى الأمير الشاب

الذي أدرك مبكراً أن الرجولة في الخصال الطيبات

صاحب السمو الملكي

الأمير سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

شكراً وتقديراً ووفاءً

د. محمد صفاء حقي
أبو سلمان

١٢- البحر المحيط في التفسير

لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي
الشهير بأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة٧٤٥هـ

أولاً: التعريف بالمؤلف:

مؤلف البحر المحيط هو الإمام أبو عبد الله أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي الجياني النفزي[١] الشهير بأبي حيان المولود سنة (٦٥٤)[٢].

تلقى أبو حيان البدايات في الكتاتيب وحلقات التعليم في دياره ثم التقى الشيوخ وارتحل بعد أن عرف قدر العلم وفضل أهله، فانتقل من بلد إلى آخر، ومن عالم إلى آخر، يختار الأجلاء، وينتقي الفضلاء، وكان ذلك في وقت مبكر كما يصرح بذلك المصنف نفسه، حين يقول: (وما زلت من لدن ميزت أتلمذ للعلماء، وأنحاز للفهماء، وأرغب في مجالسهم، وأنافس في نفائسهم، وأسلك طريقهم، وأتبع فريقهم، فلا أنتقل إلا من إمام إلى إمام،

---

(١) الجياني، نسبة إلى جيان - بالفتح ثم التشديد، مدينة بالأندلس. معجم البلدان لياقوت: ٢/ ١٩٥ - والنفزي، نسبة إلى نفزة -بكسر النون وسكون الفاء- قبيلة من البربر. انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٨٧ - وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ١٤٥.

(٢) انظر: نفح الطيب للمقري: ٣/ ٢٨٨ - والدرر الكامنة لابن حجر: ٤/ ٣٠٢- وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٨٧ - وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ١٤٥.

ولا أتوقَّلُ إلا ذروة علاّم).[١]

وهكذا جمع من العلم ما حواه صدور شيوخه وأودعها صدره، وإن لقي في ذلك التعب والنصب (فكم صدر أودعت علمه صدري، وحبر أفنيت في فوائده حبري، وإمام أكثرت به الإلمام، وعلاّم أطلت معه الاستعلام.... إلى أن يقول: فجعلت العلم بالنهار سحيري، وبالليل سميري،... أتوسد أبواب العلماء، وأتقصّد أماثل الفُهماء، وأسهر في حنادس الظلام، وأصبر على شظف الأيام وأؤثر العلم على الأهل والمال والولد، وأرتحل من بلد إلى بلد، حتى ألقيت بمصر عصا التسيار، وقلت: ما عبادان من دار.[٢]

يقول الصفدي[٣]: لم أر في أشياخي أكثر اشتغالاً منه، لأني لم أره إلا

---

(١) انظر: البحر المحيط لأبي حيان: ١/ ١١، ويقال: توقُّلاً: صعد، قال ابن فارس: الواو والقاف واللام كلمة تدل على علو في جبل، وتوقل في الجبل: علا، وكل صاعد في شيء متوقِّل. انظر: أساس البلاغة للزمخشري (وقل): ٦٨٦ - ومعجم مقاييس اللغة (وقل): ٦/ ١٣٠ - والقاموس المحيط (وقل): ١٣٨٠ وعلاّم: مبالغة في الوصف بالعلم.

(٢) المصدر السابق: ١/ ١١.

(٣) هو خليل بن أيبك بن عبد اللّه الصفدي، أديب مؤرخ مهتم بالتراجم، رسام خطاط، كتب كثيراً، له الوافي بالوفيات وغيره. توفي (٧٦٤هـ). انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ٢/ ٨٧ - والأعلام للزركلي: ٢/ ٣١٥.

يسمع أو يشتغل أو يكتب، ولم أره على غير ذلك.(١)

ارتحل من دياره (غرناطة) حين وقعت بينه وبين شيخه أبي جعفر بن الزبير واقعة، فنال أبو حيان منه، وتصدى للتأليف في الرد عليه وتكذيب روايته، فرفع أمره إلى السلطان، وأمر بإحضاره والتنكيل به، فاختفى وركب البحر ولحق بالمشرق.(٢)

أجمع المترجمون له على إمامته في فنون عديدة، فهو أستاذ المفسرين وشيخ النحاة بالديار المصرية، والإمام المطلق في النحو والصرف، خدم هذا الفن أكثر عمره، حتى صار لا يدركه أحد، وله اليد الطولى في التفسير والحديث الذي واكب على طلبه حتى أتقنه، وغدا شيخ المحدثين بالمدرسة المنصورية، وشرع في القراءات والأدب والتاريخ والتراجم، واشتهر اسمه وطار صيته، وكان - رحمه الله- شافعياً في الفروع، سالم العقيدة من البدع الفلسفية والاعتزال والتجسيم، يميل إلى مذهب أهل الظاهر، كبير الخشوع عند قراءة القرآن.(٣)

نعته الصفدي بقوله: الإمام العالم العلامة الفريد الكامل، حجة

---

(١) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي: ٥/ ٢٦٧.

(٢) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٨٨ - وشذرات الذهب لابن عماد: ٦/ ١٤٦.

(٣) انظر: نفح الطيب للمقري: ٣/ ٢٩٥ -والدرر الكامنة لابن حجر: ٤/ ٣٠٢ -وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٨٧- وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ١٤٥.

العرب، مالك أزمّة الأدب.[١]

وقال لسان الدين الخطيب: كان نسيج وحده في ثقوب الذهن وصحة الإدراك بعلم العربية، والاضطلاع بعلم العربية والتفسير وطريق الرواية، إمام النحاة في زمانه غير مدافع.[٢]

شيوخه وتلاميذه:

سبقت الإشارة أن أبا حيان تنقل من شيخ إلى شيخ، وارتحل من قطر لآخر، فلقي العلماء، وانتقى الفهماء وقال عن شيوخه: وعدة من أخذت عنهم أربعمائة وخمسون شخصاً، وأما من أجازني فكثير جداً.[٣]

وذكر الرعيني[٤]أن أبا حيان قال: سمعت بغرناطة ومالقة وبلش والمرية وبجاية وتونس والإسكندرية ومصر والقاهرة ودمياط والمحلة و.... وفصل من لقي في كل بلد، ثم قال: وهذه نبذة من شيوخي، وجملة من

(١) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي: ٥/ ٢٦٧ - ونفح الطيب للمقري: ٣/ ٢٨٩.

(٢) انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة للخطيب: ٣/ ٤٣.

(٣) انظر: نفح الطيب للمقري: ٣/ ٣٠٥ - والدرر الكامنة لابن حجر: ٤/ ٣٠٢ - وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ١٤٥.

(٤) هو أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي، نحوي حسن الخلق حلو المحاضرة، له اقتطاف الأزهار والتقاط الجواهر، توفي (٧٣٠هـ). انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ١٥١ - وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ٢٦٠.

سمعت منهم نحو خمسمائة، والمجيزون أكثر من ألف.[١]

وقد فصل الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات[٢] الحديث عن شيوخ أبي حيان، كما ذكر أبو حيان نفسه ثلة منهم في الخطبة التي قدمها بين يدي تفسيره البحر المحيط[٣]، ونقل المقري نصاً طويلاً عن الصفدي في ذلك[٤].

ومن شيوخه:

أبو علي الحسين بن عبد العزيز بن أبي الأحوص ت(٦٧٩هـ)[٥] وأبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي ت(٧٠٥هـ)[٦]، وغيرهم

---

(١) انظره: نفح الطيب للمقري: ٣/ ٣١٥.

(٢) انظره: ٥/ ٢٦٦.

(٣) انظر: البحر المحيط لأبي حيان: ١/ ١٥ وما بعده.

(٤) انظر: نفح الطيب للمقري: ٣/ ٢٨٩.

(٥) هو الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أبي الأحوص القرشي، والمعروف بابن الناظر، قاض حافظ نحوي من فقهاء المحدثين القراء النحاة الأدباء، له شرح المستصفى، توفي (٦٧٩هـ). انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: ١/ ٢٤٢- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١٥٣.

(٦) هو عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدمياطي، مقرئ محدث نسابة إخباري، اشتهر بحفظه وإتقانه، له مصنفات نفيسة منها السيرة النبوية، توفي (٧٠٥هـ). انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: ١/ ٤٧٢ -وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ١٢.

كثير.[١]

وأقرأ أبو حيان الناس، وألحق الصغار بالكبار، وصارت تلامذته أئمة وشيوخاً في حياته، واشتهر اسمه، وطار صيته، وأخذ عنه أكابر عصره، وتقدموا في حياته، وقد كان يرحمه اللّه يختار الأذكياء من طلابه ويوليهم عناية خاصة، ويعظمهم وينوه بقدرهم.

ومن جملة **تلامذته**: الشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي بن تمام السبكي ت(٧٥٦)[٢]، وأحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي المعروف بالسمين ت(٧٥٦هـ) وخلائق لا يحصون كثرة[٣].

مؤلفاته:

مؤلفات أبي حيان كثيرة، انتشرت في حياته وبعد مماته، يقول الحافظ ابن حجر: له التصانيف التي سارت في آفاق الأرض واشتهرت في حياته.[٤]

---

(١) انظر: نفح الطيب للمقري: ٣/ ٢٨٩ -٣٠٧- والدرر الكامنة لابن حجر: ٣/ ٣٠٢ - وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ١٤٥.

(٢) هو تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي الشافعي، مفسر أصولي حافظ لغوي نحوي مقرئ نظار، أخذ عنه كثيرون، له نحو مائة وخمسين كتاباً مطولاً، توفي (٧٥٦هـ). انظر: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: ١/ ٥٥١- وشذرات لابن العماد: ٦/ ١٨٠.

(٣) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٢٨٨ - وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ١٤٦.

(٤) انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ٤/ ٣٠٨.

ولأبي حيان أكثر من خمسين تصنيفاً في فنون العلم المختلفة، وقد سرد المقري أسماءها في كتابه نفح الطيب[1]، أذكر منها:

١) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب.

٢) ارتشاف الضَّرَب من لسان العرب.

٣) عقد اللآلي، منظومة في القراءات السبع.

٤) الأثير في قراءة ابن كثير، قيل: إنه مفقود.

٥) التذييل والتكميل في شرح كتاب سيبويه.

وفاته:

مات أثير الدين شيخ الورى فاستعر البارق واستعبرا

توفي أبو حيان -رحمه اللّه تعالى- بعد أن عمر طويلاً، فتجاوز التسعين، وذلك سنة (٧٤٥هـ)، وقد رثاه الشعراء بمراثي مبكية، كما مدحه الشعراء في حياته وبعد مماته.[2]

---

(١) انظر: نفح الطيب للمقري: ٣/ ٣٠٥- وانظر البحر المحيط، تحقيق الدكتور عبد السميع حسنين: ١/ ١٣٦-١٥٤.

(٢) انظر: نفح الطيب للمقري: ٣/ ٢٩١-و٣/ ٢٩٧- الدرر الكامنة لابن حجر: ٤/ ٣١٠- وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ١٤٧ وينظر للمزيد في ترجمته: الإحاطة في أخبار غرناطة للخطيب: ٣/ ٤٣- والبحر المحيط لأبي حيان (مقدمة المحقق)، تحقيق الدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين: ١/ ١٣٦-١٥٤-والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن=

ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:

كان تصنيف هذا التفسير أمنية طالما اختلج في ذكر المصنف، واعتلج في فكره، وطمح إليه، فكم رجا اللّه أن يوفقه في ذلك، ويبلغه الأمد الذي يتفصد فيه الأديم ويتنغص من رؤيته النديم[١]، قاصداً به وجه اللّه، محتسباً الأجر عليه (فما لمخلوقٍ بتأليفه قصدت، ولا غير وجه اللّه به أردت).[٢]

وحين بلغ السابعة والخمسين من العمر، وانتصب مدرساً للتفسير في قبة السلطان الملك المنصور، شرع في التأليف وتحقيق المراد، فهو إذاً من أواخر ما صنف أبو حيان من التآليف، بل لعله آخر تصانيفه.

وقد اشتهر البحر في حياة المصنف ولقي العناية والاهتمام بعد وفاته من أهل العلم وطلاب المعرفة على شتى العصور، مُذْ ألَّفه أبو حيان إلى يومنا هذا، ولا زال مرجعاً هاماً للمشتغلين بالتفسير واللغة والقراءات، ولا غرو في ذلك ما دمنا علمنا أن تصنيفه كان بعد أن نضج الفكر، واكتمل

=السابع للشوكاني: ٢/ ٢٨٨- وبغية الوعاة للسيوطي: ١/ ٢٨٠- وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٦/ ١٤٥- وطبقات المفسرين للداودي٢/ ٢٨٧ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان لليافعي: ٨/ ٩٠- والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي: ١/ ٥٣٤- ونفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقري: ٣/ ٢٨٨- ٣٣٩ - والوافي بالوفيات للصفدي: ٥/ ٢٦٦.

(١) كناية عن كبر السن.

(٢) البحر المحيط: ١/ ١١.

العقل واستوى على سوقه.

ولأهميته اختصره تلميذه تاج الدين أحمد بن عبد القادر بن مكتوم[(١)] وسماه (الدر اللقيط من البحر المحيط).

سلك أبو حيان في تفسيره مسلك أسلافه الأندلسيين في اعتماد التفسير بالمأثور مع اعتماد الرأي شريطة ألا يخضع للهوى والميل، وشريطة أن لا يخلو من اعتماد أقوال العلماء ضمن قوانين العلم كالنحو واللغة والأصول وغيرها، مع المعرفة التامة باللغة.

وأودع في تصنيفه هذا خلاصة فكره، وحصيلة علمه (عكفت على تصنيف هذا الكتاب، وانتخاب الصفو واللباب، أجيل الفكر فيما وضع الناس في تصانيفهم، وأنعم النظر فيما اقترحوه من تآليفهم، فألخص مطولها، وأحل مشكلها، وأقيد مطلقها، وأفتح مغلقها، وأجمع مبددها، وأخلص منقدها، وأضيف إلى ذلك ما استخرجته القوة المفكرة من لطائف علم البيان، المطلع على إعجاز القرآن).[(٢)]

ويلاحظ القارئ في تفسير أبي حيان تأثره الواضح بثلة من المفسرين،

---

(١) هو أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي، فقيه نحوي لغوي مفسر، تصانيفه كثيرة، توفي (٧٤٩هـ). انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ١/ ١٨٦-وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ٥٢.

(٢) انظر: البحر المحيط: ١/ ١٠.

وأكثرهم تأثيراً فيه الزمخشري وابن عطية، وقد أشار إليهما، وذكر تصنيفهما في الخطبة التي قدمها بين يدي تفسيره، وأثنى عليهما ثناءاً عاطراً، ووصفهما بأنهما فارسا علم التفسير، وممارسا تحريره والتحبير، وأنزل تفسيرهما منزلة الإنسان من العين، والذهب الإبريز من العين، وليلة القدر من الليالي.(١)

وألمح بأنه استدرك عليهما، ووضع تفسيرهما محك النظر وأنه أورى فيهما نار الفكر، حتى خلّص دسيسهما، وبرّز نفيسهما.(٢) كما تأثر بابن جرير الطبري والرازي.

وبالرغم من تصدي المصنف للزمخشري في اعتزالياته، والحمل عليه في انحرافاته، حيث كان له رَصَداً في تأويلاته، ونصرته لمذهبه، وتقحم مرتكبه، وتجشم حمل كتاب اللّه عز وجل عليه، بالرغم من ذلك فقد أنصفه أبو حيان، ولم يغمضه حقه، ولعمري إن الإنصاف حق، والعدل فضيلة حتى مع الخصوم، فرحم اللّه أبا حيان، وأجزل له المثوبة.

هذا وربما يعد البحر المحيط المرجع الأول من بين التفاسير للوقوف على وجوه الإعراب واللغة وإظهار بلاغة القرآن وإعجازه، فقد اهتم المصنف اهتماماً بالغاً بالمسائل اللغوية والخلافيات، كما يعد مرجعاً هاماً للمشتغلين بالقراءات وتوجيهها، المتواترة منها والشاذة.

---

(١) انظر: البحر المحيط: ١/ ٢٠.

(٢) انظر: البحر المحيط: ١/ ٢١.

ولأبي حيان موقف حميد من الإسرائيليات، فقد دعا إلى تركها، وحذر القارئ في مواطن كثيرة من الاغترار بها، وصرح بذلك في مقدمته، وأن اكثرها خرافات وأباطيل لا تتفق مع العقل السليم، والنظر السديد.

أما المقدمة فقد جاءت مع الخطبة التي قدمها المصنف بين يدي تفسيره في ثمان عشرة صفحة من القطع المتوسط، صاغها المصنف صياغة أديب بليغ مجبول على إنشاء النثر، متمكن في اللغة، عارف بأساليب العرب في الكتابة، ذكر فيها منهجه في التأليف، ومصادره وبعض شيوخه في جملة من الفنون، كما تعرض للحديث عن عدة موضوعات من علوم القرآن، أخذ بيان ما يحتاج إليه المفسر من العلوم، والوجوه التي بنبغي النظر منها في كتاب اللّه، الأهمية الأولى، قدم المصنف نفسه من خلالها إلى قرائه، فأثبت أن إقدامه على تصنيف البحر إنما هو إقدام متبحر متسلح، قد ألمَّ بما يحتاجه المفسر، وذلك بذكر شيوخه في كل فن -وجه- والمصنفات التي قرأها في الفن نفسه حتى تمكن منها.

وتلك كانت غاية أبي حيان من ذكره لتلك الوجوه، وإلا فالبحث في هذه المسألة على الخصوص يحتاج إلى مزيد من العناية والاهتمام، وضرب الأمثلة، وبيان مسيس الحاجة للمفسر إلى التعمق في كل وجه من تلك الوجوه، وهو ما لم يفعله المصنف، ولعل ذلك كان وراء التباين بين شهرة التفسير وشهرة المقدمة التي لا تكاد تذكر عند المهتمين بعلوم القرآن.

وقد طبعت المقدمة فيما أعلم ثلاث طبعات:

١) الأولى كانت في مصر سنة ١٣٢٨هـ بمطبعة السعادة على نفقة سلطان المغرب الأقصى عبد الحفيظ ابن السلطان الحسن، وهي كثيرة الأخطاء والتحريف وصورت هذه الطبعة عدة مرات.

٢) طبعة دار الفكر -بيروت- عام١٤١٢هـ بعناية عرفان العشا حسونة وصدقي محمد جميل، وهي الأخرى كثيرة الأخطاء.

٣) طبعة جيدة ومحققة تحقيقاً علمياً دقيقاً للأجزاء الأولى لأستاذنا الدكتور عبد السميع محمد أحمد حسنين، عام ١٤١٣هـ.

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:

أثنى المصنف على الله بما هو أهله، وحمده على توالي نعمائه، ثم صلى على النبي الأكرم الذي صدع بالحق فأرشد إلى الخير، وعلى آله وصحابته.

وصرح أن أهم المعارف هو علم كتاب الله، وأن غيره من العلوم كالأدوات، ثم ذكر الدافع إلى التصنيف، بعدها أخذ يفاخر بالأندلسيين لبراعتهم في علم كتاب الله، ولانفرادهم بالإقراء منذ أعصار دون غيرهم من ذوي الآداب، وذكر أن أفضل كتاب يعين على فهم كتاب الله هو الكتاب لسيبويه.

عقب ذلك تحدث المصنف عن حياته العلمية وكيف كان يختار الشيوخ، وينتقي الفضلاء من أهل العلم، وما لقيه في ذلك من تعب

ونصب وصبر على شظف العيش، وإيثار للعلم على المال والأهل والولد.

ثم شرع في عرض المنهج الذي سلكه، والطريقة التي سار عليها، والجوانب التي اهتم بها في تفسيره لأهميتها، وتلك التي أعرض عنها لنكارتها وبعدها، وأشار إلى ما حوته تفاسير كثير من السابقين عليه من حشو وتطويل كذكر علل النحويين ودلائل مسائل أصول الفقه وأصول الدين، واهتمام بأمور لا ينبغي الاهتمام بها كالأحاديث الواردة في الفضائل والحكايات التي لا تناسب التفسير وتواريخ بني إسرائيل وغيرها مما لا يصح، فعابهم على ذلك، وأكد أن الإحاطة بمعرفة مدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب، وكيفية تركيبها هو المعين على فهم الآيات، أراد بذلك الرد على من ينكر تفسير القرآن بالرأي موقفاً فهمه على المنقول والمروي عن السلف، فخطأ المدعي وانتصر لرأيه في جواز ذلك بالأدلة.

انتقل بعدها ليستعرض مع القارئ العلوم التي يحتاجها علم التفسير، ولينبه على أحسن التأليف فيه، فقال: النظر في تفسير كتاب اللّٰه تعالى يكون من وجوه[1] وذكر سبعة وجوه:

الأول: علم اللغة اسماً وفعلاً وحرفاً.

الثاني: معرفة الأحكام التي للكلم العربية، من جهة إفرادها ومن جهة

---

(١) انظر البحر المحيط: ١/ ١٤.

تركيبها.

الثالث: كون اللفظ - أو التركيب- أحسن وأفصح، ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع.

الرابع: تعيين مبهم وتبيين مجمل، وسبب نزول، ونسخ.

الخامس: معرفة الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، ودلالة الأمر والنهي، وما أشبه ذلك.

السادس: الكلام فيما يجوز على اللّه تعالى ، وما يجب له ، وما يستحيل عليه.

السابع: اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إتيان بلفظ بدل لفظ، وذلك بتواتر وآحاد.

وذكر تحت كل وجه أهم التصانيف فيه، كما صرح باسم من تتلمذ عليه من الشيوخ في كل وجه من تلك الوجوه.

وقال: **فهذه سبعة وجوه لا ينبغي أن يقدم على تفسير كتاب اللّه تعالى إلا من أحاط بجملة غالبها، من كل وجه منها.**(١)

وعاد ليأكد من جديد أن المعرفة بتلك الوجوه لا تكفي لمن أراد

(١) انظر البحر المحيط: ١/١٧.

التعمق في فهم غوامض الكتاب، إذ يستدعي التبحر في علم اللسان.

انتقل بعدها للحديث عن إعجاز القرآن وقرر أن إعجاز القرآن هو كونه في غاية الفصاحة ونهاية البلاغة، ورد زعم من ادعى وقوع الإعجاز بالصرفة، ففند مقولتهم، وأكد أنهم لم يرزقوا من الذّوق ما به يفرقون بين كلام الخلق وكلام الحق، وبين أن عدداً من العرب أسلموا حين سمعوا القرآن وأقروا بإعجازه، وأنه من عند اللّه كأبي ذر الذي سمع من رسول اللّه ﷺ أوائل (فصلت) فأسلم للوقت، وأذعن للدين الجديد، وأن بعضهم عاندوا ولجوا في عنادهم بغياً أن ينزل اللّه من فضله على من يشاء من عباده، كعتبة بن ربيعة، والوليد بن المغيرة، وأن ثلة لم تدرك إعجازه، أو أدرك وعاند كمسيلمة الكذاب وغيره.

عقب ذلك نقل مقطعاً أدبياً من الكشاف للزمخشري يبهر بحسنه الأدباء -كما قال- ويقهر بفصاحته البلغاء، وجعل ذلك شاهداً للزمخشري بأهلية النظر في تفسير القرآن.

ثم استعرض مفسرين أحدهما مشرقي وهو الزمخشري نفسه، والآخر أندلسي هو ابن عطية، فأشاد بهما وأطرى عليهما وعلى تفسيرهما الثناء، وقال: هما من كتب التفسير بمنزلة الإنسان من العين، وليلة القدر من الليالي، ذكر أنه عرضهما على محك النظر، وأورى فيهما نار الفكر حتى استخلص دسيسهما وبرز نفيسهما، وبذلك بين المصنف أنه اعتمد عليهما مصدرين أساسيين له في تفسيره، وهو ما صرح به عقب ذلك.

ثم ذكر أنه اعتمد مصدراً ثالثاً، فأكثر النقل عنه هو التفسير الذي جمعه شيخه ابن النقيب[١] غير أنه لم يثني عليه بل وصمه بأنه كثير التكرير، قليل التحرير، مفرط الإسهاب.

بعد هذا انتقل المصنف ليسند قراءته للقرآن، والطرق التي قرأ بها، وأعلى سند وقع له.

ثم ذكر جملة من المروي في فضائل القرآن وذكر أن أبا عبيد القاسم بن سلام هو من جملة من صنف فيه، أتبعها بروايات تبين فضيلة علم التفسير، وذكر التفسير بالرأي وحمل المروي عن رسول اللّه ﷺ في كونه لم يفسر إلا آياً بعدد، على مغيبات القرآن، وتفسير مجمله وما لا سبيل إليه بتوقيف من اللّه تعالى، كما حمل تخطئة من قال بالرأي ولو أصاب، على تسور القرآن دون النظر في أقوال العلماء وقوانين العلوم.

وانتقل عقب ذلك إلى بيان مراتب المفسرين فذكر من مفسري الصحابة علي ابن أبي طالب، وابن عباس، وابن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد اللّه ابن عمرو بن العاص -رضي اللّه عنهم أجمعين-

وذكر من التابعين الحسن البصري، ومجاهد، وسعيد بن جبير،

---

(١) هو محمد بن سليمان بن الحسن البلخي المقدسي، فقيه مفسر حنفي، له التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير، توفي (٦٩٨هـ) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي: ٢/ ٢١٥ - وشذرات الذهب لابن العماد: ٥/ ٤٤٢.

وعلقمة، والضحاك، وابن مزاحم، والسدي، وأبي صالح - رحمهم اللّه- ثم ذكر مسيرة التفسير من بعدهم.

وجاء الختام ببيان معنى التفسير في اللغة والاصطلاح، شارحاً التعريف الاصطلاحي الذي أطلقه.

وهذا التعريف الاصطلاحي الذي أطلقه أبو حيان اعتمده ثلة من أهل العلم، ولم زالوا يتناقلوه في كتبهم كالآلوسي وغيره.

رابعاً: منهج أبي حيان في مقدمته:

بين المصنف منهجه في التفسير، والترتيب الذي سار عليه في الخطبة التي سبقت الموضوعات التي تعرض لها في مقدمته، وفصل القول في منهجه تفصيلاً دقيقاً، غير أن منهجه في معالجة الموضوعات التي تعرض لها في المقدمة مختلف، ففي العلوم التي يحتاجها المفسر، أو الوجوه التي ينبغي للناظر في كتاب اللّه الإلمام بها، كان منهج المصنف أنه يذكر الفن بعبارة واضحة، ثم يبين بعض المصادر الهامة فيه وأفضل من صنف فيه، يعقب ذلك بذكر شيوخه الذين تلقى عنهم ذلك الفن ليبين أن إقدامه هو إقدام مُلمّ مسلح بما تحتاجه صناعة التفسير[١].

ومن منهج المصنف الاعتماد على المعقول في بعض المسائل، وضرب

---

(١) انظر البحر المحيط: ١/ ١٥ وينظر الوجوه الستة الأخرى.

الأمثلة لتقريب المسألة وذلك لإقناع القارئ بما يريد التأكيد عليه.(١)

ومن منهج المصنف أيضاً بيان مصادره -المكتوبة والمسموعة- التي استقى منها مادة كتابه، كما يذكر من تلقى عنهم العلم وأسانيده في القرآن والقراءات.(٢)

وحين يسوق المصنف الأحاديث والآثار الدالة على فضائل القرآن وتفسيره، فإنه يسردها دون أسانيدها، كما أنه لا يذكر من أخرجها من الأئمة، وقد يعقب على إحداها لبيان معنى مفردة، أو بيان تأويل عبارة.(٣)

بقي أن أشير إلى أن المصنف اعتمد في المقطع الأخير من مقدمته الذي كان عن بيان معنى التفسير كلام ابن دريد وثعلب فيما يخص اللغة، وحين عرَّف التفسير في الاصطلاح شرح مفردات التعريف.

خامساً: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما ذكره في مقدمته:

لقد نهج أبو حيان في البحر نهجاً قويماً، ورسم لطريقه رسماً دقيقاً، والتزم ما ألزم به نفسَه في الغالب، فقد بيّن أنه يبتدأ بالكلام على مفردات الآية لفظة لفظة، ويبين ما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية، والتزم

---

(١) انظر: البحر المحيط: ١/ ١٣-١٨.

(٢) انظر البحر المحيط: ١/ ٢١-٢٢-٢٣.

(٣) انظر البحر المحيط: ١/ ٢٤-٢٥.

ذلك[١]، ويتكلم في التفسير فيذكر سبب النزول للآيات التي لها سبب نزول مع بيان مناسبتها وارتباطها بما قبلها، والتزم ذلك أيضاً[٢]، مثبتاً القراءات شاذها ومستعملها، مع توجيهها والترجيح بينها عدا المتواتر فإنه لا يرجح بينها لاعتبارها على درجة واحدة ما دامت صادرة عن رسول الله ﷺ، ويتحدث عن الواضح والخفي من الكلمات، وهذا الشرط أيضاً التزمه المصنف، فقلما تجد موضعاً من كتاب اللّه في أكثر من قراءة إلا وذكر ذلك المصنف، وأورد القراءة[٣]، حتى الألفاظ المشهورة يذكرها، غير أنه لا يكرر الكلام في لفظة أو آية سبق الحديث فيها، فيكتفي بالإحالة إلى الموضع الذي تم البيان فيه[٤]، كما ينقل أقوال الفقهاء الأربعة في الأحكام الفقهية دون التعمق في ذلك، معتمداً الإحالة إلى كتب الفقه في الغالب، وقد التزم ذلك في التفسير[٥]، مختتماً بالكلام في جملة من الآيات التي فسرت إفراداً وتركيباً بما ذكر أهل العلم فيها من علم البيان والبديع، يتبع آخر الآيات بكلام منثور يشرح مضمون تلك الآيات في عبارة حسنة[٦]، وتجنب أقاويل

---

(١) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٢٥٨-٢٩٣-٥٤٠-٦٣٤-٢/ ٢٧٤-٣١٥-٦٢٢.

(٢) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٧٧-١٦٦-١٩٣-٢٤٥-٤٣٧-٥٦١-٢/ ٣٦٤ -٤٢١-٧١١.

(٣) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٩٥-٣١٣-٤٤٥-٥٨٦-٢/ ٤٤٥-٤٥٨.

(٤) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٢٩٢-٦٢٧-٦٧٥-٧١٢-٢/ ١٨٤.

(٥) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٢٦١-٢٦٤-٥٨٥-٢/ ٣٩٢-٥١٨-.

(٦) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٢٢١-٣٩٩-٤٣٢-٤٧٥-٢/ ٢٧١-٣٦٠-٥١٠.

الصوفية التي يحملونها كلام اللّه، وربما أورد شيئاً من ذلك إن وجد لذلك مناسبة، كما عدل عن ترك كلام الباطنية الملحدين، وكذلك أعرض عن ذكر كثير من الإسرائيليات والحكايات التي لا تتناسب وتواريخ بني إسرائيل[١].

وهكذا يظهر للقارئ أن المفسر قد التزم في تفسيره بما ذكره في مقدمته، ولم يخل بذلك في الجملة.

سادساً: مصادره في المقدمة:

ذكر المصنف في مقدمته أسماء وعناوين مصادر كثيرة، غير أن النقول التي أوردها في المقدمة هي من عشرة مصادر فقط، فهو لم يكثر من النقل، والذين نقل عنهم هم:

أبو جعفر بن الزبير، وهو شيخه، وما أورده هو شيء سمعه منه.[٢]

وأبو بكر الباقلاني من كتابه الانتصار في إعجاز القرآن، هكذا سماه المصنف، واسمه الصحيح: الانتصار في صحة نقل القرآن.[٣]

---

(١) انظر أمثلة ذلك: ١/ ٢٦٠-٣٦٦-٥٢٨.

(٢) انظر البحر المحيط: ١/ ١٧.

(٣) انظر البحر المحيط: ١/ ١٩.

والزمخشري من الكشاف.[١]

و ابن عطية من تفسيره.[٢]

ومحمد بن وهب القشيري.[٣]

وابن النقيب من كتابه التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير.[٤]

وأبو عبد اللّه القاسم بن سلام، والمصنف لم يصرح بالنقل عنه وإن كان قد أورده في معرض النقل عنه[٥]

والإمام البخاري.[٦]

وابن دريد.[٧]

وثعلب.[٨]

---

(١) انظر البحر المحيط: ١/ ١٩.

(٢) انظر البحر المحيط: ١/ ٢٠.

(٣) انظر البحر المحيط: ١/ ١٩.

(٤) انظر البحر المحيط: ١/ ٢٢.

(٥) انظر البحر المحيط: ١/ ٢٣.

(٦) انظر البحر المحيط: ١/ ٢٤.

(٧) انظر البحر المحيط: ١/ ٢٦.

(٨) انظر البحر المحيط: ١/ ٢٦.

سابعاً: أهم المزايا وأظهر المآخذ:

لا يستطيع المرء الحكم على مقدمة أبي حيان ذلك لأن المصنف لم يرد منها ما أراده غيره من جعلها مقدمة تشتمل على ما يلزم المفسر من العلوم والأدوات التي تعينه على تفسير كتاب اللّه، أو تلك التي يلزم القارئ الإلمام بها ومعرفتها قبل قراءة التفسير ليكون على دراية ومعرفة.

وما جاء في هذه المقدمة من الوجوه التي ذكرها المصنف والتي ذكر لزوم معرفتها للناظر في كتاب اللّه، وذكرها المصنف كما سبق أن قلت ليبين أنه آخذ بها قبل الإقدام على طرق باب التفسير.

وعلى العموم فإن من أهم مزايا هذه المقدمة أنها المقدمة الأولى من بين المقدمات التي درستها تقدم تعريفاً اصطلاحياً لعلم التفسير، وهو ما لم يفعله السابقون كما صرح بذلك المصنف نفسه. هذ ما قلته في مقدمة أبي حيان وأستغفر اللّه من التقصير والزلل.

١٣- تفسير القرآن العظيم

للحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى سنة٧٧٤هـ.

أولاً: التعريف بالمؤلف:

مصنف هذا السفر العظيم هو: الإمام القدوة أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن عمر بن كثير بن ضو بن كثير بن ضو بن درع الشافعي الدمشقي[1].

ولد بقرية شرقي بصرى الشام، على رأس المائة الثامنة للهجرة (٧٠٠هـ[2]في أسرة عرفت بالعلم ومدارسة الكتاب، وتربى في حجر أمه الحافظة، وأخيه المعلم كمال الدين عبد الوهاب فكان به وبأخوته رفيقاً، ولهم شقيقاً، بعد أن تيتموا عام (٧٠٣هـ) بفقد والدهم الذي عرف بالعلم

---

(١) (درع) بالدال المعجمة، وفي بعض المصادر: (ذرع)، وفي بعضها (زرع). انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ٤/ ٢٣٧ رقم (٦٣٨) - وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١١١ - وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ٢٣١ -والإمام ابن كثير المفسر للزهراني: ١/ ٣١ (رسالة علمية).

(٢) المصادر التي ترجمت للمصنف اختلفت في تحديد ميلاد ابن كثير، فعند الداودي أنه ولد عام (٧٠١هـ) وذكر ابن حجر والسيوطي وابن العماد أن مولده كان على رأس المائة الثامنة (٧٠٠هـ)، وقيل سنة (٦٩٩هـ) وهذا مستنبط من كون المصنف انتقل إلى دمشق مع أخيه وله سبع سنين سنة ٧٠٦هـ.

واشتهر بالخطابة وقول الشعر، وكان تلميذاً تلقى العلم عن النووي والفزاري وغيرهما.[١]

ولشغف العائلة بالعلم، شدت الأسرة الرحيل إلى حاضرة العلم، ومأوى العلماء، إلى دمشق -وكان قد سبقهم قبل وفاة والدهم أخ لهم يقال له إسماعيل، وتوفي بها وهو يطلب العلم فسمي المصنف باسمه لحب الوالد لولده -واستقرت الأسرة هناك بعد وفاة والدهم بأربع سنين عام (٧٠٦هـ)، وكان أبو الفداء حتى ذلك العهد يتلقى أبجديات العلم على يد أخيه وأستاذه عبد الوهاب، حتى إذا اشتد عوده دفعه الأخ إلى حلقات العلم فانتظم فيها، وعرفته أزقة دمشق طالب علم مجد ومثابر، كما عرفته المساجد ودور المعرفة عابداً ومجتهداً.

حفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز الحادية عشرة من العمر،[٢] وأقبل على حفظ المتون ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ حتى برع في ذلك وهو لا يزال في ريعان الشباب، فحفظ التنبيه وله ثمان عشرة سنة[٣] وحفظ مختصر الحاجب[٤] وسمع بدار الحديث الأشرفية نحواً من خمسمائة

---

(١) انظر: البداية والنهاية للمصنف: ١٤/ ٣٢.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ١٤/ ١٥٠.

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ١٤/ ١٠٧.

(٤) انظر: شذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ٢٣١.

جزء بالإجازات والسماع في الحديث على الشيخ ابن الشحنة[١]، وصنف في صغره كتاب (الأحكام على أبواب التنبيه)[٢] ولنبوغه -يرحمه اللّه- تصدر أقرانه، وفاق خلانه، حتى أعجب الشيوخ به وترجموا له وأثنوا عليه في حياته، وتلك مكرمة لا تحصل إلا لقلة من الناس.

شيوخه وتلامذته:

لقد اختير للحافظ ابن كثير - يرحمه اللّه- حاضرة من حواضر العلم، ومرتعاً من مراتع المعرفة وأرضاً بورك فيها، يشد العلماء الرحال إليها، والمقام بها، ويأنس الطلبة بسكناها، ويحلو لهم العيش بين أحضانها، فلا غرو أن تحفل تلك الدوحة (دمشق) بجمع غفير من أهل العلم كالذهبي والمزي وابن عساكر وغيرهم من الذين علت همتهم، وعرفوا فضل المدينة وسكناها.

لقد تلقى الحافظ أبو الفداء العلم على يد صفوة من علماء دمشق في وقتٍ نشطت فيه الحركة العلمية نشاطاً ملموساً في شتى الفنون والمعارف، ومن هؤلاء:

عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري الشهير بابن الفركاح[٣]، وأحمد بن

---

(١) انظر: البداية والنهاية: ١٤/ ١٥٠.

(٢) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ١١٢.

(٣) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري، عالم بالعربية والفقه والأصول، انتهت=

أبي طالب الحجار، المعروف بابن الشحنة[1]، وغيرهم كابن عساكر وابن قاضي شهبة، والمزي.[2]

أما تلاميذه فقد ذكر في البداية والنهاية[3] أنه كان للحافظ ابن كثير في اليوم الواحد ستة مواعيد تقرأ عليه، أولها بمسجد هشام بكرة قبل طلوع الشمس، ثم تحت النسر[4]، ثم بالمدرسة النورية، وبعد الظهر بجامع تنكز، ثم بالمدرسة العزية، ثم بالكوشك... إلى أذان العصر، ثم بعد العصر بدار ملك الأمراء أمير علي، بمحلة القضاعين إلى قريب الغروب، ويقرأ صحيح مسلم بمحراب الحنابلة.

وهذا النص خير دليل على كثرة التلاميذ الذين وردوا هذا النبع الصافي حتى ارتووا وشنفوا الآذان بالسماع، ومن أولئك المشاهير الذين

=إليه معرفة المذهب الشافعي، له التعليقة على التنبيه، توفي (٧٢٩هـ). انظر: البداية والنهاية: ١٤/ ١٤٦- وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ٨٨.

(١) هو أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن الحجار بن الشحنة، محدث انفرد بالرواية عن الحسن الزبيدي، قيل: كان بين سماعه للصحيح وموته مائة سنة، توفي (٧٣٠هـ). انظر: البداية والنهاية: ١٤/ ١٥٠- والدرر الكامنة لابن حجر: ١/ ١٤٢.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير: ١٤/ ١٣١-١٨٥-١٩١-٢٢٥- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١١٢- وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ٢٣١.

(٣) البداية والنهاية: ١٤/ ٣١٢.

(٤) اسم قبة في الجامع الأموي في دمشق.

تلقوا عن ابن كثير:

الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجي الحسباني ت(٨١٦هـ)[١]، وبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي ت(٧٩٤هـ)[٢]، ومحمد بن محمد بن محمد الجزري صاحب النشر ت(٨٣٣هـ)[٣] وغيرهم.

مؤلفاته:

يقول ابن حبيب عن الحافظ ابن كثير: سمع وجمع وصنف.. وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد[٤]. ويقول الحافظ ابن حجر: سارت تصانيفه في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته.[٥]

لقد صنف ابن كثير العديد من المصنفات اشتهرت فانتشرت حتى اعتمد عليها في بابها كالتفسير والتاريخ والحديث والسيرة وغير ذلك.

---

(١) هو أحمد بن علاء الدين حجي بن موسى الحسباني ، محدث حافظ مؤرخ، ويضرب به المثل في جودة ذهنه وحسن أبحاثه، له الدارس في أخبار المدارس وغيره، توفي (٨١٦هـ).
انظر: الضوء اللامع للشوكاني: ١/ ٢٧٠- وشذرات الذهب لابن العماد: ٧/ ١١٦.

(٢) انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ٣/ ٣٩٧- وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ٣٣٥.

(٣) انظر: الضوء اللامع للشوكاني: ٩/ ٢٥٥- وشذرات الذهب لابن العماد: ٧/ ٢٠٦.

(٤) انظر: شذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ٢٣١.

(٥) انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ١/ ٣٧٤.

ومن مصنفاته:

١) البداية والنهاية، موسوعة تاريخية ضخمة تابع المصنف فيها الأخبار، وطبعت مراراً وتكراراً.

٢) التفسير، وهو موضوع الباب.

٣) تهذيب الكمال لابن الصلاح، طبع باسم (الباعث الحثيث) علق عليه الأستاذ أحمد محمد شاكر.

٤) السيرة النبوية: ذكر أنها صغيرة، غير أن الأستاذ مصطفى عبد الواحد انتزع السيرة من البداية والنهاية وأخرجها محققة، وأخبر أن المصنف قد ضمها إليه - أي إلى التاريخ -[١].

٥) أحاديث التوحيد والرد على أهل الشرك.[٢]

٦) الاجتهاد في طلب الجهاد. وغير ذلك[٣]

---

(١) انظر: مقدمة السيرة النبوية لمصطفى عبد الواحد: ١/ ١٢.

(٢) انظر: الإمام ابن كثير المفسر للزهراني: ٧٢، رسالة علمية جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

(٣) لمعرفة المزيد من مصنفات الحافظ يراجع: البداية والنهاية: ١٠/ ٢٥١- والدرر الكامنة لابن حجر: ١/ ٣٧٣- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١١٢- وكشف الظنون لحاجي خليفة: ٢/ ١١٠٥- والإمام ابن كثير المفسر للزهراني: ٥٨- ٨٥- وشذرات الذهب=

عقيدة الحافظ ابن كثير ومكانته العلمية:

الحافظ ابن كثير علم من أعلام السلف المشهود لهم بحفظ المتون وكثرة الاستحضار، وسلامة العقيدة، ونصرة مذهب السلف في الأصول والفروع، وارتضاء ذلك قولاً وعملاً، والأدلة على ذلك كثيرة امتلأت بها مصنفات الحافظ -يرحمه الله- ولا يعجز الباحث من الوقوف على المزيد منها بيسر وسهولة.

وقد كانت لعلاقة الحافظ بشيخ الإسلام ابن تيمية وتلمذته على يده الأثر البالغ في توجهه السلفي، وتصديه لأهل الزيغ والضلال من الملل والنحل في تلك الفترة التي ظهرت فيها البدع والمنكرات، وكثرت حتى افتتن الناس في دينهم، فقيّض اللّه لنصرة الحق علماء عاملين، بالحق ناطقين، نافحوا عن دين اللّه، وبينوا انحراف الضالين وتأويل المبطلين، وكان منهم الحافظ ابن كثير، فقد نافح عن شيخه ابن تيمية - الذي كان رمزاً للتصدي للباطل -وارتضى كثيراً من آرائه حتى امتحن بسبب ذلك وأوذي.(١)

ولقد حظي الحافظ بمكانة مرموقة عند أهل عصره، فشهدوا له بعلو

=لابن العماد: ٦/ ٢٣١- ومقدمة السيرة النبوية للدكتور مصطفى عبد الواحد: ١/ ١٢.

(١) انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ٤/٢٣٨- وطبقات المفسرين للداودي: ١/١١٣- وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ٢٣٢.

الكعب، ولقيت أقواله القبول عند أهل العلم، وأجمعوا على حبه، والثناء عليه وعلى علمه وسلامة عقيدته، ولهذا تسلم مشيخة دور العلم المشهورة في دياره كدار الحديث الأشرفية وغيرها[١] والتدريس في مدارس عديدة كالتنكزية الكبرى[٢] والنورية الكبرى[٣] والمدرسة النجيبية[٤] والجامع الأموي[٥]، كما اسندت إليه الخطابة في جوامع عديدة[٦].

كل هذا الأمر دفع شيخه الذهبي ليترجم له ويثني عليه ثناءً حسناً، وهل هناك شرف يعدل هذا الشرف، شيخ يترجم للتلميذ ويقول عنه: إمام محدث بارع، فقيه متفنن، ومفسر نقاد، له تصانيف مفيدة[٧].

لقد كثرت النصوص التي بينت مكانة الحافظ ابن كثير وتواترت، ومن تلك النصوص: ما نعته به تلميذه الوفي الحافظ ابن حجي بقوله: كان أحفظ من أدركناه لمتون الحديث وأعرفهم بتخريجها ورجالها، وصحيحها وسقيمها، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك، وكان يستحضر شيئاً

---

(١) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ١١٢.

(٢) انظر: البداية والنهاية: ١٤/ ١٣٣.

(٣) انظر: البداية والنهاية: ١٤/ ٣١٢

(٤) انظر: البداية والنهاية: ١٤/ ١٧٣.

(٥) انظر: البداية والنهاية: ١٤/ ٣٢١.

(٦) انظر: البداية والنهاية: ١٤/ ٢٦٣.

(٧) انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ١/ ٣٧٤- وإنباه الغمر له: ١/ ٤٦.

كثيراً من الفقه والتاريخ، قليل النسيان، وكان فقيهاً صحيح الذهن يحفظ التنبيه إلى آخر وقت، وشارك في العربية مشاركة جيدة.(١)

كما وصفه ابن حبيب بقوله: اشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير.(٢)

ونعته الداودي: بقدوة العلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ.(٣)

ناهيك عن ثناء الأعلام المتأخرين الذين وقفوا على خلاصة علم المتقدمين فأقروا للحافظ بالفضل والرسوخ في المعقول والمنقول، وكتب التراجم تزخر بكم هائل من النصوص التي تبين علو كعب المصنف، وسمو فكره، وسلامة عقيدته.

وفاته:

في يوم الخميس، السادس والعشرين من شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة (٧٧٤هـ) سلم الحافظ ابن كثير الروح إلى بارئها، وفاضت بعد حياة مليئة بالجد والاجتهاد والجهاد، ونشر النور والعلم وتبديد الظلمات،

---

(١) انظر: طبقات الشافعية لابن شهبة: ٤/ ٢٣٨- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١١٢.

(٢) انظر: إنباه الغمر بأبناء العمر لابن حجر: ٣/ ٤٦- وشذرات الذهب لابن العماد: ٦/ ٢٣١.

(٣) انظر: طبقات المفسرين للداودي: ١/ ١١٢.

فقد فيها البصر غير أنه بقي بصيراً يذكر اللّه إلى آخر نفس، ودفن إلى جانب شيخه وقدوته شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمهما اللّه رحمة واسعة، وجزاهما عنا وعن المسلمين خير الجزاء(١).

ثانياً: التعريف بالتفسير والمقدمة:

يعد تفسير الحافظ ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) من أكثر التفاسير انتشاراً واعتباراً في عصرنا الراهن، عند الخاصة والعامة، فقد حبا اللّه المصنف قوة في الفهم، وسداداً في الرأي، واعتباراً في الحجة، إضافة إلى سلامة المنهج ووضوح الطريقة وجزالة العبارة، كل ذلك كانت أسباباً جعلت لهذا التفسير الاعتبار والقبول والاستمرارية.

فحين تعددت ألوان التفسير، وسلك المتقدمون فيه مذاهب متنوعة، ووجدت التفاسير الطوال التي امتلأت بالخلافيات في شتى الألوان،

---

(١) انظر: الدرر الكامنة لابن حجر: ١/ ٣٧٤- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١١٣.

وينظر للمزيد في ترجمته: إنباه الغمر بأبناء الغمر لابن حجر: ١/ ٤٥- والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني: ١/ ١٥٣- والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي: ٣٦- والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر: ١/ ٣٧٣- وذيل تذكرة الحفاظ، للسيوطي: ٤/ ٣٦١- والسيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٤-١١- وشذارت الذهب لابن العماد الحنبلي: ٦/ ٢٣١- وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ٤/ ٢٧٣- وطبقات المفسرين للداودي: ١/ ١١١-١١٣- والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي: ١١/ ١٢٣.

وعجزت الهمم عن متابعة ذلك، اتجه جماعة من أهل العلم استشعروا وعورة الطريق، إلى سلوك طريق مختصر لتأويل كتاب اللّه، وبيان معاني ألفاظه، متوسطين في ذلك، جامعين بين المأثور والرأي، فكان الحافظ واحداً من هؤلاء الذين ارتضوا هذا النهج، بل **يعد فارس هذه الحلبة، ورائد هذه الكتيبة.**(١)

لقد قدم الحافظ ابن كثير تفسيراً جمع فيه المأثور من بيان رسول اللّه ﷺ وصحابته والتابعين، وبين ما توصل إليه من إعمال الرأي، المعتمد على اللغة وفهم السلف، في مباحث هامة تحدث عنها العلماء، فقهية كانت أو نحوية أو لغوية، أو غيرها من المسائل التي لها صلة بتوضيح الآيات والمعاني، بعبارة سلسة، وألفاظ مختارة، ولعله هو الأمر الذي دفع السيوطي ليقول: له تفسير لم يؤلف على نمطه مثله.(٢)

وهو الأمر الذي جعل الشوكاني يقول: جمع فيه فأوعى، ونقل المذاهب والأخبار والآثار وتكلم بأحسن كلام وأنفسه، وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها.(٣)

ولأهميته عند أهل العلم اتجهت الأنظار قديماً وحديثاً لاختصاره

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، مقدمة التحقيق: ١/ ٦.

(٢) انظر: ذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي: ٤/ ٣٦١.

(٣) انظر: البدر الطالع للشوكاني: ١/ ١٥٣.

وتجريده من بعض ما ينبغي، ففي النصف الثاني من القرن الثامن اختصره سعيد بن محمد بن مسعود الكازروني، وسماه (البدر المنير)[١]، وفي عصرنا الحالي وجدت ثلاثة مختصرات للكتاب، اختصره الأستاذ أحمد شاكر وسماه (عمدة التفسير من الحافظ ابن كثير) غير أنه لم يتمه[٢]، واختصره الشيخ محمد علي الصابوني، ولقي شهرة واسعة، غير أن موقف المختصر من بعض المسائل العقدية جعل طلبة العلم يصدون عنه، ويفضلون اختصار الشيخ نسيب الرفاعي المسماة (تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير).

ولأهميته أيضاً لقي هذا التفسير عناية خاصة من الأكادميين في الجامعات فسجلت فيه وحوله عدة رسائل علمية.

بقي أن أشير إلى أن الحافظ ابن كثير قد تأثر بشيخ هذا الفن ابن جرير الطبري تأثراً ملحوظاً وإن اختار منهجاً مغايراً، ورد على بعض آرائه وناقشها مناقشة جادة، كما تأثر بالحافظ جل المفسرين الذين جاؤوا من بعده كأبي السعود والآلوسي والقاسمي والشنقيطي وسيد قطب وغيرهم.

---

(١) هو سعيد بن محمد بن مسعود الكازروني، محدث، شرح صحيح البخاري وغيره، توفي (٧٨٥هـ) انظر: الأعلام للزركلي: ٣/ ١٠١- ومعجم المؤلفين لرضا كحالة: ٤/ ٢٣١- وبروكلمان: ٢/ ٦٠.

(٢) طبع في مصر وصدر عن دار المعارف في خمسة أجزاء.

ويمتاز هذا التفسير بأن الحافظ يفسر القرآن بالقرآن، ثم بالسنة، ثم بأقوال الصحابة والتابعين، فإن لم يجد التجأ إلى إعمال الرأي المؤيد باللغة، وهو يمحص الروايات والأخبار في كل ذلك، وينتقد البعيد المتكلف، كما يحكم على الأحاديث والآثار ويبين درجتها في الغالب.

ينتصر المصنف لمذهب السلف، ويعرض عن الإسرائيليات وإن ذكر بعضاً من القسم المسكوت عنه فإنه إنما يذكرها للاستشهاد لا للاعتقاد، ويصرح بأن غالب ما في هذا النوع لا فائدة فيه يعود إلى أمر ديني.(١)

كما أنه لا يتوانى عن ذكر أسباب النزول، فيسرد الروايات، ويختار الراجح منها، ويذكر المسائل الفقهية بإيجاز دون إسراف أو تطويل.

وقد نبه الحافظ في خطبة كتابه إلى أهمية تفهم كتاب اللّه مصداقاً لقوله تعالى ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ [النساء: ٨٢] وعليه فإن العلماء مطالبون بالكشف عن معاني كلام اللّه، وتفسيره وتعليمه وتعلمه، وتبصير الناس بها، وهو أمر يستدعي معرفة أحسن الطرق الموصلة إلى السداد في القول، لأجل هذا خص المصنف مقدمته لبيان تلك الطرق.

وقد جاءت المقدمة مع خطبة الكتاب في سبع صفحات من القطع

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/ ١٤.

الكبير، وهي ليست طويلة إذا ما قورنت بمقدمات أسلافه الطبري وابن عطية وغيرهما، على خلاف ما ذكر الذهبي من أنه قدم لتفسيره مقدمة طويلة هامة.[١]

كما أنها ليست شاملة كمقدماتهم، ولعل المصنف لم يرد ما أراده السابقون من تقديم أبحاث بين يدي تفاسيرهم تتضمن ما يجب على طالب التفسير معرفته قبل البدأ في التفسير، فقد اكتفى الحافظ ببيان أحسن طرق التفسير، وما يتعلق بذلك من المسائل.

كما رأى الحافظ أن يلحق بالتفسير كتاباً ألفه في فضائل القرآن، مقتدياً بالبخاري -رحمه اللّه- الذي أخر كتاب الفضائل عن كتاب التفسير في «صحيحه»، ثم عدل عن رأيه ووجد أن تقديم الفضائل على التفسير هو الأولى، وهو ما عمد إليه في آخر نسخة مخطوط من كتابه، وهي في مكتبة الحرم المكي برقم [(٩٠) تفسير]كتبت في عصر المؤلف وقبل وفاته كما هو ثابت في التاريخ الذي في آواخر الأجزاء[٢].

يقول المصنف في «ص١١» من المخطوط المذكور على ما ذكره الأستاذ الزهراني:

وذكر البخاري -رحمه اللّه- كتاب فضائل القرآن بعد كتاب التفسير

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي: ١/ ٢٤٤.

(٢) انظر: الإمام ابن كثير المفسر للزهراني: ١٨٧.

لأن التفسير أهم، ولهذا بدأ به، ونحن قدمنا الفضائل قبل التفسير، وذكرنا فضائل كل سورة قبل تفسيرها ليكون باعثاً على حفظ القرآن وفهمه، والعمل بما فيه، والله المستعان.(١)

وأعود إلى المقدمة فأقول: إن الذهبي ذكر أن الحافظ ابن كثير اعتمد في مقدمته كتاب شيخه ابن تيمية، فقال: وأغلب هذه المقدمة مأخوذ بنصه من كلام شيخه ابن تيمية الذي ذكره في مقدمته في أصول التفسير.(٢). وما قاله حقيقة فما جاء في هذه المقدمة هو بتمامه من كلام شيخه، ولا غرو في ذلك فإن الحافظ -كما سبق أن ذكرت- قد تأثر بابن تيمية في كثير من آرائه حتى أوذي بسبب ذلك، كما أن ما كتبه ابن تيمية في مقدمته يعتبر من أهم ما كتب في هذا الباب على الإطلاق(٣).

وقد طبعت المقدمة مع أصل الكتاب طبعات عديدة أذكر منها:

١) طُبع بهامش تفسير (فتح البيان في مقاصد القرآن) لأبي الطيب صديق حسن القنوجي - المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٠١هـ في ستة مجلدات.

٢) طبعة دار إحياء التراث العربي، عيسى البابي الحلبي، قوبلت على

---

(١) انظر: الإمام ابن كثير المفسر للزهراني: ١٩٠-١٩١.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون للذهبي: ١٨٧.

(٣) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، مقدمة المحقق الأستاذ عدنان زرزور: ١٦.

عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية، وصححها نخبة من العلماء، في أربعة أجزاء، وقد صورت هذه الطبعة مراراً.

٣) طبع بعناية الأستاذ محمد رشيد رضا، وبأسفله تفسير البغوي، عام ١٣٤٣هـ وصدر بمطبعة المنار على نفقة الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه اللّه- في تسعة مجلدات.

٤) طبعة مطابع الفجالة الجديدة -مصر ١٣٨٤هـ بعناية ونشر الشيخ عبد الشكور فدا، صاحب مكتبة النهضة الحديثة بمكة، في أربعة مجلدات.

٥) طبعة دار الفكر -بيروت ١٣٨٥هـ في سبعة مجلدات، وأعيد طباعتها عام ١٣٨٩هـ الطبعة الثانية، وألحق بها فضائل القرآن.

٦) طبعة دار المعرفة -بيروت ١٣٨٨ - و١٤٠٦هـ في أربعة مجلدات وهي الأكثر انتشاراً بين الناس.

٧) طبعة دار الشعب -القاهرة ١٣٩١هـ- في أربعة مجلدات بتحقيق: عبد العزيز غنيم، ومحمد أحمد عاشور، ومحمد إبراهيم البنا، وهي من أجود الطبعات.

٨) طبعة دار الأرقم للنشر والتوزيع في أربعة مجلدات -الكويت ١٤٠٥هـ، خرج أحاديثه الشيخ مقبل بن هادي الوادعي.

٩) طبعة مكتبة العبيكان بالرياض ، قدم له أستاذي القدير الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع.

ثالثاً: عرض موضوعات المقدمة:

ذكرت فيما سبق أن الحافظ حصر مقدمته على بيان أحسن طرق التفسير، وأنه أخذها برمتها من كتاب شيخه ابن تيمية (**مقدمة في أصول التفسير**)، وإن كان قد أسقط منها بعض الجمل.

أسبق المصنف المقدمة بخطبة بين يدي تفسيره، حمد فيها اللّه منزل الكتاب على خاتم النبيين، المرسل إلى جميع الثقلين بشيراً ونذيراً، فندبهم إلى تدبر معاني كلامه وتفهمه ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ [النساء: ٨٢] ومقتضى هذا الندب أن ينصرف العلماء إلى الكشف عن تلك المعاني، وتعلمه وتعليمه، وإلا كانوا كمن ذمهم اللّه من أهل الكتاب في قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

ولفهم كتاب اللّه على الوجه الصحيح كان على المفسر أن يعلم أحسن الطرق المؤدية لذلك، وهو الموضوع الذي ضمَّنه المفسر مقدمته.

يرى الحافظ ابن كثير تبعاً لشيخه ابن تيمية -رحمه اللّه- أن أصح الطرق هو تفسير القرآن بالقرآن، يليه تفسير القرآن بالسنة لكونها شارحة وموضحة له، فإن لم يجد المفسر مراده في الكتاب ولا في السنة رجع إلى

أقوال الصحابة -رضي اللّه عنهم - واعتمد فهمهم له، نظـراً لما شاهدوه من القرائن والأحوال، ولما لهم من الفهم التام والعلـم الصحيـح، وخاصـة كبراؤهم كابن عباس وابن مسعود وغيرهم. وأورد لذلك الأدلة والأمثلة.

بعدها عرج المصنف على ما نقل عن بعضهم في كونهم حكوا بعـض أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول اللّه ﷺ بقولـه: « بلغـوا عـني ولـو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج... » الحديـث.[1] فبـين أن الروايـة الإسرائيلية ثلاثة أقسام، بينها وبين الموقف منها قبولاً ورفضاً.

انتقل الحافظ بعد ذلك ليبين حكم تفسير التابعي، فذكر أولاً أن كثيراً من الأئمة يرجعون إلى أقوال التابعين كمجاهد الذي عرض المصحف على ابن عباس ثلاثاً يسأله عن كل آية، وكسعيد بـن جبير وعكرمـة وغـيرهم، مؤكداً أن اختلافهم في كثير مـن الأحـايين هـو اختـلاف تنـوع لا اختـلاف تباين، وقرر عقب ذلك أن قول التابعي لا يكون حجة على من خالفهم إلا إذا أجمعوا على الشيء فحينئذٍ لا يرتاب في يكونه حجة.

ثـم تعـرض للتفسـير بـالرأي، وأوضـح أن التفسـير بمجـرد الـرأي، والتكلم في كتاب اللّه بما لا علم له به حرام غير جائز، وهو الـذي ورد فيـه التحذير والوعيد في أحاديث كثيرة، وتحرج السلف من القول في كتاب اللّـه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسـرائيل. البخـاري مع الفتح: ٦/ ٤٩٦.

لذلك، أما التكلم من الذي يعلم اللغة والشرع فواجب لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] ولقوله ﷺ: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[١]، ولهذا رأينا لأولئك الذين تحرجوا من القول في بعض المواطن أقوالاً عديدة.

وقبل أن يختم ضعّف المروي عن السيدة عائشة - رضي اللّه عنها- في كون النبي ﷺ لم يفسر إلا آياً بعدد. وقال: حديث منكر غريب. وختم ببيان أوجه التفسر الأربعة المنسوبة للحبر ابن عباس رضي الله عنه.

رابعاً: منهج ابن كثير في مقدمته:

من مناهج ثلة من القدماء في التأليف أنهم إذا وقفوا على تحرير لأحد السابقين من أهل العلم في مسألة من المسائل العلمية، وارتضوا ذلك وتبنوه، نقلوه بنصه في تآليفهم وكتبهم، سواء أشاروا إلى ذلك كما فعل القرطبي الذي رأى أن من بركة العلم عزو القول إلى قائله، أم لم يشيروا كما فعل المصنف الحافظ ابن كثير في مقدمته التي بين أيدينا، ولا نشك أن منهج الأول أسلم، وإن كان المنهج الآخر لم يلقَ النكير من أهل العلم، وبخاصة إذا كان المنقول عن شخص له اتصال مباشر بالناقل، كما هو الحال بالنسبة للحافظ وشيخه ابن تيمية، حينئذ يكون الأمر غير خاف على الذين وضع الحافظ ابن كثير كتابه لهم.

---

(١) سبق تخريجه.

مهما يكن الأمر فإن الحافظ ابن كثير اتبع المنهج النقلي في مقدمته، فنقل جلّ ما جاء في مقدمة شيخه في هذا الموضوع، وإن أعمل قلمه في حذف اليسير من الآثار، كما أضاف إضافات خفيفة رأى أن من الأهمية ذكرها.

ومن الذي أسقطه أثران أوردهما ابن تيمية في معرض حديثه عن تفسير التابعي، الأول منهما ورد عن قتادة، وجاء معترضاً أخبار مجاهد، فربما أسقطه الحافظ لأجل ذلك.

والآخر كان من أخبار مجاهد نفسه.

أما الإضافات، فقد أضاف بعض الروايات الدائرة حول التفسير بالرأي، واستدرك على شيخه ابن تيمية ما رواه ابن جرير بسنده عن السيدة عائشة -رضي الله عنها- قالت: ما كان النبي ﷺ يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً تعد علمهن إياه جبريل عليه السلام.[1] وتكلم عن سند الرواية، كما نقل كلام ابن جرير عنها.

خامساً: بيان مدى التزام المصنف في تفسيره بما جاء في مقدمته:

لم يتحدث ابن كثير في مقدمته عن المنهج الذي سيسلكه في تفسيره، ولا ألزم نفسه بشيء حتى يستطيع المرء الحكم عليه، وبيان مدى التزامه.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/١٠٣١٨ وسيأتي تخريج الأثر.

سادساً: مصادره في مقدمته:

المصدران المعتمدان للحافظ ابن كثير في مقدمته هما كتاب شيخه ابن تيمية (مقدمة في أصول التفسير) الذي لم يصرح بالرجوع إليه والتعويل عليه، والمصدر الثاني تفسير ابن جرير الطبري الذي نقل عنه يسيراً.

وقد أملى ابن تيمية مقدمته من فؤاده، دون الرجوع إلى مرجع محدد - كما ذكر ذلك[١] - غير أنه أورد أقوالاً لأهل العلم في المسائل التي عالجها، وكان جلّ اعتماده على ابن جرير[٢] وأبي عبيد القاسم بن سلام[٣] وغيرهما.

سابعاً: أهم المزايا، وأظهر المآخذ:

لعل من **أهم مزايا** مقدمة الحافظ ابن كثير أنها عالجت الموضوع المطروق معالجة جادة، وجاءت وافية كافية في بابها.

أما **أظهر المآخذ عليها**، فتكمن في أنها لم تعالج إلا موضوعاً واحداً من موضوعات علوم القرآن الكثيرة التي يحتاج المفسر الوقوف عليها والإلمام بها، كما أن الحافظ ابن كثير لم يأتِ بشيء جديد يضيفه إلى كلام شيخه ابن

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٣٥.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/ ١٣-١٥-١٦-١٧.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/ ١٦-١٧.

تيمية في الموضوع نفسه، عدا تلك الإضافة اليسيرة الـتي ذكرتهـا مـن قبـل.
هذا ما علمته، والله أعلم.

الباب الثالث

الموضوعات التي تناولتها مقدمات التفاسير

الموضوع الأول: نزول القرآن

الموضوع الثاني: جمع القرآن وترتيبه

الموضوع الثالث: رسم المصحف ونقطه وشكله ووضع الأخماس والأعشار

الموضوع الرابع: سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه

الموضوع الخامس: أسماء القرآن وأسماء سوره

الموضوع السادس: فضائل القرآن وخواصه وآداب تلاوته

الموضوع السابع: المكي والمدني

الموضوع الثامن: التفسير والتأويل

الموضوع التاسع: بيان شرف التفسير والحاجة إليه

الموضوع العاشر: أوجه التفسير وطرقه وأنواعه

الموضوع الحادي عشر: العلوم التي يحتاجها المفسر

الموضوع الثاني عشر: مراتب المفسرين

الموضوع الثالث عشر: الاختلاف بين المفسرين وقواعد الترجيح

الموضوع الرابع عشر: الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن

الموضوع الخامس عشر: الظهر والبطن والحد والمطلع

الموضوع السادس عشر: ما وقع في القرآن بغير لغة العرب

الموضوع السابع عشر: الوقف والابتداء

الموضوع الثامن عشر: إعجاز القرآن

الموضوع الأول

نزول القرآن

تناول هذا الموضوع في مقدمة تفسيره عبد الرزاق الصنعاني[١]، وابن الجوزي[٢]، والخازن[٣]، وابن جزي[٤].

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: في اليوم الذي أُنزل فيه القرآن[٥]:

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٦٠.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٥-٦.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ١٠.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٦.

(٥) ذكر ابن القيم وغيره أن القرآن نزل يوم الاثنين، من غير خلاف بين العلماء في ذلك، وزاد البلقيني فقال: نهاراً، فقد سئل رسول اللّه ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب: استحباب صيام ثلاثة أيام: ٢/ ٨١٩، عن صوم يوم الاثنين، فقال: ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بُعثتُ «أو أنزل عليّ» فيه.

أما الشهر الذي أنزل فيه فقد اختلف العلماء في تحديده، فقيل: رمضان، وقيل: رجب، وقيل: ربيع الأول. والراجح أنه رمضان، قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن﴾ [البقرة: ١٨٥] وقال تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر: ١] وقال تعالى: ﴿إنا إنزلناه في ليلة مباركة﴾ [الدخان: ٣]،قال العلماء: كان ابتداء نزول القرآن في=

روى عبد الرزاق بسنده قال: حدثنا معمر عن أبان بن أبي عياش عن أبي العالية قال: نزلت الصحف في أول يوم من شهر رمضان، ونزلت التوراة لست، ونزل الزبور لاثني عشر منه، ونزل الإنجيل لثمان عشرة، ونزل الفرقان لأربع وعشرين من شهر رمضان.(١)

المسألة الثانية: في كيفية إنزاله:

أنزل الله القرآن المجيد من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليلة القدر

= ليلة القدر من شهر رمضان. انظر في ذلك: طبقات ابن سعد: ١/ ١٩٤ - وزاد المعاد لابن القيم: ١/ ٧٧ - والسيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي: ١/ ٢٣٧ - والسيرة الشامية للصالحي: ٢/ ٣٠٣ - وفتح الباري لابن حجر: ١٢/ ٣٥٦ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ١/ ٢٥٠ تحقيق محمد صفاء حقي.

(١) تفسيره: ١/ ٦ وأبان بن أبي عياش هو (أبان بن فيروز) متروك الحديث، قاله أحمد والنسائي وغيرهما، انظر: الضعفاء الكبير للعقيلي: ١/ ٣٨ - وتهذيب الكمال للمزي: ٢/ ١٩ - وميزان الاعتدال للذهبي: ١/ ١٠ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١/ ٩٧ والأثر أخرجه ابن جرير بإسناده عن واثلة بن الأسقع، وليس فيه ذكر «الزبور»، وفيه: «الإنجيل لثلاث عشرة خلت» قال أحمد شاكر: هو إسناد صحيح. تفسير الطبري بتحقيق شاكر: ٣/ ٤٤٦ - وأخرجه أحمد في المسند: ٤/ ١٠٧ - وأبو عبيد في فضائل القرآن: ٣٤٤ - ومحمد بن نصر في قيام الليل كما في المختصر للمقريزي: ٣٢١ - والبيهقي في الشعب: (ح٢٧٧ - ٢/ ٥١٠) - وانظر الإتقان للسيوطي: ١٣٣ط البغا.

قال الحافظ ابن كثير في السيرة (١/ ٣٩٣): وهو الراجح، وإليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين فقالوا: إن ليلة القدر ليلة أربع وعشرين.

جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك مفرقاً على لسان جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ مدة رسالته عند الحاجة وحدوث ما يحدث على ما يشاء اللّه تعالى[١].

فقد أخرج عبد الرزاق بسنده عن سعيد بن جبير قال: نزل جبريل بالقرآن جملة واحدة ليلة القدر [....][٢] النجوم من السماء في بيت العزة، فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ رتباً[٣].

وروى عكرمة عن ابن عباس - رضي اللّه عنه - قال: أُنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر إلى بيت العزة، ثم أُنزل بعد ذلك في عشرين سنة.[٤]

---

(١) انظر: تفسير الخازن ١/ ١٠.

(٢) بياض في الأصل، والمطبوع..

(٣) أخرجه في تفسيره: ١/ ٦٠، وهذه الرواية وإن كانت موقوفة إلا أن لها حكم الرفع.

(٤) ذكره ابن الجوزي في تفسيره: ١/ ٥ - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٢٢٢ وقال: حديث صحيح ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. - والبيهقي في الأسماء والصفات: ٢٣٥، - وفي الشعب: (ح٢٧٧ - ٢/ ٥١٠) - وابن جرير في تفسيره ٣٠/ ٢٥٨، - وانظر المسألة في الزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ١/ ٢١٤ تحقيق محمد صفاء حقي.

وقد اختلف العلماء في كيفية إنزال القرآن من اللوح المحفوظ على أربعة أقوال:

الأول: أنه نزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجماً، وهذا القول هو أصح الأقوال وأشهرها، وبه قال جماعة من العلماء منهم الزركشي وابن=

=حجر والسيوطي.

الثاني: أنه نزل إلى السماء الدنيا في عشرين ليلة القدر، أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين، في كل ليلة ما يقدر الله تعالى إنزاله في كل السنة، ثم ينزل بعد ذلك منجماً في جميع السنة. وهذا منسوب إلى مقاتل بن حيان والحليمي والماوردي. قال الطبري: وهو خلاف ما نقل عن الإجماع.

الثالث: أن ابتداء إنزاله في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة. وبهذا قال الشعبي وغيره، وقال القسطلاني: وهذا هو المعتمد.

الرابع: أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة، وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة، وجبريل نجمه على النبي i في مدة البعثة. قال القسطلاني: وهذا غريب.

انظر: تفسير الطبري: ٣٠/ ٢٥٨ - والنكت والعيون للماوردي: ٤/ ٤٨٩ - والمرشد الوجيز لأبي شامة: ١٤- والبرهان للزركشي: ١/ ٢٢٨ - ولطائف الإشارات للقسطلاني: ١/ ٢٢ - وفتح الباري لابن حجر: ٩/ ٤ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ١/ ٢١٤ تحقيق محمد صفاء حقي.

وجاء في التنزيل ﴿وقال الذين كفروا لولا أُنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢] فقد ثبت أن لنزول القرآن منجماً حكماً، منها إثبات قلب النبي i وتقويته، ففي تجدد الوحي في كل حادثة تقوية للقلب، وعناية بالمرسل إليه، وتيسير للحفظ وهذا كله من الثبات.

ومن الحكم أيضاً التدرج في تربية الأمة، تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها -: «ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر. لقالوا: لا ندع الخمر أبداً. ولو نزل: لا تزنوا. لقالوا: لا ندع الزنى أبداً». أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: تأليف القرآن: ٦/ ١٠٠.

=

المسألة الثالثة: في مدة نزوله، وسنّه ﷺ في ذلك الوقت:

اختلف في مدة نزول الوحي على رسول اللّه ﷺ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه نزل في ثماني عشرة سنة، وهو اختيار الحسن على ما ذكره ابن الجوزي، فقد نقل عنه أنه قال: ذُكِرَ لنا أنه كان بين أوله وآخره ثماني عشرة سنة، أنزل عليه بمكة ثماني سنين.(١)

القول الثاني: أنه نزل في عشرين سنة، ورد عن ابن عباس وعكرمة والشعبي، وهو اختيار ابن جزي(٢)، فقد أخرج الحاكم عن عكرمة عن ابن عباس قال: أُنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر إلى بيت العزة، ثم أُنزل بعد ذلك في عشرين سنة(٣).

وقال الشعبي: فرق اللّه تنزيل القرآن فكان بين أوله وآخره عشرون

= ومن الحكم مسايرة الحوادث فمن القرآن ما هو جواب لسؤال، أو إنكار على قول قيل، أو فعل أو إقرار أو غير ذلك. ومنها التيسير على الأمة في الحفظ والفهم والعمل بمقتضى ذلك. انظر: المرشد الوجيز لأبي شامة: ٢٧ - والبرهان للزركشي: ١/ ٢٣١ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ١/ ٢٢٠ تحقيقي. ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٥٣.

(١) تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥.

(٢) تفسير ابن جزي: ١/ ٦ و٤/ ٢١٠.

(٣) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥ - وقد سبق تخريج الأثر.

وقال الشعبي: فرق اللّه تنزيل القرآن فكان بين أوله وآخره عشرون سنة[١].

القول الثالث: أنه نزل في ثلاث وعشرين سنة، ذكره ابن جزي[٢].

وقد عزا ابن جزي الكلبي الخلاف إلى الاختلاف في سنّه ﷺ يوم توفي، هل كان ابن ستين أو ثلاث وستين سنة.[٣]

---

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٦.

(٣) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٦.

قلت: الخلاف هو نتيجة الاختلاف في مدة إقامته ﷺ بمكة بعد أن أُنزل عليه الوحي، فمن العلماء من عدَّ من ابتداء النبوة، ومنهم من عدَّ من ابتداء الرسالة، ومنهم من اعتبر في العدِّ الرؤيا الصالحة، والاختلاف دائر بين ثمان سنين وخمسة عشر سنة.

فعن الحسن: أنه أنزل عليه بمكة ثماني سنين. وعن ابن عباس وعائشة رضي اللّه عنهم، أنه ﷺ لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن. والمشهور عند الجمهور، أن القرآن المكي استمر طيلة ثلاث عشرة سنة.

وعلى مذهب من يرى أن رسول اللّه ﷺ عاش خمساً وستين سنة، يكون مدة نزول الوحي عليه بمكة هو خمسة عشر عاماً، إذ لا خلاف أن مُقامه ﷺ بالمدينة هو عشر سنين، فيكون هذا قولاً رابعاً.

والصحيح الراجح، واللّه أعلم، أنه أوحي إليه i ثلاثاً وعشرين سنة، عشرٌ منها بالمدينة، وأنه i توفي وله ثلاث وستون سنة. يقول أبو شهبة: ولو راعينا التدقيق والتحقيق تكون مدة نزول القرآن اثنتين وعشرين سنة، وخمسة أشهر ونصف شهر تقريباً. المدخل لدراسة القرآن الكريم: ٥٥.

=

وكان سنُه ﷺ حين نزل عليه الوحي أربعون سنة.[١]

المسألة الرابعة: أول ما نزل من القرآن:

كان رسول الله ﷺ ربما تنزل عليه سورة كاملة، وربما نزل عليه آيات مفترقات فيضم عليه السلام بعضها إلى بعض حتى تكتمل السورة[٢].

وقد اختلف في أول القرآن نزولاً على أربعة أقوال، فالمشهور أنه صدر سورة العلق: ﴿اقْرَأْ﴾. وقيل: ﴿المدّثر﴾. وقيل: ﴿الفاتحة﴾. وقيل: ﴿بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾.

فأما الأول: فهو قول عائشة – رضي الله عنها – وبه قال قتادة وأبو صالح، وهو اختيار ابن الجوزي والخازن وابن جزي، وأغلب أهل العلم، وهو الصحيح الثابت[٣]، فقد روى البخاري بسنده عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا

= انظر: سنن الترمذي: ٥/ ٢٥١ – وصحيح مسلم: ٤/ ١٨٢٥ – والسيرة النبوية لابن كثير: ٤/ ٥١٣ – وفتح الباري لابن حجر: ١/ ٢٧.

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٦، وهو الراجح المعتمد، والمشهور الذي أطبق عليه العلماء. انظر: شرح مسلم للنووي: ١٥/ ٩٩.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٦.

(٣) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥ – والخازن: ١/ ١٠ – وابن جزي: ١/ ٦ – والإتقان للسيوطي: ١/ ٦٨ – والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ١/ ٢٢٧.

الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يختلي بغار حراء فَيَتَحَنَّثُ فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة - رضي الله عنها -فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. قال: فأخذني فَغَطَّني(١) حتى بلغ مني الجَهدُ(٢)، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فَغَطَّني الثانية حتى بلغ مني الجَهدُ، ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فَغَطَّني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق الآيات: ١ - ٥]. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده.(٣) فقال: زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه ما يجد من الروع.(٤)

---

(١) الغَطُّ: العصر الشديد والكبس، قال ابن الأثير: وإنما غَطَّهُ ليختبره هل يقول من تلقاء نفسه شيئاً. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (غطط): ٣/ ٣٧٣.

(٢) الجَهدُ: قال الحافظ ابن حجر: الأكثر بالفتح، ولبعضهم بالضم، وهو المشقة، ويجوز نصب الدال ورفعها، فعلى النصب: بلغ جبريل مني الجهد. وعلى الرفع: بلغ الجهد مني مبلغه وغايته. فتح الباري: ١/ ١٠٠.

(٣) صحيح البخاري: كتاب: الإيمان، باب: بَدْء الوحي: ١/ ٣ وكتاب التفسير ﴿سورة اقرأ﴾: ٦/ ٨٧ وكتاب التعبير: باب: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ: ٨/ ٦٧.

(٤) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٦.

القول الثاني: أن أول ما نزل سورة ﴿المدّثر﴾، وهو مروي عن جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنه -[١]، فقد روى مسلم عنه أن أول ما نزل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.[٢]

ومن حديثه في الصحيحين قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فَجُئِثْتُ منه رُعباً، فرجعت فقلت: زملوني، زمِّلوني، فدثروني، فأنزل اللَّه تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[٣].

قال ابن الجوزي: ومعنى: (جُئِثْتُ): فرقت، يقال: رجل مجؤوث ومجثوث، وقد صحَّفه بعض الرواة فقال: جبنت، من الجبن[٤].

وقد جمع العلماء بين القولين، فنقل ابن الجوزي أنه لما نزل على

---

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول اللَّه ﷺ: ١/ ١٤٤، وانظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير ﴿سورة المدثر﴾، باب: قوله ﴿قم فأنذر﴾: ٦/ ٧٥ - ومسلم في صحيحه: كتاب: الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول اللَّه ﷺ: ١/ ١٤٣، وانظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥.

(٤) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥، قال في النهاية: (جئثت): فزعت. و(جثثت) أي ذعرت وخفت. النهاية (جثث): ١/ ٢٣٩ و(جأث) ١/ ٢٣٢.

رسول الله ﷺ صدر سورة العلق، رجع فتدثَّر فنزل ﴿يا أيها المدثر﴾[(١)].

القول الثالث: أن أول القرآن نزولاً فاتحة الكتاب، ذكر ذلك ابن جزي[(٢)].

القول الرابع: أنه ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾، وهو مروي عن الحسن وعكرمة كما ذكر ابن الجوزي[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٥؛ ويجمع بينهما - أيضاً - كما نقل الزركشي أن جابراً سمع النبي ﷺ يذكر قصة بدء الوحي فسمع آخرها ولم يسمع أولها فتوهم أنها أول ما أنزل وليس الأمر كذلك. البرهان: ١/ ٢٠٦، وقيل: إن جابراً سُئِل عن نزول سورة كاملة فبين أن ﴿سورة المدثر﴾ نزلت بكمالها قبل تمام ﴿سورة العلق﴾ وقيل غير ذلك. انظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ٧٦.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٦ وهذا القول أورده الزمخشري في تفسيره: ٤/ ٢٢٣، ونسبه لأكثر المفسرين، وقال: وذهب ابن عباس ومجاهد إلى أن أول سورة نزلت ﴿اقرأ﴾، وأكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب. وقد رد عليه أهل العلم فقال ابن حجر: والذي ذهب إليه أكثر الأئمة هو الأول، وأما الذي نسبه إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول. انظر فتح الباري (سورة اقرأ): ٨/ ٧١٤ - ونقل عن أبي بكر الباقلاني في الانتصار قوله: إن القول بأن الفاتحة أول ما نزل خبر منقطع. انظر الإتقان: ١/ ٢٠٧.

(٣) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٤٣ وقد نسب السيوطي هذا القول لابن النقيب في مقدمته، وقال: هو قول زائد، ثم قال: وعندي أن هذا لا يعد قولاً برأسه فإنه من ضرورة نزول السورة نزول البسملة معها، فهي أول آية نزلت على الإطلاق.=

وأول سورة نزلت بالمدينة ﴿البقرة﴾ ثم ﴿الأنفال﴾، كذا قال الخازن[1].

المسألة الخامسة: آخر ما نزل من القرآن:

واختلفوا في آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق على ستة أقوال، فالمشهور أنها آيات الربا التي في آخر البقرة. وقيل: آية الربا ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللّٰه وذروا ما بقي من الربا﴾ [البقرة: ٢٧٨] وقيل: آخر آية نزلت ﴿واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى اللّٰه﴾ [البقرة: ٢٨١]. وقيل: آية الدين التي في البقرة. وقيل: آية الكلالة التي في النساء ﴿يستفتونك قل اللّٰه يفتيكم في الكلالة﴾ [النساء: ١٧٦]. وقيل: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ [التوبة: ١٣٨] إلى آخر السورة. وقيل: سورة النصر.

القول الأول: أنها آية الربا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّٰهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٨]، فقد روى البخاري في أفراده من حديث ابن عباس قال: آخر آية أُنزلت على النبي ﷺ آية الربا.[2]

=والإتقان: ١/ ٨٠.

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١١، وقد نقل الحافظ ابن حجر الاتفاق على ذلك. (فتح الباري: ٨/ ١٦٠، قال السيوطي: في دعوى الاتفاق نظر لقول علي بن الحسن أن ﴿العنكبوت﴾ أول سورة نزلت بالمدينة. الإتقان: ١/ ٨١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير، سورة البقرة، باب:﴿واتقوا يوماً=

القول الثاني: أنها قوله تعالى ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] وهو مذهب سعيد بن جبير وأبي صالح، فقد روى الضحاك عن ابن عباس قال: آخر آية أُنزلت ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ﴾(١).

القول الثالث: أنها آية الدين، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [البقرة: ٢٨٢](٢).

القول الرابع: أنها آية الكلالة وهي قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] فقد روى أبو إسحاق عن البراء بن عازب أنه قال: آخر آية أُنزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ﴾

= ترجعون فيه إلى الله﴾: ٥/ ١٦٤ - وانظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٦.

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ٣/ ١١٥ وإسناده صحيح، وانظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٦ - وابن جزي: ١/ ٦ - وانظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ١١٨.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٦ ودليله ما أخرجه أبو عبيد في فضائله عن ابن شهاب قال: آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا وآية الدين. وأخرجه ابن جريج عن سعيد بن المسيب أنه بلغه أن أحدث القرآن عهداً بالعرش آية الدين. قال السيوطي: مرسل صحيح الإسناد. ثم قال: ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا، و﴿واتقوا يوماً﴾ وآية الدين، لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنها في قصة واحدة، فأخبر كلٌّ عن بعض ما نزل بأنه آخر ما نزل، وذلك صحيح. الإتقان: ١/ ٧٨.

وقال أبو شهبة: هذه آخر ما نزل في باب المعاملات، فهي آخرية مقيدة. المدخل لدراسة القرآن الكريم: ١٢٠.

[النساء: ١٧٦] وآخر سورة أنزلت ﴿بَرَاءةٌ﴾(١).

القول الخامس: أنها قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٣٨] إلى آخر السورة، روي عن أبي بن كعب: أن آخر آية نزلت ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٣٨] إلى آخر السورة.(٢)

القول السادس: أن آخر سورة أنزلت سورة ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فقد أخرج مسلم عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - آخر سورة نزلت ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير، سورة النساء، باب: ﴿يستفتونك قل اللَّه يفتيكم في الكلالة﴾ ٥/ ١٨٥ - وانظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٦ - قال السيوطي: أي في شأن الفرائض. الإتقان: ١/ ٨٧.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٥/ ١١٧ وفي سنده علي بن زيد بن جدعان، قال الهيثمي في المجمع: ٧/ ٣٦: وهو ثقة سيئ الحفظ، وبقية رجاله ثقات.

وأخرجه ابن مردويه، وابن جرير في تفسيره: ١١/ ٧٨ - والبيهقي في الدلائل: ٧/ ١٣٩ - والحاكم في المستدرك: ٢/ ٣٣٨ وانظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٦.

(٣) صحيح مسلم: كتاب: التفسير: (ح٣٠٢٤ - ٤/ ٢٣١٩) وانظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٦ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٦.

وأما القول بأن آخر القرآن نزولاً هو قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣] فلم يذكره أحد من العلماء المعتبرين، فلا يعتد به. وانظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ١٢٥. =

أواخر مخصوصة:

آخر ما نزل بمكة عن ابن عباس أنها «سورة العنكبوت»، وقال الضحاك وعطاء: آخر سورة هي «المؤمنون». وعن مجاهد: أنها ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾.

وآخر سورة نزلت بالمدينة «المائدة» وقيل: «التوبة»[(١)].

= والراجح والله أعلم، هو قوله تعالى ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾، والمرجحات لهذا عديدة كما ذكر ذلك الزرقاني وأبو شهبة وغيرهما، ومنها:

أ- أنه لم يحظ قول من الأقوال بجملة من الآثار وأقوال أئمة التفسير مثل ما حظي به هذا القول.

ب- ما تشير إليه الآية في ثناياها من التذكير باليوم الآخر، والرجوع إلى الله.

ج- ما ظفر به من الوقت بين تحديد نزولها، وبين وفاة النبي ﷺ، وهو ما لم يظفر به قول آخر، فقد نصت رواية ابن أبي حاتم أن النبي ﷺ عاش بعد نزولها تسع ليال ثم مات ليلتين خلتا من ربيع الأول. انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٩١ - والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ١١٩.

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١١ - والبرهان للزركشي: ١/ ١٩٤ - والإتقان للسيوطي: ١/ ٣٢ و١/ ٨٠.

الموضوع الثاني

جمع القرآن وترتيبه

عرض لهذا الموضوع في مقدمة تفسيره عبد الرزاق الصنعاني[١]، وابن جرير الطبري[٢] وابن عطية[٣]، والقرطبي[٤]، والخازن[٥]، وابن جزي[٦].

وهذا الموضوع يحتوي على قسمين رئيسين:

الأول: جمع القرآن.

والثاني: ترتيب القرآن.

القسم الأول: جمع القرآن، وقد تفاوت المفسرون الذين سبق ذكرهم في عرضه وأُوجز ذلك في ثلاث عشرة مسألة:

المسألة الأولى: الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ:

---

(١) انظر تفسيره: ١/ ٥٧.

(٢) انظر تفسيره: ١/ ٥٩.

(٣) انظر تفسيره: ١/ ٤٧ - ٥٠ - ٥٤.

(٤) انظر تفسيره: ١/ ٤٩ - ٥٦ - ٥٩ - ٨٠.

(٥) انظر تفسيره: ١/ ٧ - ١٠.

(٦) انظر تفسيره: ١/ ٦ - ٧.

أخرج الشيخان عن قتادة عن أنس بن مالك - رضي اللّه عنه - قال: جَمَعَ القرآنَ على عهد النبي ﷺ أربعة، كُلُّهم من الأنصار: معاذُ بنُ جبلٍ، وأُبيُّ بنُ كعبٍ[١]، وزيدُ بنُ ثابتٍ، وأبو زيدٍ. قال قتادة: قلت لأنس: مَنْ أبو زيدٍ؟ قال: أحَدُ عُمُومَتي.[٢]

وفي البخاري عنه أنه قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء[٣]، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قال: نحن ورثناه[٤] - أي أبا زيد - وفي رواية قال: مات أبو زيد ولم يترك عَقِباً، وكان

---

(١) هو أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من كتاب الوحي، وأحد من جمع المصحف بأمر عثمان، توفي (٢١هـ). انظر الاستيعاب لابن عبد البر: ١/ ٤٧ - ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٢٨.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب: مناقب زيد بن ثابت: البخاري مع الفتح: ٧/ ١٢٧ - ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أُبي بن كعب وجماعة من الأنصار: ٤/ ١٩١٤. وانظر تفسير القرطبي: ١/ ٥٦ - والخازن: ١/ ٩.

(٣) هو عويمر بن مالك، وقيل عامر، اشتهر بكنيته، أسلم يوم بدر، وشهد أحداً، قال عنه ﷺ: نعم الفارس عويمر، توفي (٣٢هـ). انظر: الإصابة لابن حجر: ٣/ ٤٥ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٨/ ١٧٥.

(٤) صحيح البخاري: كتاب: فضائل القرآن، باب: القراء من أصحاب النبي ﷺ: البخاري مع الفتح: ٩/ ٤٧.

بدرياً.[١] أهـ، واسم أبي زيد: سعد بن عُبيد[٢].

فظاهر هذه الآثار أن الذين جمعوا القرآن - بمعنى حفظوه - على عهد النبي ﷺ هم خمسة نفر، والأمر بخلاف ذلك كما يقول أبو بكر بن الطيب الباقلاني، فقد ثبت بالطرق المتواترة أن عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وتميماً الداري، وعبادة بن الصامت[٣]، وعبد اللّٰه بن عمرو بن العاص - رضي اللّٰه عنهم أجمعين - وغيرهم قد جمعوا القرآن وحفظوه ولهذا يُحتمل أن أنساً أراد أن يجمع القرآن ويأخذه تلقيناً من فيّ رسول اللّٰه ﷺ غير تلك الجماعة، لكون بعضهم أخذ بعض القرآن عن رسول اللّٰه ﷺ وبعضه عن غيره ﷺ.[٤]

---

(١) صحيح البخاري: كتاب: المغازي، باب: مات أبو زيد: البخاري مع الفتح: ٧/ ٣١٣ - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٦.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٧، وبذلك جزم الطبراني، كما في الفتح لابن حجر: ٧/ ١٢٨، وقد اختلف في اسمه، والراجح أنه قيس بن السكن بن زعوراء. انظر: الإصابة لابن حجر: ٣/ ٢٥٠ - و٤/ ٧٨ - وفتح الباري له: ٧/ ١٢٨ و٣١٤.

(٣) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم الأنصاري ، شهد العقبة الأولى والثانية وبدراً والمشاهد كلها، كان يعلم الناس القرآن، توفي (٣٤هـ). انظر: الإصابة لابن حجر: ٢/ ٢٦٨ - وأسد الغابة لابن الأثير: ٣/ ١٦٠.

(٤) انظر: نكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاني: ٦٧ - ٧٠ - وفيه غير هذا الاحتمال - والطبقات الكبرى لابن سعد: ٢/ ٢٣٥ - وتفسير القرطبي: ١/ ٥٧ - قال ابن حجر في الفتح: ٩/ ٤٧: وذكر العلماء لذلك عدة أوجه. ثم ذكر منها ثمانية.

كما أفاد القرطبي - يرحمه اللّه - أن الروايات تضافرت بأن الخلفاء الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ لأجل سَبْقِهم إلى الإسلام، وإعظام الرسول ﷺ لهم.(١)

وقد أخرج مسلم والترمذي من حديث عبد اللّه بن عمرو أنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وأُبيٍّ بنِ كعبٍ، ومعاذِ بنِ جبلٍ، وسالمٍ مولى أبي حذيفة. وقال: حديث حسن صحيح.(٢) وفي رواية مسلم: خذوا القرآن من أربعة: من ابن أُمِّ عبد - فبدأ به -... الحديث(٣).

فابن مسعود وسالم هما أيضاً ممن جمعا القرآن في حياة رسول اللّه ﷺ(٤).

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٥٧.

(٢) سنن الترمذي: كتاب: المناقب، باب: مناقب عبد اللّه بن مسعود: ٥/ ٦٧٤.

(٣) صحيح مسلم: كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد اللّه بن مسعود وأمه: ٤/ ١٩١٣ - وانظر تفسير القرطبي: ١/ ٥٨.

(٤) قلت: والذي يظهر أن المقصود من الروايات ليس الحصر، فقد ثبت أن عدداً كبيراً من الصحابة حفظوا القرآن زمن النبي ﷺ، ففي وقعة بئر معونة التي كانت في السنة الرابعة للهجرة قتل من القراء على ما أخرجه البخاري في صحيحه سبعون قارئاً. صحيح البخاري كتاب: المغازي، باب: غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة: البخاري مع الفتح: ٧/ ٣٨٥. =

المسألة الثانية: حول جمع ابن مسعود للقرآن:

لقد اختلف في جمع ابن مسعود - رضي الله عنه - للقرآن كاملاً في حياة النبي ﷺ، فذهب جماعة ومنهم أبو بكر ابن الطيب الباقلاني، وابن الأنباري، أن عثمان أتم الحفظ بعد وفاته ﷺ، فقد روى ابن الأنباري في كتابه «الرد على من خالف مصحف عثمان» عن أبي إسحاق قال: قال عبد الله بن مسعود: قرأت من فِيّ رسول الله ﷺ اثنتين وسبعين سورة - أو ثلاثاً وسبعين سورة - وقرأت عليه من البقرة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ

= ويقول أبو شامة: وقد أشبع القاضي أبو بكر محمد بن الطيب في الانتصار الكلام على حملة القرآن في حياة رسول الله ﷺ وأقام أدلة كثيرة على أنهم كانوا أضعاف هذه العدة المذكورة، وأن العادة تحُيل خلاف ذلك، ويشهد لذلك كثرة القراء المقتولين يوم مسيلمة باليمامة.... إلى أن قال: وقد قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما -: جمعت القرآن فقرأته كله في ليلة، فقال رسول الله ﷺ: اقرأه في شهر..؛ الحديث. وعبد الله غير مذكور في هذه العدة، فدل على أنها ليست للحصر، وما كان من ألفاظ للحصر فله تأويل، ومن تأويلاته: أنه لم يجمعه على جميع وجوهه، والأحرف والقراءات التي نزل بها، وأخبر الرسول ﷺ أنها كلها شاف كاف، إلا أولئك النفر فقط، ومنها أنه لم يجمع ما نسخ منه وأزيل رسمه بعد تلاوته مع ما ثبت رسمه وبقي فرض حفظه وتلاوته إلا تلك الجماعة،..... إلى أن قال: قال المازري: وكيف يعرف النقلة أنه لم يكمله سوى أربعة، وكيف تتصور الإحاطة بهذا وأصحاب رسول الله ﷺ متفرقون في البلاد؟!.

ثم قال: وإن لم يكمل القرآن سوى أربعة، فقد حفظ جميع أجزائه مئون لا يحصون، وما من شرط كونه متواتراً أن يحفظ الكلُّ الكلَّ، بل الشيء الكثير إذا روى كلَّ جزء منه خلق كثير علم ضرورةً، وحصل متواتراً. المرشد الوجيز لأبي شامة: ٣٨ - ٤٠.

يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، قال أبو إسحاق: وتعلَّمَ عبد اللَّه بقية القرآن من مُجَمِّع[١] بن جارية الأنصاري.[٢]

وذكر عن أبي إسحاق أنه قال: سألت الأسود[٣]: ما كان عبد اللَّه يصنع بسورة الأعراف؟ فقال: ما كان يعلمها حتى قدم الكوفة؛ قال: وقد قال بعض أهل العلم: مات عبد اللَّه بن مسعود قبل أن يتعلم المعوّذتين، فلهذه العلة لم توجدا في مصحفه.[٤]

---

(١) هو مجمع بن جارية بن عامر بن مجمع الأنصاري ، أحد من جمع القرآن عن رسول اللَّه ﷺ، توفي في خلافة عثمان. انظر: الإصابة لابن حجر: ٣/ ٣٦٦ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١٠/ ٤٧.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٨ وأخرجه البخاري بلفظ: واللَّه لقد أخذت من في رسول اللَّه ﷺ بضعاً وسبعين سورة... البخاري مع الفتح: ٩/ ٤٦.

(٣) هو الأسود بن هلال المحاربي الكوفي ، له إدراك، روى عن ابن مسعود وغيره، وثقه النسائي وغيره، قيل توفي (٨٤هـ). انظر تهذيب الكمال للمزي: ٣/ ٢٣١ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١/ ٣٤٢.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٨.

قلت: وقوله: «مات ولم يتعلم المعوذتين» مخالف للحقيقة، فالمشهور أن ابن مسعود لم يكتبهما في مصحفه، لا أنه لم يتعلمهما، إذ كيف يقال ذلك، وابن مسعود يقول فيما أخرجه مسلم وغيره: والذي لا إله غيره ما في كتاب اللَّه سورة إلا وأنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا وأعلم فيما نزلت، ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب اللَّه مني=

وعن محمد بن كعب القرظي قال: كان ممن ختم القرآن ورسول اللّه ﷺ حيٌّ عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد اللّه بن مسعود. قال ابن الأنباري: حديث ليس بصحيح عند أهل العلم، وإنما هو مقصور على محمد بن كعب فهو مقطوع لا يؤخذ به، ولا يُعوَّل عليه.(١)

فالشائع المعروف عند أهل الرواية والنقل أن عبد اللّه بن مسعود تعلم بقية القرآن بعد وفاة رسول اللّه ﷺ، وقد قال بعض الأئمة: مات عبد اللّه بن مسعود قبل أن يختم القرآن. قال يزيد بن هارون(٢): المعوذتان بمنزلة البقرة وآل عمران من زعم أنهما ليستا من القرآن، فهو كافر باللّه العظيم. فقيل له: فقول عبد اللّه بن مسعود؟! فقال: لا خلاف بين المسلمين في أن عبد اللّه بن مسعود مات وهو لا يحفظ القرآن كله.

قال القرطبي: في هذا نظر.(٣)

=تبلُغُهُ الإبل لركبت إليه. صحيح مسلم: ٤/ ١٩١٣.

(١) وعقب القرطبي على هذا وقال: وقوله ﷺ: خذوا القرآن من أربعة، من ابن أم عبد.... الحديث يدل على صحته. تفسير القرطبي: ١/ ٥٨ أي صحة ما يتعلق بابن مسعود.

(٢) هو يزيد بن هارون بن زاذان السلمي ، كان رأساً في العلم والعمل، ثقة حجة، كبير الشأن، قيل: كان أحفظ من وكيع، توفي (٢٠٦هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ٣٥٨ - وتاريخ بغداد للخطيب: ١٤/ ٣٣٧.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٥.

وذهب فريق آخر ومنهم القرطبي إلى كونه رضي اللَّه عنه، جمع القرآن وأتم حفظه في حياة النبي ﷺ، فعن كُميل[١] قال: قال عمر بن الخطاب: كنت مع رسول اللَّه ﷺ ومعه أبو بكر ومن شاء اللَّه، فمررنا بعبد اللَّه بن مسعود وهو يصلي، فقال رسول اللَّه ﷺ: مَنْ هذا الذي يقرأ القرآن؟ فقيل له: هذا عبد اللَّه بن أمّ عبد؛ فقال: إن عبد اللَّه يقرأ غضاً كما أُنزل.[٢]

وروى وكيع وجماعة معه عن الأعمش عن أبي ظبيان قال: قال لي عبد اللَّه بن عباس: أي القراءتين تقرأ؟ قلت: القراءة الأولى، قراءة ابن أمّ عبد؛ فقال: بل هي القراءة الآخرة، إن رسول اللَّه ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قُبِض فيه رسول اللَّه ﷺ عرضه جبريل عليه مرتين، فحضر ذلك عبد اللَّه فعلم ما نسخ من ذلك وما بُدّل[٣].

---

(١) هو كميل بن زياد بن نَهيك الصُّبهاني ، كان شريفاً مطاعاً في قومه، تابعي ثقة، قتله الحجاج سنة (٨٢هـ). انظر: طبقات ابن سعد: ٦/ ١٧٩ - وتهذيب الكمال للمزي: ٢١٨/٢٤.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٧ - وسيرد تخريج الحديث إن شاء اللَّه.

قال بعض العلماء: معنى قوله: «غضاً كما أُنزل» أي: أنه كان يقرأ الحرف الأول الذي أُنزل عليه القرآن دون الحروف السبعة التي رخّص لرسول اللَّه ﷺ في قراءته عليها بعد معارضة جبريل عليه السلام القرآن إياه في كل رمضان، تفسير القرطبي: ١/ ٥٧.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٧ - وأخرجه الإمام أحمد في المسند: (ح٣٤٢٢ - ٥/ ١٤١) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح. وقد روى ابن سعد بإسناده عن القاسم بن عبد=

ويدل عليه ما سبق قبل قليل عن عبد اللّه بن عمرو، قال القرطبي بعد أن سرد جملة من الأقوال في تأييد مذهبه: هذه الأخبار تدل على أن عبد اللّه جمع القرآن في حياة رسول اللّه ﷺ خلاف ما تقدم.[(١)]

قال الخطابي: ومما يبين ذلك أن أصحاب القراءات من أهل الحجاز والشام والعراق كل منهم عَزَا قراءته التي اختارها إلى رجل من الصحابة قرأها على رسول اللّه ﷺ لم يستثن من جملة القرآن شيئاً، فأسند عاصم[(٢)] قراءته إلى علي وابن مسعود، وأسند ابن كثير قراءته إلى أُبيّ، وكذلك أبو عمرو بن العلاء[(٣)] أسند قراءته إلى أُبيّ، وأما عبد اللّه بن عامر[(٤)] فإنه أسند

مرة حتى إذا كان العام الذي قُبِض فيه رسول اللّه ﷺ نزل جبريل فأقرأه القرآن مرتين؛ قال عبد اللّه: فقرأت القرآن من فيّ رسول اللّه ﷺ ذلك العام.... الحديث الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢/ ١٩٥. وهذا صريح وحاسم في حفظ ابن مسعود للقرآن كله، واللّه أعلم.

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٥٧ - ٥٨.

(٢) هو عاصم بن بهدلة بن أبي النَّجُود الأسدي ، أحد القراء السبعة، وشيخ القراء بالكوفة، توفي (١٢٧هـ). انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٣٤٦ - ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٨٨.

(٣) هو أبو عمرو زبان بن العلاء المازني البصري، ثقة وأحد القراء السبعة، توفي (١٥٤هـ). انظر غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٢٨٨ - ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ١٠٠.

(٤) هو عبد اللّه بن عامر بن يزيد اليحصبي ، إمام مقرئ من أهل الشام، وأحد القراء=

قراءته إلى عثمان، وهؤلاء كلهم يقولون: قرأنا على رسول اللَّه ﷺ وأسانيد هذه القراءات متصلة، ورجالها ثقات.(١)

المسألة الثالثة: المراحل التي مرَّ بها جمع القرآن الكريم:

إن جمع القرآن الكريم بمعنى كتابته مر في الصدر الأول بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: جمع النبي ﷺ بإشارة من جبريل عليه السلام:

نزل القرآن الكريم على رسول اللَّه ﷺ مفرقاً في نحو ثلاث وعشرين سنة، فكان كلما نزل عليه شيء منه قرأه ﷺ على أصحابه - رضي اللَّه عنهم -ليحفظوه في صدورهم، وأمر كُتَّاب الوحي بكتابته وتسجيله بين يديه، محدداً لهم موضع الآية أو الآيات ومكانها في السورة، فحُفِظَ في الصدور والسطور معاً، وكان المكتوب مفرقاً في الصحف والجريد والظُّرر واللخاف والخزَف والكرانيف والعُسُب(٢) وغير ذلك، ولم يجمع في

=السبعة، قيل: عرض على عثمان نفسه، توفي (١١٨هـ). انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٤٢٣ - ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٨٢.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/٥٨.

(٢) الجريد: السَّعَفُ، واحدها: جريدة. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير «جرد»: ١/ ٢٥٦.

قال الأصمعي: اللّخاف: حجارة بيض رِقاق، واحدتها لَخفة. انظر: النهاية في غريب=

مصحف واحد روى ابن جرير بسنده عن سفيان بن عيينة عن الزهري قال: قُبض رسول اللّه ﷺ ولم يكن القرآن جمع وإنما كان في الكرانيف والعُسُب.(١)

يقول الخازن: وإنما ترك رسول اللّه ﷺ جمعه في مصحف واحد لأن النسخ كان يرد على بعضه، ويرفع الشيء بعد الشيء من التلاوة، كما كان ينسخ بعض أحكامه فلم يجمع في مصحف واحد، ثم إنه لو رفع بعض تلاوته أدى ذلك إلى اختلاف واختلاط أمر الدين، فحفظ اللّه كتابه في القلوب إلى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين - رضي

=الحديث لابن الأثير «لخف»: ٤/ ٢٤٤ - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٩ - وقال الخازن في تفسيره: ١/ ٨: قال بعض الرواة: اللخاف يعني الخزف.

والظُّرر: حجر له حدٌّ كحد السكين، والجمع ظِرار؛ مثل رُطب ورطاب، ورُبع ورِباع، وظِرّان أيضاً مثل صُرد وصِردان. انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٩ - والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير «ظرر»: ٣/ ١٥٦.

الكرانيف: أصل السَّعفة الغليظة، واحدها: كرنف. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير «كرنف»: ٤/ ١٦٨.

العُسبُ: أي جريدة النخل، وهي السعفة مما لا ينبت عليه الخوص. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: «عسب»: ٣/ ٢٣٤ - وفتح الباري لابن حجر: ٩/ ١٤.

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٦٣ قال أحمد شاكر: ذكر ابن حجر في الفتح: ٩/ ٩ رواية سفيان عن الزهري عن عبيد عن زيد بن ثابت، وأتمها في ص١١ باختلاف في اللفظ.

اللَّه عنهم[(١)]-.

المرحلة الثانية: جمع أبي بكر بإشارة من عمر - رضي اللَّه عنهما -[(٢)]:

أخرج ابن جرير بسنده عن خارجة بن زيد[(٣)] بن ثابت عن أبيه زيد، قال: لَمَّا قُتل أصحاب رسول اللَّه ﷺ باليمامة[(٤)] دخل عمر بن الخطاب

---

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٠ وقيل: إنه لم يجمع في مصحف واحد زمن النبي ﷺ لأن القرآن لم ينزل مرة واحدة بل نزل منجماً في مدى عشرين سنة أو أكثر، وقيل: لأنه لم توجد دواعي لكتابته وجمعه في مصحف أو مصاحف مثل تلك الدواعي التي وجدت فيما بعد، ولهذا يقول الزرقاني في المناهل: ١/ ٢٤٠: إن القرآن لو جمع في مصحف أو مصاحف لكان عرضة لتغيير الصحف والمصاحف كلما وقع نسخ، أو حدث سبب مع أن الظروف لا تساعد وأدوات الكتابة ليست متوفرة، والتعويل كان على الحفظ قبل كل شيء.

(٢) وضع أبو بكر رضي اللَّه عنه طريقة دقيقة محكمة، ونظاماً عظيماً انتهجه للجمع، فقد اعتمد على أمرين: الأول: ما كتب بين يدي رسول اللَّه ﷺ. والثاني: ما كان محفوظاً في صدور الرجال، ولهذا وردت في بعض الروايات أن زيداً ما كان يقبل المكتوب إلا ومعه شاهدان عدلان يشهدان أنه كتب بين يدي رسول اللَّه ﷺ والأدلة على ذلك متواترة. انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٢٤٥.

(٣) هو خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، ثقة توفي (٩٩هـ). انظر: التاريخ الكبير للبخاري: ٣/ ٢٠٤ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٣/ ٧٤.

(٤) وكان ذلك في السنة الثانية عشرة من الهجرة، بقيادة خالد بن الوليد، لقتال مسيلمة الكذاب.

=

على أبي بكر- رحمه الله - فقال: إن أصحـــاب رسـول اللّـه ﷺ باليمامـة تهافتوا تهافت الفـراش في النـار، وإنـي لأخشـى أن لا يشـهدوا موطنـاً إلا فعلوا ذلك حتى يُقتلوا - وهم حملة القرآن - فيضيع القـرآن ويُنسـى، فلـو جمعته وكتبته! فنفر منها أبو بكر وقال: أفعل ما لم يفعلـه رسـول اللّـه ﷺ! فتراجعا في ذلك.

ثم أرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت، قال زيــد: فدخلـت عليـه وعمـر مُحَزْئِلٌ[1] فقال أبو بكر: إن هذا قد دعاني إلى أمر فأبيت عليه، وأنت كاتب الوحي، فإن تكن معه اتبعكما، وإن توافقني لا أفعل. قال: فاقتص أبو بكـر قول عمر، وعمر ساكت، فنفرت من ذلك وقلت: نفعل ما لم يفعل رســول اللّه ﷺ! إلى أن قال عمر كلمته: «ومـا عليكمـا لـو فعلتمـا ذلـك؟» قـال: فذهبنا ننظر، فقلنا: لا شيء واللّه! وما علينا في ذلك شيء!

قال زيد: فــأمرني أبـو بكـر، فكتبتـه في قطـع الأدم وكِسَرِ الأكتـاف والعُسُبِ.[2]

وروى عبد الـرزاق بسـنده أن زيـد بـن ثـابت - رضـي اللّـه عنـه -

---

= قال القرطبي: وقد قيل قتل من القراء في ذلك اليوم سبعمائة. تفسير القرطبي: ١/ ٥٠.

(١) احزألَّ الرجل: اجتمع وتحفَّز ورفع صدره كالمتهيء لأمر، فهو محزئل: منضـم بعضـه إلى بعض، جالس جلسة المستوفز. لسان العرب «حزل»: ١/ ٦٢٥.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٥٩. ولم أجده بلفظه عند غيره.

قال: أرسل إليَّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر - رضي اللَّه عنه -: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى إن استحرَّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول اللَّه ﷺ؟! قال عمر: هذا واللَّه خير.

فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح اللَّه صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: «إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول اللَّه ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه». فواللَّه لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول اللَّه ﷺ؟! قال: هو واللَّه خير.

فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح اللَّه صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر - رضي اللَّه عنهما - فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصدرور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه اللَّه، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة

بنت عمر.[(١)]

وفي رواية البخاري: وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري[(٢)].

وقال الليث[(٣)]: حدثني عبد الرحمن بن غالب عن ابن شهاب وقال:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٥٧ - وابن أبي داود في المصاحف: ١٤ - وأورده القرطبي في تفسيره: ١/ ٥٠ - والخازن في تفسيره: ١/ ٧ وعزاه للبخاري، وهو في البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن. البخاري مع الفتح: ٩/ ١١.

قال الخازن: ١/ ٨: قوله: «بعث إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة» أي: لأوان قتلهم، وأراد به الواقعة التي كانت باليمامة في زمن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وهي وقعة الردة مع أصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القرآن.

قال: واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطائف وعلى أربعة أيام من مكة، ولها عمائر، وهي مقدار أرض نجد. اهـ. قلت: وهذا وهم من المصنف، فاليمامة من أرض نجد، وهي اليوم تعتبر من غرب مدينة الرياض وتتبع إمارتها. وانظر: معجم البلدان لياقوت: ٥/ ٤٤١.

وقوله «استحر القتل» أي: كثر، وينسب المكروه إلى الحر، والمحبوب إلى البرد. و«شرح الصدر»: سعته وقبوله للخير. تفسير الخازن: ١/ ٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن. البخاري مع الفتح: ٩/ ١١.

(٣) هو الليث بن أبي سليم بن زنيم القرشي، صدوق عابد صالح في نفسه، اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك، توفي (١٣٨هـ). انظر المجروحين: ٢/ ٢٣١ - والتقريب لابن حجر: ٢/ ١٣٨.

مع أبي خزيمة الأنصاري.(١)

قال أبو ثابت: حدثنا إبراهيم(٢) وقال: مع خزيمة أو أبي خزيمة ﴿فَـإِن تَوَلَّوْا فَقُـلْ حَسْبِيَ اللّـهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ عَلَيْـهِ تَوَكَّلْـتُ وَهُـوَ رَبُّ الْعَـرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩](٣).

وقال الترمذي في حديثه: فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال: حديث حسن صحيح.(٤)

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٠.

(٢) هو إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع بن يزيد الأنصاري، ضعيف، قال ابن معين: ليس بشيء. استشهد به البخاري وقال: كثير الوهم. انظر تهذيب الكمال للمزي: ٢/ ٤٥ - وفتح الباري لابن حجر: ٩/ ١٢.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٠.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره: ١/ ٥١ وهو عند الترمذي، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة التوبة: ٥/ ٢٨٣.

وعن تردد أبي بكر وزيد عن المبادرة إلى رأي عمر يقول ابن بطال: إنما نفر أبو بكر أولاً ثم زيد ثانياً لأنهما لم يجدا رسول الله ﷺ فعله فكرها أن يحلاّ أنفسهما محل من يزيد احتياطه للدين على احتياط الرسول ﷺ، فلما نبههما عمر على فائدة ذلك، وأنه خشية أن يتغير الحال في المستقبل إذا لم يجمع القرآن فيصير إلى حالة الخفاء بعد الشهرة رجعا إليه. اهـ ومثل ذلك قال الباقلاني في نكت الانتصار: ٣١٨. =

وفي رواية البخاري قال ابن شهاب: وأخبرني خارجة بن زيد أنه سمع زيد بن ثابت يقول: فقدت آية من سورة الأحزاب حين نسخت المصحف قد كنت أسمع رسول اللَّه ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فألحقناها في سورتها.[١]

وأبو خزيمة الذي وجد عنده آخر التوبة هو غير خزيمة بن ثابت[٢] الذي وجد عنده آية الأحزاب، قال الخازن: هو أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن عمر بن مالك بن النجار الأنصاري، شهد بدراً وما بعدها، وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت عنده آخر سورة التوبة، قال: كذا ذكره ابن عبد البر.[٣] وهو الذي عرفه أنس بقوله: نحن ورثناه.[٤]

وفي رواية الطبري أن آية التوبة سقطت في جمع عثمان. قال: ابن عطية:

= وقال ابن حجر: وليس ذلك من الزيادة على احتياط الرسول ﷺ بل هو مستمد من القواعد التي مهدها الرسول ﷺ. فتح الباري: ٩/ ١٣.

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ٨ - وفتح الباري: ٩/ ١١.

(٢) هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة الأوسي. انظر ترجمته في الإصابة لابن حجر: ١/ ٤٢٥.

(٣) انظر: تفسير الخازن: ١/ ٩ - والاستيعاب لابن عبد البر: ٤/ ٥٠ بهامش الإصابة.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٦.

والأول أصح.[١] يعني أنه في جمع أبي بكر. قال: وهو الذي حكاه البخاري إلا أنه قال فيه: مع أبي خزيمة الأنصاري.

وبقيت الصحف التي جمعها زيد بأمر أبي بكر عند أبي بكر ثم عند عمر بن الخطاب من بعده، ثم عند حفصة بنته في خلافة عثمان، وانتشرت في خلال ذلك صُحفٌ في الآفاق كتِبت عن الصحابة، كمصحف ابن مسعود وما كتب عن الصحابة بالشام، ومصحف أُبيّ، وغير ذلك وكان في ذلك اختلاف حسب السبعة الأحرف التي أنزل القرآن عليها.[٢]

المرحلة الثالثة: جمع عثمان بإشارة من حذيفة - رضي اللَّه عنهما [٣]:

بقيت الصحف التي جمعت من قبل زيد في مأمن عن المخاطر عند حفصة أم المؤمنين - رضي اللَّه عنها - إلى خلافة عثمان - رضي اللَّه عنه - كما بقيت المصاحف الخاصة بالصحابة في جوزتهم حسب ترتيبهم وحسب حرفهم، وانتشرت في البلدان والأفاق معهم، كمصحف ابن

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٦٠ - وتفسير ابن عطية: ١/ ٥١ - وتفسير القرطبي: ١/ ٥١.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥١.

(٣) يرى بعض أهل العلم أن جمع عثمان انصبَّ على ترتيب السور. انظر المستدرك للحاكم: ٢/ ٢٢٩ وهو أمر مخالف للسبب الذي دفع عثمان للجمع، فقد ذكرت الروايات واتفقت على أن السبب كان الخلاف في القراءة الذي حدث في عدة وقائع، وقد تعاظم الأمر حتى خيفت الفتنة، فالقصد والغاية هي جمع الناس على قراءة واحدة، وإن كان روعي فيه الترتيب. وانظر: فتح الباري لابن حجر: ٩/ ٢١.

مسعود وما كتب عن الصحابة في الشام، وكمصحف أبيّ وغيرها.

وإذا كان أبو بكر قد أمر بجمع المصحف خشية ذهاب شيء منه بموت القرّاء الذين تهافتوا على القتال، فإن ما حدث في عهد عثمان لا يقلُّ شأواً بأية حال عن ذلك، إنه الاختلاف في القراءة، الذي ظهر بوضوح بين المسلمين، في مواطن كثيرة، إلى أن كفر بعضهم بقراءة بعض، وكان الخلاف حسب السبعة الأحرف الذي أُنزل عليها القرآن.[1]

وقد جاءت روايات عدة تدل على الرغبة في جمع الناس على مصحف واحد، وبرسم واحد، وإنهاء الخلاف قبل استفحال أمره، يقول ابن عطية: فتجرد عثمان - رضي الله عنه - للأمر واستناب الكفاة العلماء الفصحاء في أن يكتبوا القرآن ويجعلوا ما اختلفت القراءة فيه على أشهر الروايات عن رسول الله ﷺ، وأفصح اللغات[2]، ومن ذلك:

ما رواه ابن جرير بسنده عن أبي قِلابة، قال: لما كان في خلافة عثمان، جعل المعلّمُ يعلّمُ قراءة الرجل، والمعلّم يعلّم قراءةَ الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين - قال أيوب: فلا أعلمه إلا قال -: حتى كَفَرَ بعضهم بقراءة بعض، فبلغ ذلك عثمانَ بن

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥١ - وبمثل ذلك قال ابن التين وغيره . انظر الإتقان: ١/ ١٨٨.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية ١/ ٤٧.

عفان، فقام خطيباً فقال: أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون، فمن نـأى عـني من أهل الأمصار أشد اختلافاً وأشـد لحنـاً. اجتمعـوا يـا أصحـاب محمـد، فاكتبوا للناس إماماً.

قال أبو قلابة: فحدثني أنس بن مالك قال: كنت فيمن يملـي عليهـم، قال: فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول اللّـه ﷺ، ولعله أن يكون غائباً أو في بعض البوادي فيكتبـون مـا قبلهـا ومـا بعدهـا، ويدعون موضعها، حتى يجيءَ أو يُرْسَلَ إليه. فلما فرغ من المصحف، كتـب عثمان إلى أهل الأمصار: إني قد صَنَعـتُ كـذا وكـذا، ومحـوتُ مـا عنـدي، فامحوا ما عندكم.[١]

وروى سويد بن غفلة[٢] عن علي بن أبي طالب - رضي اللّه عنـه - أن عثمان قال: ما ترون في المصاحف؟ فإن النـاس قـد اختلفـوا في القـراءة حتى إن الرجل ليقـول: قراءتـي خـير مـن قراءتـك، وقراءتـي أفضـل مـن قراءتك، وهـذا شـبيه بـالكفر. قلنـا: مـا الـرأي عنـدك يـا أمـير المؤمنـين؟ قال: الرأي عندي أن يجتمع الناس على قراءة، فإنكم إذا اختلفتم اليوم كان

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٦١، وابن أبي داود في المصـاحف: ٢٨ - وابـن أشـته. انظر الإتقان للسيوطي: ١/ ١٨٧.

(٢) هو سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر الجُعفـي ، أدرك الجاهلية، وقـدم المدينـة حـين نفضت الأيدي من دفن رسول اللّـه ﷺ، ثقـة معمـر، تـوفي (٨٠هــ)، انظـر: تهذيـب الكمال للمزي: ١٢/ ٢٦٥- وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٤/ ٢٧٨.

مَنْ بعدكم أشد اختلافاً؛ قلنا: الرأي رأيك يا أمير المؤمنين؛ فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها إليه، فأمر زيدَ بن ثابت، وعبد اللّه بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل القرآن بلسانهم. ففعلوا حتى نسخوا الصحف في المصاحف، ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كلّ أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.(١)

قال القرطبي: وكان هذا من عثمان رضي اللّه عنه بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وجلة أهل الإسلام، وشاورهم في ذلك، فاتفقوا على جمعه بما صحَّ وثبت في القراءات المشهورة عن النبي ﷺ وإطراح ما سواها، واستصوبوا رأيه، وكان رأياً سديداً موفقاً، رحمة اللّه عليه وعليهم أجمعين.(٢)

وأخرج البخاري عن أنس بن مالك - رضي اللّه عنه - أن حذيفة ابن اليمان قدِم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٢.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٢.

وأذربيجان[١] مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافُهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها إليه، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها.... الأثر.[٢]

قال ابن شهاب: وأخبرني خارجة بن زيد أنه سمع زيد بن ثابت يقول: فقدت آية من سورة الأحزاب حين نسخت المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فألحقناها في

---

(١) إرمينية: بكسر الهمزة وتخفيف الياء، سميت بأرمين بن لطان بن لومن بن يافث بن نوح، وهو أول من نزلها سميت باسمه، وهي اليوم بيد طائفة الأرمن. انظر: تفسير الخازن: ١/ ٩ - ومعجم البلدان لياقوت: ١/ ١٥٩.

وأذربيجان: بفتح الهمزة وسكون الذال، وموضع في بلاد العجم من مدائنها تبريز، وهي اليوم دولة مستقلة، انفصلت عن ما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي. انظر: تفسير الخازن: ١/ ٩ - ومعجم البلدان لياقوت: ١/ ١٢٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن: ٩/ ١١، وأخرجه ابن جرير بنحوه في تفسيره: ١/ ٦٢ - وابن أبي داود في المصاحف: ٢٥ - وأورده ابن عطية في تفسيره: ١/ ٤٧ - والخازن في تفسيره: ١/ ٨. قلت: فكان هذا تأييداً لتوجس عثمان من وقوع الاختلاف بين البعيدين عنه.

سورتها في المصحف.[(١)]

وفي رواية أخرى قال ابن شهاب: اختلفوا يومئذ في التابوت، فقال زيد: (التابوه) وقال عبد اللّه بن الزبير وسعيد بن العاص: (التابوت). فرُفع اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه (التابوت) فإنه بلسان قريش.[(٢)]

وفي رواية أخرى عند ابن جرير أن حذيفة بن اليمان قدم من غزوة كان غزاها بمرج إرمينية فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان بن عفان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك الناس! فقال عثمان: وما ذاك؟ قال: غزوت مَرجَ إرمينية فحضرها أهل العراق وأهل الشام، فإذا أهل الشام يقرأون بقراءة أُبيّ بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، فتكفرهم أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة ابن مسعود، فيأتون بما لم يسمع به أهل الشام فتكفرهم أهل الشام. قال زيد: فأمرني عثمان بن عفان أن أكتب له مصحفاً، وقال: إني مُدخلٌ معك رجلاً لبيباً فصيحاً، فما اجتمعتما عليه فاكتباه، وما اختلفتما فيه فارفعاه إليّ. فجعل معه أَبان بن سعيد بن العاص. قال: فلما بلغنا ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ [البقرة: ٢٤٨] قال زيد: فقلت: (التابوه)، وقال أبان بن سعيد: (التابوت)، فرفعنا ذلك إلى عثمان فكتب: (التابوت).

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح: كتاب: فضائل القرآن، باب: جمع القرآن: ٩/ ١١.

(٢) هذه من رواية الترمذي: كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة التوبة: ٥/ ٢٨٤.

قال: فلما فرغتُ عرضته عَرضَةً، فلم أجد فيه هذه الآية: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣] قال: فاستعرضتُ المهاجرين أسألهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتُها عند خزيمة بن ثابت، فكتبتها.

ثم عرضته عَرضَةً أخرى، فلم أجد فيه هاتين الآيتين: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة ١٢٨- ١٢٩] فاستعرضت المهاجرين فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسألهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم، حتى وجدتها مع رجل آخر يدعى أيضاً خزيمة، فأثبتها في آخر ﴿بَرَاءةٌ﴾، ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حِدَةٍ[١].

ثم عرضته عرضة أخرى، فلم أجد فيه شيئاً، ثم أرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة، وحلف لها ليردنَّها إليها فأعطته إياها،

---

(١) قوله: «ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة» توحي بأن الصحابة تصرفوا حسب اجتهادهم، وأن تحديد وتعيين السور باجتهاد منهم، وأنه غير توقيفي، وهو خلاف الصحيح الثابت عند أهل العلم. وانظر: مصاعد النظر للبقاعي: ١/ ٤٣٣ حاشية (٤).

فعرض المصحف عليها، فلم يختلفا في شيء، فردها إليها وطابت نفسه، وأمر الناس أن يكتبوا مصاحفَ، فلما ماتت حفصة، أرسل إلى عبد الله بن عمرو في الصحيفة بعزمة، فأعطاهم إياها، فغلست غسلاً.

وذكر من طريق آخر بنحوه سواءً.(١)

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٦٠.

وقد علق الأستاذ أحمد شاكر على هذين الأثرين فقال:: قال ابن حجر في فتح الباري: ٩/ ٩ - ١٩، وذكر رواية الطبري مفرقة في شرح الباب في أول «باب جمع القرآن» في شرح حديث جمع القرآن الذي رواه البخاري من طريق ابن شهاب عن عبيد بن السبَّاق عن زيد بن ثابت: «هذا هو الصحيح عن الزهري، أن قصة زيد بن ثابت مع أبي بكر وعمر، عن عبيد بن السبَّاق عن زيد بن ثابت، وقصة حذيفة مع عثمان عن أنس بن مالك، وقصة فَقْدِ زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب في رواية عبيد بن السبَّاق عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه، وقد رواه إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع عن الزهري، فأدرج قصة آية سورة الأحزاب في رواية عبيد بن السبَّاق»، ثم قال عن هذا الخبر الذي رواه الطبري: «وأغرب عمارة بن غزية فرواه عن الزهري فقال: عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه، وساق القصص الثلاثة بطولها: قصة زيد مع أبي بكر وعمر، ثم قصة حذيفة مع عثمان أيضاً، ثم قصة فَقْدِ زيد بن ثابت الآية من سورة الأحزاب. أخرجه الطبري، وبين الخطيب في (المدرج)، أن ذلك وهم منه، وأنه أدرج بعض الأسانيد على بعض».

وقال العيني في شرحه عمدة القارئ: ١٦/ ١٩٨: وقع في رواية عبد الرحمن بن مهدي عن إبراهيم بن سعد مع «خزيمة بن ثابت»، أخرجه أحمد والترمذي. ورواية من قال: مع أبي خزيمة. أصح. =

المسألة الرابعة: أن عثمان بن عفان - رضي اللَّه عنه - جعل الصحف التي عند حفصة إماماً في هذا الجمع الأخير، وأنه قرن بزيد بن ثابت فيما رواه البخاري والترمذي وغيرهما ثلاثة من قريش: سعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد اللَّه بن الزبير.

وفي رواية الطبري أنه قرن بزيد أبان بن سعيد بن العاص وحده.

وقد رجح العلماء القول الأول، وضعّفوا الآخر.(١)

وقال القرطبي: وما ذكره البخاري والترمذي أصح.(٢)

المسألة الخامسة: وجه جمع عثمان الناس على مصحف، وقد سبقه إلى ذلك أبو بكر وفرغ منه.

يقول القرطبي: إن عثمان - رضي اللَّه عنه - لم يقصد بما صنع جمع الناس على تأليف المصحف، ألا ترى كيف أرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك.

=قال: والذي وجد معه آخر سورة التوبة أبو خزيمة ، بالكنية ، والذي وجد معه الآية من الأحزاب خزيمة ، واسم أبي خزيمة لا يعرف ، وهو مشهور بكنيته ، وهو ابن يزيد ابن أصرم.

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٢.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٢.

وإنما فعل ذلك عثمان لأن الناس اختلفوا في القراءة بسبب تفرق الصحابة في البلدان، واشتد الأمر في ذلك وعظم اختلافهم وتشبثهم، ووقع بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفة - رضي الله عنه -.[١]

المسألة السادسة: عدد المصاحف التي أمر عثمان بنسخها:

ذكر ابن عطية أن عثمان بن عفان نسخ من المصحف نسخاً ووجه بها إلى الآفاق، وأمر بما سواها من المصاحف أن تحرق أو تخرق - تروى بالحاء غير المنقوطة، وتروى بالخاء على معنى ثم تدفن - ورواية الحاء غير المنقوطة أحسن.[٢]

قال القرطبي: وقال غيره - أي غير ابن عطية -: قيل: سبعة[٣]. وقيل: أربعة. وهو الأكثر[٤]، فوجَّه للعراق والشام ومصر بأمهات[٥]،

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٥١ وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: ٩/ ٢١: وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القرآن حين قرأوا بلغاتهم على اتساع اللغات.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٢ - وتفسير القرطبي: ١/ ٥٤ - وانظر المصاحف لابن أبي داود: ٤٣-.

(٣) وهو قول أبي حاتم السجستاني. المصاحف لابن أبي داود: ٣٤، وانظر الزيادة والإحسان في علوم القرآن: ٢/ ٥١٩ بتحقيقي. وأشار مكي في الإبانة إلى قول السجستاني، وقال: ورواته أكثر. الإبانة: ٤٩.

(٤) وهو قول أبي عمرو. انظر: المقنع: ٩، قال: وهو الذي عليه الأئمة. وقال ابن حجر والعيني والسيوطي: المشهور أنها خمسة. انظر: فتح الباري: ٩/ ٢٠ - وعمدة القاري: ١٦/ ١٩٩ - والإتقان: ١/ ١٨٩.

(٥) وبقي الرابع في المدينة، ومن قال: إنها سبعة، قال: وأرسل إلى مكة، وإلى الشام، وإلى=

فاتخذها قراء الأمصار معتمداً اختياراتهم، لم يخالف أحد منهم مصحفه على النحو الذي بلغه.(١)

المسألة السابعة: الآيات المفقودة في الجمعين:

ورد في رواية الطبري أن زيد بن ثابت فقد آية الأحزاب ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٣] ووجدها مع خزيمة بن ثابت، وأنه فقد في نفس الجمع آية التوبة ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة ١٢٨- ١٢٩] وأنه وجدها مع رجل آخر يدعى خزيمة أيضاً.

وفي رواية البخاري: عن زيد بن ثابت قال: لما نسخت الصحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول اللّه ﷺ يقرؤها، لم أجدها إلا مع خزيمة الأنصاري الذي جعل رسول اللّه شهادته بشهادة رجلين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾(٢).

=اليمن وإلى البحرين، وإلى البصرة، وإلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحداً. وانظر فتح الباري لابن حجر: ٩/ ٢٠ - وعمدة القاري للعيني: ١٦/ ١٩٩.

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٥٤.

(٢) انظر: تفسير القرطبي : ١/ ٥١ والرواية في البخاري، كتاب : فضائل القرآن ، باب: =

وعند الترمذي: فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فالتمستها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت، أو أبي خزيمة فألحقتها في سورتها.[١]

ويظهر من الأدلة أن الآية الأولى - آية التوبة - فقدت في الجمع الأول، وهو جمع أبي بكر، قال ابن عطية: وهو أصح.[٢]

وفي جمع عثمان فقدت الآية التي في الأحزاب.

وأبو خزيمة الذي وجدت معه آية التوبة، هو غير خزيمة بن ثابت الذي وجدت معه آية الأحزاب، فهذا هو المعروف بذي الشهادتين[٣]، شهد

=جمع القرآن: ٩/ ١١.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥١.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥١ - وتفسير القرطبي: ١/ ٥١ - وعمدة القاري للعيني: ١٦/ ٢٠٠.

(٣) سمي بذي الشهادتين لكونه شهد بتصديق رسول الله ﷺ وذلك حين ابتاع ﷺ فرساً من أعرابي، وقبل أن يقبض رسول الله ﷺ الأعرابي ثمن الفرس ساومه آخرون، فأنكر الأعرابي أن الرسول ﷺ قد ابتاعه منه، وطلب الشهود، فشهد خزيمة بتصديق رسول الله ﷺ. وخزيمة لم يشهد البيع، فجعل ﷺ شهادته بشهادة رجلين. أخرجه أبو داود في سننه: كتاب: الأقضية، باب: إذا علم الحاكم صدق الشاهد الواحد يجوز أن يحكم به: ٣/ ٣٠٨ - قال ابن القيم: كان فرضاً على كل من سمع هذه القصة أن=

بدراً وما بعدها، وقتل يوم صفين مع علي - رضي اللّه عنه -.[(١)]

المسألة الثامنة: حول إثبات النص القرآني:

إن قول زيد - رضي اللّه عنه -: «فقدت آية من سورة الأحزاب... إلى قوله: فوجدتها مع خزيمة»، وقوله: «فلم أجد فيه هاتين الآيتين: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يوحي بإثبات النص القرآني بقول الواحد، وهو ما ينعق به بعض المبتدعة والملحدين، ويطعنون به في القرآن العظيم، وقد تصدى لهم أهل العلم، وبينوا زيف مقولتهم، ومن أوجه الرد عليهم:

أن خزيمة - رضي اللّه عنه - لما جاء بهما تذكرهما كثير من الصحابة، وقد كان زيد يعرفهما، ولذلك قال: فقدت آيتين من آخر سورة ﴿التَّوْبَةُ﴾ ولو لم يعرفهما لم يدرِ هل فقد شيئاً أو لا، فالآية إنما ثبتت بالإجماع لا بخزيمة وحده.

ومن ذلك: أنها ثبتت بشهادة خزيمة وحده لقيام الدليل على صحتها

=يشهد أن رسول اللّه ﷺ قد بايع الأعرابي، وذلك من لوازم الإيمان، والشهادة بتصديقه ﷺ وهذا مستقر عند كل مسلم، ولكن خزيمة تفطن لدخول هذه القضية المعينة تحت عموم الشهادة لصدقه في كل ما يخبر به، فلا فرق بين ما يخبر به عن اللّه، وبين ما يخبر به عن غيره في صدقه في هذا وهذا، ولا يتم الإيمان إلا بتصديقه في هذا وهذا، فلما تفطن خزيمة دون من حضر لذلك، استحق أن تجعل شهادته بشهادتين. أعلام الموقعين لابن القيم: ٢/ ١٣٨.

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ٩.

في صفة النبي ﷺ، فهي قرينة تغني عن طلب شاهد آخر بخلاف آية ﴿الأَحْزَاب﴾ فإن تلك ثبتت بشهادة زيد وأبي خزيمة لسماعهما إياها من النبي ﷺ.(١)

ومن ذلك: أن زيداً صرح بأنه كان يسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها - آية الأحزاب - فهو قد سمعها وعلم موضعها من السورة بتعليم رسول الله ﷺ، وهو إنما تتبع الرجال للاستظهار لا لاستحداث علم. والله أعلم.(٢)

المسألة التاسعة: في التأييد الذي لقيه عثمان - رضي الله عنه - لحرقه المصاحف:

حين نسخ عثمان المصاحف، وأرسل بها إلى النواحي، أمر ما سواها أن تحرق أو تخرق سعياً منه إلى جمع الناس على مصحف واحد، وقد وافقه الصحابة على فعله فكان إجماعاً.

ذكر أبو بكر الأنباري في كتاب (الرد) عن سويد بن غَفَلَة(٣)، قال: سمعت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول: يا معشر الناس اتقوا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٧.

(٢) انظر: تفسير الخازن: ١/ ٩.

(٣) قال ابن حجر في التقريب ١/ ٣٤١: غَفَلَة، بفتح المعجمة والفاء، مخضرم من كبار التابعين توفي سنة (٨٠هـ).

اللَّه! وإياكم والغُلُو في عثمان، وقولكم: حرَّاق المصاحف، فواللَّه ما حرقها إلا على ملأ من أصحاب محمد ﷺ.(١)

وعن عمير بن سعيد(٢) قال: قال علي بن أبي طالب: لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان.(٣)

وعن قتادة قال: قال ابن مسعود: مَنْ كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب رسول اللَّه، فإنهم كانوا أَبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هَدْيَاً، وأحسنها حالاً، اختارهم اللَّه لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، اتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.(٤)

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٤ - والرواية في المقنع: ١٨ - وانظر: نكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاني: ٣٥٩ - ومصاعد النظر للبقاعي: ١/ ٤٣٧.

(٢) هو عمير بن سعيد النخعي الصهباني، ثقة، روى عن علي وأبي موسى وابن مسعود وغيرهم، توفي سنة (١٠٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٤٤٣ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٨/ ١٤٦.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٤ - والمصاحف لابن أبي داود: ٣٠ - ونكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاني: ٣٥٩ - وفضائل القرآن لأبي عبيد: ١٩٤ ط غاوجي والمرشد الوجيز لأبي شامة: ٥٣.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٩. والمصاحف لابن أبي داود: ١/ ٥٩ - وهكذا صار فعل= =عثمان - رضي اللَّه عنه - سنة متبعة في التخلص من المصاحف التالفة.

المسألة العاشرة: في حرق المصاحف ردٌّ على القائلين بقدم الحروف والأصوات:

قول علي بن أبي طالب - رضي اللّه عنه - في الحديث: «وأمر - أي عثمان - بما سوى ذلك من القرآن أن يحرق» وقول عثمان: «إني قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم» فيه ردٌّ على الحلولية والحشوية القائلين بقدم الحروف والأصوات، وأن القراءة والتلاوة قديمة، وأن الإيمان والروح قديم[1] كما أن في فعل عثمان - رضي اللّه عنه - وإقرار الصحابة لهبيان لكيفية التخلص من تالف أوراق المصاحف وكتب العلم.

المسألة الحادية عشرة: في اختيار زيد بن ثابت - رضي اللّه عنه - دون غيره من القراء للجمع:

نصت الروايات السابقة أن أبا بكر وعمر وعثمان - رضي اللّه عنهم- كلَّفوا زيد بن ثابت لجمع القرآن، مع وجود غيره من الحفاظ الجامعين والسابقين إلى الإسلام، كابن مسعود وأبيّ بن كعب، ومَنْ هُمْ في

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٥ وقد بسط الحديث وردَّ على القائلين بقدم الحروف والأصوات.

قال ابن حجر في الفتح: ٩/ ٢١: استدل بتحريق عثمان الصحف على القائلين بقدم الحروف والأصوات؛ لأنه لا يلزم من كون كلام اللّه قديماً أن تكون الأسطر المكتوبة في الورق قديمة، ولو كانت هي عين كلام اللّه لم يستجز الصحابة إحراقها، واللّه أعلم.

منزلة أعظمُ من منزلة زيد بن ثابت، الأمر الذي جعل بعض من وجد في نفسه أنه أحق من زيد للقيام بهذا العمل الجليل، ونيل هذا الشرف العظيم، أن يكره لزيد ذلك، وأن لا ينقاد لأمر الخليفة عثمان، باعتماد المصحف الإمام، وحرق ما سواه.

فقد ورد عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: «أقرأ أمتي أُبيّ بن كعب.»[١] «وقال: من سرَّه أن يقرأ القرآن غضاً كما أُنزل فليقرأ بقراءة ابن أم عبد»[٢].

ولمكانة ابن مسعود - رضي اللّه عنه - عند أهل العراق خاصة، ولما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: «أقرأنا أبي»، كتاب: التفسير، باب: قوله: ما ننسخ من آية، البخاري مع الفتح: ٨/ ١٦٧ - والترمذي في السنن، كتاب: المناقب، باب: مناقب معاذ وزيد...: ٥/ ٦٦٥ بلفظ: وأقرؤهم لكتاب اللّه أُبي، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في سننه، المقدمة: ١/ ٥٥.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند من رواية عمر: ١/ ٧ - ٢٦ - ٣٨ - ٤٤٥ - وابن ماجه في سننه: ١/ ٤٩ - وقال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٢٨٧: رواه أحمد والطبراني وفيه عاصم بن أبي النجود وهو على ضعفه حسن الحديث، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير فرات بن محبوب وهو ثقة... وقال الحافظ العراقي: أخرجه أحمد والنسائي في الكبرى من حديث عمر، والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود، وقال الترمذي: حسن صحيح. تخريج الأحياء: ١/ ٢٨٠ وقد روى هذا الحديث من عدة طرق، ومن عدد من الصحابة، انظر في ذلك مجمع الزوائد: ١٠/ ٢٨٧ - ٢٨٨.

رأى من أولويته للقيام بهذا الأمر، أشار على أهل العراق برفض هذا العمل، والاحتفاظ بالمصاحف التي في أيديهم.

قال ابن شهاب في الحديث الذي أخرجه الترمذي: أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله ابن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف، وقال: يا معشر المسلمين أعْزَلُ عن نسخ المصاحف ويتولاه رجل، والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر - يريد زيد بن ثابت - ولذلك قال: يا أهل العراق، اكتموا المصاحف التي عندكم، وغُلُّوها فإن الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] فالقوا الله بالمصاحف.(١)

ويعلل أبو بكر الأنباري هذا العمل من ابن مسعود رضي الله عنه، وما بدا منه من نكير بأن ذلك كان نتيجة الغضب، وهو أمر لا يؤخذ به، بدليل أنه رضي الله عنه حين زال الغضب عرف حسن اختيار عثمان ومن ومعه من أصحاب رسول الله ﷺ، وبقي على موافقتهم، وترك الخلاف معهم.(٢)

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة التوبة: ٥/ ٢٨٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح - أخرجه ابن أبي داود في المصاحف: ١٧ - وأبو عبيد في الفضائل: ١٥٥ ط غاوجي - وأورده الذهبي في السير: ١/ ٤٨٧ - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٤ - وفتح الباري لابن حجر: ٩/ ١٧.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٣ - ونكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاني: ٣٦٤.

وقد جاء اختيار زيد بن ثابت نتيجة حفظه للقرآن بمحضر من رسول اللَّه ﷺ، ولكونه من ألزم الناس كتابة للوحي عند رسول اللَّه ﷺ ثم لما كان يتمتع به من الشباب والنشاط، وهي الخصال التي ذكرتها الرواية الواردة في جمع أبي بكر السابقة، فكونه شاباً يكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلاً يكون أوعى له، وكونه لا يُتَّهَمُ تركن النفس إليه، وكونه كان يكتب الوحي يكون أكثر ممارسة، وهي الصفات التي أهَّلته لجمعه زمن عثمان[1]، ولهذا يقول ابن الأنباري: لم يكن الاختيار لزيد من أبي بكر وعمر وعثمان على عبد اللَّه بن مسعود في جمع القرآن، وعبد اللَّه أفضل من زيد، وأقدم في الإسلام، وأكثر سوابق، وأعظم فضائل إلا لأن زيد أحفظ للقرآن من عبد اللَّه، إذ وعاه كله ورسول اللَّه ﷺ حيٌّ، والذي حفظ منه عبد اللَّه نيفٌ وسبعون سورة، ثم تعلم الباقي بعد وفاة رسول اللَّه ﷺ، فالذي ختم القرآن وحفظه ورسول اللَّه ﷺ حي أولى بجمع المصحف.[2]

ثم إن الموضوع يتعلق بالكتابة وزيد هو كاتب النبي ﷺ وإذا أطلق الكاتب انصرف إليه.

---

(١) انظر: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية لغانم قدوري: ١٠٤.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٣ والمقنع للداني: ١٢١ - وقد سبق الخلاف في حفظ ابن مسعود القرآن كاملاً زمن النبي ﷺ.

والحق أن ما أوكل إلى زيد بن ثابت شرف عظيم، غير أنه ليس مقياساً للخيرية، كما أنه ليس طعناً في الذين لم يوكل إليهم العمل، ولا أدل على ذلك من تقديم زيدٍ على أبي بكر وعمر رضي اللّه عنهما، لكونه أحفظ منهما وليس هو خير منهما ولا مساوياً لهما في الفضائل والمناقب، ولهذا فتقديم زيد على ابن مسعود لم يكن طعناً فيه ولا انتقاصاً منه.(١)

المسألة الثانية عشرة: حول ما ورد من كون علي - رضي اللّه عنه - هو أول من جمع القرآن:

ذهب ابن جُزي من بين المفسرين إلى كون علي - رضي اللّه عنه - هو أول من جمع القرآن بعد وفاة رسول اللّه ﷺ.(٢)

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٣ - ونكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاني: ٣٦٧ - وقد قيل: قُدِّم زيد لكونه شهد العرضة الأخيرة. وقيل: إنما أوكل العمل إلى زيد وهو بالمدينة، وعبد اللّه يومها بالكوفة، فلم يؤخر عثمان رضي اللّه عنه ذلك إلى أن يرسل إلى ابن مسعود ويحضره. وقيل غير ذلك. انظر: فتح الباري لابن حجر: ٩/ ١٩ - والمستدرك للحاكم: ٢/ ٢٢٩ - وجوامع السيرة لابن حزم: ٢٦.

(٢) ومعتمده في ذلك ما رواه ابن أبي داود في المصاحف بسنده عن أشعث عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي ﷺ أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلى الجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف، ففعل. فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام: أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ قال: لا إلا أني أقسمت ألا أرتدي برداء إلا الجمعة. فبايعه ثم رجع.

المصاحف لابن أبي داود: ١٠ قال: لم يذكر (المصحف) إلا أشعث وهو لين الحديث، وإنما رووا: حتى أجمع القرآن؛ بمعنى أتمّ حفظه، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن أنه جمع=

ويقول: كان القرآن على عهد رسول الله ﷺ متفرقاً في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في بيته فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير ولكنه لا يوجد.(١)

=القرآن. اهـ. قال ابن عقيلة المكي: والحمل على جمعه في الصدر ينافيه ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصاحف عن ابن سيرين وفيه: أنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ...» الزيادة والإحسان: ٢/ ٥٨٦.

ثم أخرج عن عبد بن خير عن علي بسند حسن أنه قال: أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر - رحمة الله على أبي بكر - هو أول من جمع كتاب الله. المصاحف: ٥.

ولضعف الرواية الأولى لم يذكرها المفسرون في مقدماتهم، كما ضعّفها ابن حجر لانقطاعها، ورجح رواية عبد بن خير هذه لأنها أصح. فتح الباري: ٩/ ١٢ وأخرجها ابن الضريس في فضائله: ٣٦ وأوردها ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق في ترجمة الإمام علي: ٢٨ وفي الزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ٢/ ٥٨٦: عن جمع علي أنه جمع خاص له ولأهل العلم مثله، وهو أنه جمع القرآن وضم إليه تفسير آياته، والناسخ والمنسوخ منها فصار نفعه خاصاً بأهل العلم، بخلاف جمع سيدنا أبي بكر بأنه أول ما جمعه جمعاً عاماً يتداوله كل أحد.

ويقول الزرقاني عن رواية جمع علي السابقة: «فقصاراها أن تثبت أن علياً أو بعض الصحابة كان قد كتب القرآن في مصحف، لكنها لا تعطي هذا المصحف تلك الصفة الإجماعية، ولا تخلع عليه تلك المزايا التي للمصحف المجموع في عهد أبي بكر، بل هي مصاحف فردية. مناهل العرفان: ١/ ٢٥٤.

(١) تفسير ابن جزي: ١/ ٦.

المسألة الثالثة عشرة: حكم مخالفة مصحف عثمان بالزيادة والنقصان:

أجمعت الأمة الإسلامية أن القرآن اسم لكلام اللَّه الذي جاء به محمد بن عبد اللَّه ﷺ معجزة خالدة له، وأنه محفوظ في الصدور، مقروء باللسان، مكتوب في المصاحف، معلومة سُوَرُه وآياته، مبرّأة من الزيادة والنقصان حروفه وكلماته، ومن ادَّعى زيادة عليه أو نقصاناً منه فقد أبطل الإجماع، وردَّ ما جاء به الرسول ﷺ من القرآن المنزَّل، وردَّ قوله تعالى ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨]، وأبطل آية رسول اللَّه ﷺ الدالَّة على صدقه، لأنَّه إذ ذاك يصير القرآن مقدوراً عليه، فلا يكون حجة ولا آية.(١)

وقد زعم بعض من زاغ عن الملة، وخرج عن إجماع المسلمين متبعاً هواه حتى ضلَّ به عن سواء السبيل، فادَّعى أن مصحف عثمان لم يشتمل على جميع القرآن، كما ادَّعى أن فيه زيادة في مواضع، وإسقاطاً في مواطن، وأنه اشتمل على تصحيف حروف مفسدة مغيّرة، وأن عثمان أخطأ ولم يصب في إسناد الجمع إلى زيد بن ثابت، وغير ذلك مما أجاز به لنفسه مخالفة مصحف عثمان، والقراءة بما يراه، مدعياً أن من الصحابة من قرأ بما يخالف

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨٠.

به مصحف عثمان... إلى غير ذلك مما أوحاه إليه شياطين الإنس والجن.

وقد انبرى له ولأمثاله ثلة من أهل العلم، فتصدوا لافتراءاتهم، وبينوا زيف مقولاتهم الفاسدة، حتى انجلى الحق وبان، كابن الأنباري والباقلاني وغيرهما من أئمة الإسلام، حيث أوضحوا حكم الشرع فيهم، وأنزلوهم منزلة مَنْ يدعي أن الصلوات المفروضة هي خمسون صلاة، وأن تزويج تسع من النساء حلال، وغير ذلك مما لم يثبت في الدين، ويحكم على معتقده بالكفر المبين، وقد نقل القرطبي بعض مقولات هذا الزائغ، فكان مما قال:

- أن المصحف الذي جمعه عثمان - رضي اللَّه عنه - لا يشتمل على جميع القرآن، إذ كان قد أسقط منه خمسمائة حرف، وذكر أن من القرآن (والعصر ونوائب الدهر) فادَّعى أن جماعة المسلمين أسقطوا «ونوائب الدهر»[١]. وذكر أن منه (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس، وما كان اللَّه ليهلكها إلا بذنوب أهلها) فادَّعى أنه سقط على أهل الإسلام من القرآن (وما كان اللَّه ليهلكها إلا بذنوب أهلها) وذكر غير ذلك.

قال أبو بكر الأنباري: وذكر هذا الإنسان أن أُبيَّ بن كعب هو الذي قرأ (كأن لم تغن بالأمس وما كان اللَّه ليهلكها إلا بذنوب أهلها) وذلك

---

(١) هي قراءة شاذة. انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ١٧٩.

باطل، ولأن عبد اللَّه بن كثير قرأ على مجاهد، ومجاهد قرأ على ابن عباس، وابن عباس قرأ القرآن على أُبيّ بن كعب ﴿حَصِيداً كَأَن لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾، وفي رواية: وقرأ أُبيّ القرآن على رسول اللَّه ﷺ. وهذا الإسناد متّصل بالرسول عليه السلام، نقله أهل العدالة والصِّيانة، وإذا صحَّ عن رسول اللَّه ﷺ أمرٌ لم يؤخذ بحديث يخالفه.

وقال يحيى بن المبارك اليزيدي: قرأت القرآن على أبي عمرو بن العلاء، وقرأ أبو عمرو على مجاهد، وقرأ مجاهد على ابن عباس، وقرأ ابن عباس على أُبيّ بن كعب، وقرأ أُبيّ على النبي ﷺ، وليس فيها (وما كان اللَّه ليهلكها إلا بذنوب أهلها) قال: فمن جحد أن هذه الزيادة أنزلها اللَّه تعالى على نبيه عليه السلام فليس بكافر ولا آثم[١].

- كما ادَّعى أن عثمان والصحابة - رضي اللَّه عنهم - زادوا في القرآن ما ليس فيه، فقرأ في صلاة الفرض والناس يسمعون: (اللَّه الواحد الصمد) فأسقط ﴿قُلْ هُوَ﴾ وغيَّر لفظ ﴿أَحَدٌ﴾، مدَّعياً أن ما قرأ به هو الصواب[٢].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨٣.

(٢) قال أهل التفسير: نزلت الآية جواباً لأهل الشرك، لما قالوا لرسول اللَّه ﷺ: صِف لنا ربَّك. أمِنْ ذهب أم من نحاس أم من صُفْر؟ فقال عز وجل رداً عليهم: ﴿قل هو اللَّه أحد﴾ ففي ﴿هو﴾ دلالة على موضع الردِّ ومكان الجواب، فإذا أسقط بطل معنى الآية. تفسير القرطبي: ١/ ٥٨ - وفي القراءة انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ١٨٢.

- وذكر دليلاً لافترائه بأن مصحف عثمان اشتمل على حروف مفسدة مغيّرة قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، وادَّعى أن الحكمة والعزة لا يشاكلان المغفرة، وأن الصواب: «وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم»[1]. وأدخل في آية من القرآن ما لا يضاهي فصاحة رسول اللّه ولا يدخل في لسان قومه وادعى أنه من القرآن، وغير ذلك مما لا يُعرف في نحو المعربين، ولا يحمل على مذاهب النحويين[2].

- وذكر هذا القائل أن له أن يخالف مصحف عثمان كما خالفه أبو عمرو بن العلاء، فقرأ «إنّ هذيْن» «فأصدق وأكون» «وبشر عبادي الذين» بفتح الياء وغير ذلك.

وكما خالف ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي مصحف عثمان فقرأوا ﴿كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣] بإثبات نونين، يفتح الثانية بعضهم ويسكنها بعضهم. وكما قرأ حمزة (أَلا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ) بغير تنوين وإثبات الألف يوجب التنوين، وهو مما شنّع به على القرّاء، إلى غير ذلك من الادعاءات والافتراءات التي افترى بها على كتاب اللّه الذي

---

(١) يقول العلامة صديق خان: قال ذلك على وجه التسليم لأمر اللّه والانقياد له، ولهذا عدل عن الغفور الرحيم إلى العزيز الحكيم، وقيل: قاله على وجه الاستعطاف كما يستعطف السيد بعبده. فتح البيان: ٣/ ١٢٣.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨٢.

﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

قال أبو عبيد: ما يُروى من الحروف التي تخالف المصحف الذي عليه الإجماع من الحروف التي يعرف أسانيدها الخاصة دون العامة فيما نقلوا فيه عن أبي وعن ابن عباس وما حكوه عن عمر بن الخطاب، لم ينقلها أهل العلم على أن الصلاة بها تحل، ولا أنها معارَض بها مصحف عثمان؛ لأنها حروف لو جحدها جاحد أنها من القرآن لم يكن كافراً؛ والقرآن الذي جمعه عثمان بموافقة الصحابة له لو أنكر بعضه منكر كان كافراً، حكمه حكم المرتد يُستتاب؛ فإن تاب وإلا ضُربت عنقه.

وقال أبو بكر الباقلاني: وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] دلالة على كفر هذا الإنسان؛ لأن اللّه عزَّ وجلَّ قد حفظ القرآن من التغيير والتبديل، والزيادة والنقصان[(١)].

قال: وفيه إبطال الإجماع الذي به يحرس الإسلام، وبثباته تقام الصلوات، وتؤدى الزكوات وتتحرى المتعبّدات.

وفي قوله تعالى: ﴿الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود: ١] دلالة على بدعة هذا الإنسان، وخروجه إلى الكفر؛ لأن معنى ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ منع الخلق من القدرة على أن يزيدوا فيها، أو ينقصوا منها، أو يعارضوها بمثلها.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨٤.

وهذا الإنسان قد زاد فيها، وأسقط منها، والإسقاط نفي له وكفر بـه، ومـن كفر بحرف من القرآن فقد كفر به كله وأبطل معنى الآية[١].

وقد ضرب الأئمة أمثلة تؤكد فساد مقولة هذا المدعي ونحلتـه، وتبـين زيف دعاويهم، كأن يقال لهم: أخبرونا عن القرآن الذي نقـرؤه ولا نعـرف نحن ولا مَنْ كان قبلنا من أسلافنا سواه؛ هل هو مشتمل على جميـع القـرآن من أوله إلى آخره، صحيح الألفاظ والمعاني، عارٍ عـن الفسـاد والخلـل؟ أم هو واقع على بعض القرآن، والبعـض الآخـر غـائب عنـا كمـا غـاب عـن أسلافنا والمتقدمين من أهل ملتنا؟

فإن أجابوا بأن القرآن الذي معناه مشتمل على جميع القـرآن لم يسـقط منه شيء، صحيح الألفاظ والمعاني، سليمها من كل زلل وخلل؛ فقد قضوا على أنفسهم بالكفر حين زادوا فيه «فليس له اليوم ههنـا حميـم، وليـس لـه شراب إلا من غسلين، من عـين تجـري مـن تحـت الجحيـم» فـأي زيـادة في القرآن أوضح من هذه، وكيف تخلط في القرآن وقد حرسه الله منهـا ومنـع كل مُفتَر ومُبطل من أن يلحق بها مثلها، وإذا تُؤُمِّلـتْ وبُحـث عـن معناهـا وُجِدت فاسدة غير صحيحة، لا تشاكل كلام الباري تعالى ولا تخلط به، ولا توافق معناه، وذلـك أن بعدهـا ﴿لا يَأْكُلُـهُ إِلاَّ الْخَـاطِؤُونَ﴾ [الحاقـة: ٣٧] فكيف يؤكل الشراب، والذي أتى به قبلها: «فليس لـه اليـوم هاهنـا حميـم،

---

(١) المصدر السابق.

وليس له شراب إلا من غسلين من عين تجري من تحت الجحيم لا يأكله إلا الخاطئون». فهذا متناقض يفسد بعضه بعضاً، لأن الشراب لا يؤكل، ولا تقول العرب: أكلت الماء. لكنهم يقولون: شربته، وذقته، وطعمته؛ ومعناه فيما أنزل الله تبارك وتعالى على الصحة في القرآن الذي مَن خالف حَرْفاً منه كفر. ﴿وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ لا يأكل الغسلين إلا الخاطئون، أو لا يأكل الطعام إلا الخاطئون. الغسلين: ما يخرج من أجوافهم من الشحم وما يتعلق به من الصَّديد وغيره؛ فهذا طعام يؤكل عند البلية والنقمة، والشراب محال أن يؤكل.

فإن ادّعى هذا الإنسان أن هذا الباطل الذي زاده من قوله «من عين تجري من تحت الجحيم» ليس بعدها ﴿لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِؤُونَ﴾، ونفى هذه الآية من القرآن لِتَصحّ له زيادته، فقد كفر لما جحد آية من القرآن.

وأما ما ورد عن بعض الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - أنهم قرأوا بكذا وكذا فهو على جهة البيان والتفسير، لا أن ذلك قرآن يُتلى، وكذلك ما نُسخ لفظه وحكمه أو لفظه دون حكمه ليس بقرآن.(١)

القسم الثاني: ترتيب القرآن

وفيه ثلاث مسائل وفائدة:

المسألة الأولى: حول ترتيب الآيات:

---

(١) المصدر السابق: ١/ ٨٥.

يقول الخازن: كان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف من جبريل عليه السلام إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقيب آية كذا في سورة كذا(١).

روى أبو بكر بن العياش(٢) بسنده عن ابن عباس قال: آخر ما نزل من القرآن ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠] فقال جبريل للنبي عليه السلام: يا محمد ضعها في رأس ثمانين ومائتين من البقرة.(٣)

ونقل ابن عطية عن مكي قوله: إن ترتيب الآيات في السور ووضع البسملة في الأوائل هو من النبي ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أول سورة ﴿بَرَاءةٌ﴾ تُركت بلا بسملة. قال القرطبي: هذا أصح ما قيل في ذلك.(٤)

---

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٠.

(٢) هو أبو بكر بن عيَّاش بن سالم الأسدي، قيل اسمه شعبة، شيخ الإسلام، فقيه، محدث، مقرئ، وثقه ابن معين وغيره، وتوفي سنة (١٩٣هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ٨/ ٥٠٧ - وشذرات الذهب لابن العماد: ١/ ٣٣٤.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٠.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٣ - وتفسير القرطبي: ١/ ٥٩.

وقد أجمع أهل العلم أن ترتيب الآيات في السور توقيفي، ونقل الإجماع على ذلك الزركشي في البرهان، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته، وعبارته: ترتيب الآيات في=

كما حذر أهل العلم الأعراض عن ترتيب المصحف العثماني، ومحاولة اتخاذ ترتيب آخر لآياته أو سوره، وفي ذلك يقول القرطبي نقلاً عن ابن الأنباري: من عمل على ترك الأثر، والإعراض عن الإجماع، ونظم السور على منازلها بمكة والمدينة، لم يدر أين تقع الفاتحة لاختلاف الناس في موضع نزولها، ويضطر إلى تأخير الآية التي في رأس خمس وثلاثين ومائتين من البقرة إلى رأس الأربعين، ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به، وردَّ على محمد ﷺ ما حكاه عن ربه تعالى.(١)

المسألة الثانية: حول ترتيب النزول:

قال الخازن: كان القرآن ينزل على رسول الله ﷺ مدة رسالته نجوماً عند الحاجة وحدوث ما يحدث، فكان ﷺ يلقنه أصحابه، مبيناً لهم موضعه ومكانه من التنزيل، فكانوا يحفظون موضعه كما يحفظون نصه، وكان أول

=سورها واقع بتوقيفه عليه السلام وأمره، من غير خلاف في هذا بين المسلمين. وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم، فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا. انظر: البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير: ٧٣ والبرهان للزركشي: ١/ ٢٥٦، والإتقان للسيوطي: ١/ ١٩٣ - وانظر فتح الباري لابن حجر: ٩/ ٤٠ - والنصوص الدالة على ذلك كثيرة مبسوطة في مظانها، ينظر في المستدرك للحاكم: ٢/ ٢٢٩ والمصاحف لابن أبي داود: ٧ - وشرح السنة للبغوي: ٤/ ٩١ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٥٦٤ - ٥٧١.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٢.

ما نزل بمكة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ثم ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ ثم ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ ثم ﴿المدّثر﴾ ثم ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ ثم ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ثم ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ ثم ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ثم ﴿وَالْفَجْرِ﴾ ثم ﴿وَالضُّحَى﴾ ثم ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ ثم ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ثم ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ ثم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ثم ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ثم ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي﴾ ثم ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ثم ﴿الفيل﴾ ثم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم ﴿وَالنَّجْمِ﴾ ثم ﴿عَبَسَ﴾ ثم ﴿سورة القدر﴾ ثم ﴿البروج﴾ ثم ﴿وَالتِّينِ﴾ ثم ﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾ ثم ﴿القارعة﴾ ثم ﴿الْقِيَامَة﴾ ثم ﴿الهُمَزَة﴾ ثم ﴿المرسلات﴾ ثم ﴿قَاف﴾ ثم ﴿سورة البَلَد﴾ ثم ﴿الطارق﴾ ثم ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ ثم ﴿صَاد﴾ ثم ﴿الأعراف﴾ ثم ﴿الْجِنّ﴾ ثم ﴿يس﴾ ثم ﴿الْفُرْقَانَ﴾ ثم ﴿فَاطِر﴾ ثم ﴿مَرْيَمَ﴾ ثم ﴿طه﴾ ثم ﴿الواقعة﴾ ثم ﴿الشعراء﴾ ثم ﴿النمل﴾ ثم ﴿الْقَصَصُ﴾ ثم ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ثم ﴿يونس﴾ ثم ﴿هود﴾ ثم ﴿يوسف﴾ ثم ﴿الْحَجَرُ﴾ ثم ﴿الأنْعَامُ﴾ ثم ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ ثم ﴿لقمان﴾ ثم ﴿سَبَأ﴾ ثم ﴿الزمر﴾ ثم ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ ثم ﴿السجدة﴾ ثم ﴿حم عسق﴾ ثم ﴿الزخرف﴾ ثم ﴿الدخان﴾ ثم ﴿الجاثية﴾ ثم ﴿نُوح﴾ ثم ﴿إِبْرَاهِيم﴾ ثم ﴿الأنبِيَاء﴾ ثم ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ ثم ﴿تنزيل السَّجْدة﴾ ثم ﴿الطُّور﴾ ثم ﴿الْمُلْكُ﴾ ثم ﴿الحاقة﴾ ثم ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ ثم ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ثم ﴿النازعات﴾ ثم ﴿إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ﴾ ثم ﴿إِذَا السَّمَاء

انشَقَّتْ﴾ ثم ﴿الروم﴾ ثم ﴿العنكبوت﴾[(١)] وهي ثلاث وثمانون سورة على ما استقرّت عليه روايات الثقات[(٢)].

وأما ترتيب المدني من السور وهي واحد وثلاثون سورة، فهي على ترتيب الآتي:

﴿سورة البقرة﴾ ثم ﴿الأنفال﴾ ثم ﴿آل عمران﴾ ثم ﴿الأحْزَاب﴾ ثم ﴿الممتحنة﴾ ثم ﴿النِّسَاء﴾ ثم ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأرْضُ﴾ ثم ﴿الْحَدِيد﴾ ثم ﴿سورة محمد﴾ ثم ﴿الرعد﴾ ثم ﴿الرَّحْمن﴾ ثم ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ﴾ ثم ﴿الطَّلاق﴾ ثم ﴿لَّمْ يَكُنْ﴾ ثم ﴿الحشر﴾ ثم ﴿الفلق﴾ ثم ﴿النَّاس﴾ ثم ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ثم ﴿النُّور﴾ ثم ﴿الْحَجّ﴾ ثم ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾ ثم ﴿المجادلة﴾ ثم ﴿الحجرات﴾ ثم ﴿التحريم﴾ ثم ﴿الصف﴾ ثم ﴿الجمعة﴾ ثم ﴿التغابن﴾ ثم ﴿الْفَتْحُ﴾ ثم ﴿التَّوْبَةُ﴾ ثم ﴿المائدة﴾. قال الخازن: ومنهم من يقدم المائدة على التوبة، كما اختلف في سور هل هي مكية أو مدينة.[(٣)]، ولا يعني هذا أن السورة بتمامها نزلت قبل التي تليها، بل المراد أن فاتحتها نزلت قبل فاتحة التي تليها.

هذا وترتيب المصحف الذي بين أيدينا ليس حسب النزول، إذ لو كان

---

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٠.

(٢) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١١ - والبرهان للزركشي: ١/ ١٩٣.

(٣) انظر: تفسير تفسير الخازن: ١/ ١١.

كذلك لوجب أن ينتقض ترتيب الآيات داخل السورة، فقد صح وثبت أن الآيات كانت تنزل بالمدينة فتوضع في السورة المكية، كما كان ﷺ يأمر بذلك، ويبين موضعها بإشارة من جبريل، تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها -: وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده - تعني بالمدينة - وقد قدمتا في المصحف على ما نزل قبلهما بمكة[١].

المسألة الثالثة: حول ترتيب السور في المصحف العثماني:

اختلف السلف في ترتيب السور، فمنهم من كتب في مصحفه السور على تاريخ نزولها، وقدم المكي على المدني، ومنهم من جعل في أول مصحفه الحمد، ومنهم من جعل في أوله ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ومنهم من فعل غير ذلك، مما أحدث إشكالاً لدى الناظر في حكم ترتيب السور في المصحف العثماني، وحصيلة أقوال أهل العلم في ذلك ثلاثة أقوال: ذهب القاضي أبو بكر الباقلاني - كما ذكر ابن عطية - وابن جزي أنه توفيقي وقع باجتهاد من الصحابة، وذهب آخرون إلى أنه توقيفي من الشارع ومنهم القرطبي والخازن، وتوسط غيرهم فقالوا أكثره توقيفي وأقله توفيقي باجتهاد الصحابة ومنهم ابن عطية. وتفصيل ذلك:

الرأي الأول: أنه توفيقي باجتهاد من الصحابة: وقد انتصر لهذا الرأي من المفسرين ابن جزي فقال: ترتيب السور على ما هو الآن من فعل

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦١.

عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف، وقد قيل: إنه من فعل رسول الله ﷺ؛ وذلك ضعيف ترده الآثار الواردة في ذلك[١].

وهو رأي القاضي أبي بكر الباقلاني الذي قال: وترتيب السور اليوم هو من تلقاء زيد ومن كان معه، مع مشاركة من عثمان - رضي الله عنه - كما ذهب إليه مكي - رحمه الله - في تفسير سورة براءة.[٢] وقد ذكر ابن عطية أن جمع زيد بأمر أبي بكر لم تكن السور فيه مرتبة[٣]، وعلى ذلك جاء ترتيب مصحف عثمان - الذي اتخذ المصحف الذي في حوزة حفصة أم المؤمنين إماماً - باجتهاد من زيد وعثمان ومن معهم.

الرأي الثاني: أن ترتيب أكثر السور توقيفي من الشارع: وانتصر لهذا الرأي ابن عطية فقال: وظاهر الآثار أن السبع الطوال والحواميم والمفصَّل كان مرتباً في زمن النبي ﷺ، وكان في السور ما لم يرتب، فذاك هو الذي رُتِّبَ وقت الكَتْبِ[٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٧.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٣ - وتفسير القرطبي: ١/ ٥٩.

(٣) انظر تفسيره: ١/ ٥١.

(٤) انظر: تفسير اين عطية: ١/ ٥٣.

وممن انتصر لهذا الرأي أيضاً أبو جعفر بن الزبير الغرناطي، فقال مضيفاً لقول ابن عطية: الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية، ويبقى منها- أي من السور- قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف. انظر البرهان: ١/ ٢٧٥. وفيه إشارة إلى ﴿الأنفال﴾ و﴿براءة﴾=

....

=وهو ما ذهب إليه البيهقي. وقال السيوطي: وهو ما ينشرح له الصدر: أن ترتيب جميع السور توقيفي إلا براءة والأنفال. دلائل النبوة: ٧/ ١٥٢ - والإتقان: ١/ ١٩٨ وعن الحافظ ابن حجر: ترتيب بعض السور على بعض أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفاً، وإن كان بعضه جاء من اجتهاد الصحابة. فتح الباري: ٩/ ٢.

وقد استدل من ارتضى هذا الرأي بما أخرجه الحاكم - وغيره - بسنده إلى أبي يزيد الفارسي قال: قال لنا ابن عباس: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى ﴿الأنفال﴾ وهي من المثاني وإلى ﴿براءة﴾ وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ووضعتموها في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: إن رسول الله ﷺ كان يأتي عليه الزمان تنزل عليه السور ذوات عدد، فكان إذا أنزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتبه فيقول: ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، فكانت ﴿الأنفال﴾ من أوائل ما نزل بالمدينة، و﴿براءة﴾ من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها فظننا أنها منها، فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾. المستدرك: ٢/ ٢٢١، وأخرجه البيهقي في الدلائل: ٧/ ١٥٢. كما استشهدوا بأدلة أخرى ليس هذا مكان بسطها.

قلت: قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتُبين للناس ما نُزِّلَ إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ [النحل: ٤٤] وقول عقمان في الأثر «ولم يبين لنا» صريح في تعارضه مع نص الآية ولهذا طُعِنَ في الأثر من جهة سنده ومتنه، وقد استفاض الدكتور عبد السميع حسنين في التعليق عليه في تحقيقه لكتاب مصاعد النظر للبقاعي: ١/ ٤٤٣ - ٤٤٨، وخلاصة ما ذكره: أن في إسناده نظراً كبيراً، بل إن الأستاذ المحقق أحمد شاكر ذكر أنه ضعيف جداً بل لا أصل له، وساق الأدلة الدامغة على ذلك ، هذا من جهة السند، أما من جهة المتن فقد ذكر عن أستاذه أحمد محمد يوسف القاسم في كتابه « الإعجاز البياني في ترتيب =

الرأي الثالث: أن ترتيب السور توقيفي من الشارع: وهو رأي القرطبي والخازن، صرَّحا بذلك في مقدمتيهما.

قال القرطبي: وقال قوم من أهل العلم إن تأليف سور القرآن على ما

=القرآن الكريم وسوره» قوله: وهذا – أي ضم براءة إلى الأنفال بغير بيان رسول اللَّه ﷺ – غير مسلَّم إذ كيف نثبت في المصحف أمراً على مجرد الظن ومن عثمان وحده. ثم إن قوله «إن رسول اللَّه ﷺ كان مما يأتي عليه الزمان...... الخ» يدل في الجملة على التوقيف في القرآن. وقوله «فقبض رسول اللَّه ﷺ ولم يبين لنا أنها منها» بعيدٌ إذ ﴿الأنفال﴾ نزلت في السنة الثانية عقب غزوة بدر، وسورة ﴿التوبة﴾ نزلت في أواخر التاسعة بعد غزوة تبوك، وبعد خروج أبي بكر على رأس المسلمين إلى الحج، فكيف يُعْقَلُ أن يظل رسول اللَّه ﷺ زهاء خمسة عشر شهراً ولا يُبين للناس أنها منها أو غيرها؟ إنه بذلك يكون قد تأخر عن البيان في وقت الحاجة إليه، بل وما تقبل البيان، وحاشاه ﷺ أن يفعل ذلك، ثم إن إطلاق الاسم على كل منهما واختلافه فيهما يعين أن هذه غير تلك، فقد سمى النبي ﷺ كلاً منهما.

إلى أن قال: ثم إن عثمان – رضي اللَّه عنه – يقول: «فظننت أنه منها» وظنه هذا ليس حجة في أمر القرآن، فإنه وإن لم يقف على ما يفيد القطع في ﴿براءة﴾ و﴿الأنفال﴾ وفعل ما فعل بناء على ظنه إلا أن غيره وقف، وقبل ما فعله ولم يتوقف. اهـ.

قلت: النصوص التي جاءت تشهد أن أغلب السور كانت مرتبة بتوقيف النبي ﷺ، وليس معنى هذا أن السور الأخرى لم تكن مرتبة، أو ليس لها أدلة عند الصحابة الذين رتبوا مصاحفهم، حتى جاءت تلك المصاحف شبيهة في الترتيب إلى حد بعيد. بل قد يكون غاب عن بعضهم ما لم يغب عن الآخرين. واللَّه أعلم.

هو عليه في مصاحفنا كان عن توقيف من النبي ﷺ(١).

وقال الخازن: أمر - أبو بكر - بجمع المصحف في موضع واحد باتفاق من جميع الصحابة، فكتبوه كما سمعوه من رسول اللّه ﷺ من غير أن قدموا وأخروا شيئاً، أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول اللّه ﷺ... إلى أن قال: فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الآن.(٢)

وقد استدل القائلون بهذا الرأي بعدة أدلة منها:

ما رواه يونس عن ابن وهب قال: سمعت مالكاً يقول: إنما أُلِّف القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول اللّه ﷺ(٣).

وبما صح عن ابن عباس رضي اللّه عنهما أن النبي ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام مرة في رمضان، وأنه عرضه العام الذي توفي فيه مرتين(٤).

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٦٠.

(٢) تفسير الخازن: ١/ ١٠.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١٠/ ٦٠.

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر: ٩/ ٤٣.

ولا شك أن عرض جبريل للقرآن كان مرتباً سوره وآياته، ولهذا كلَّف أبو بكر زيداً بالجمع وهو من شهد العرضة الأخيرة، وقرأ على النبي ﷺ في العام الذي توفي فيه مرتين، فلا شك أنه رتبه على نحو ما سمعه من النبي ﷺ[(١)].

وبما ذكره ابن وهب في «جامعه» قال: سمعت سليمان بن بلال يقول: سمعت ربيعة يسأل: لِمَ قُدِّمت البقرة وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة، وإنما نزلتا بالمدينة؟!

فقال ربيعة: قد قُدِّمتا وأُلِّف القرآن على علم ممن أَلَّفه، وقد اجتمعوا على العلم بذلك، فهذا مما ننتهي إليه ولا نسأل عنه[(٢)].

وقد ذكر ابن الأنباري في كتابه الرد على من خالف مصحف عثمان: أن اللَّه تعالى أنزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا، ثم فرّق على النبي ﷺ في عشرين سنة، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر يسأل، ويوقف جبريل رسول اللَّه ﷺ على موضع السورة والآية، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف، فعله عن محمد خاتم النبيين عليه السلام عن رب العالمين.

وقال: فمن أخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة فهو كمن أفسد

---

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٠.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٩.

نظم الآيات، وغيَّر الحروف والكلمات، ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الأنعام، والأنعام نزلت قبل البقرة لأن رسول اللّه ﷺ أخذ هذا الترتيب وهو كان يقول: ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن[١].

وأما ما روي من اختلاف في ترتيب مصاحف ثلة من الصحابة، فإنما كان قبل العرض الأخير، وأن رسول اللّه ﷺ رتَّب لهم تأليف السور بعد أن لم يكن فعل ذلك[٢].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٥٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٠.

قلت: والذي يظهر لي بعد استعراض الأدلة أن الراجح هو القول بأن ترتيب السور تمَّ بتوقيف من الرسول ﷺ. وأن ما فعله زيد حين الجمع كان لعلمه بترتيب رسول اللّه ﷺ يوم عرض القرآن عليه، فهو مرتب من قِبَل اللّه تعالى، ومن قبل رسول اللّه ﷺ على الوجه الذي نقل.

وإضافة إلى ما ذُكر من الأدلة يقول صاحب المباني، رداً على القائلين بأن الترتيب كان باجتهاد الصحابة: فأي عقل يوجب تأخير سورة ﴿اقرأ﴾ إلى أخريات الكتاب وهو من أوله نزولاً، وتقديم قوله ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللّه﴾ إلى أول الكتاب وهو من آخره نزولاً؟! وكيف كان يوجب تأخير السور المكية وهي من أوائلها نزولاً، وتقديم السور المدنية وهي من أواخرها نزولاً؟! فعلمت بهذا أن هذا الأمر لا يهتدي إليه بعقل دون أن يكون له توقيف مَنْ سمع. مقدمتان في علوم القرآن: ٦١.

وقال الكرماني: ترتيب السور هكذا هو من عند اللّه تعالى في اللوح المحفوظ. انظر:=

(فائدة):

من قال بأن ترتيب القرآن توقيفي لا يُلْزِمُ تلاوته في الصلاة والدرس

=البرهان في متشابه تنزيل القرآن: ٢٣. وقال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات موضعها إنما هو بالوحي. انظر: تناسق الدرر للسيوطي: ٥٧.

وقال الزركشي: لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي من حكيم، إحداها بحسب الحروف كما في ﴿الحواميم﴾، وثانيها لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها كآخر ﴿الحمد﴾ في المعنى وأول ﴿البقرة﴾، وثالثها للوزن في اللفظ كآخر ﴿تبت﴾ وأول ﴿الإخلاص﴾. البرهان: ١/ ٢٦٠.

ويضيف السيوطي: ومما يدل على أنه توقيفي كون (الحواميم) رتبت ولاءً، وكذا (الطواسين)، ولم يرتب (المسبحات) ولاءً بل فصل بين سورها، وفصل بين ﴿طسم الشعراء﴾، و﴿طسم القصص﴾، بـ﴿طس﴾ مع أنها أقصر منها، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت (المسبحات) ولاءً، وأخرت ﴿طس﴾ عن ﴿القصص﴾. الإتقان: ١/ ١٩٨.

وثمرة الخلاف أن الذين يرون أن الترتيب توقيفي من عند الرسول ﷺ يتلمسون الحكم والفوائد والمناسبات بين السور، ويولون اهتماماً خاصاً لمعرفة تلك المناسبات، والربط بين السور.

ويحسن ختم هذه المسألة بما قاله الأستاذ محمد عبد الله دراز في هذا الشأن: إن كانت – أي السور والآيات – بعد تنزيلها قد جمعت عن تفريق، فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع، كمثل بنيان كان قائماً على قواعده، فلما أُريد نقله بصورته إلى غير مكانه، قُدِّرت أبعاده، ورُقِّمت لبناته، ثم فرق أنقاضاً، فلم تلبث كل لَبِنَة منه عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصاً يشد بعضه بعضاً كهيئته أول مرة. انظر: النبأ العظيم: ١٤٩.

على الترتيب ذاته، بل يوجب تأليف سورة في الرسم والخط خاصة، ولا يُعْلَمُ أن أحداً منهم قال بوجوب ذلك في الصلاة وفي قراءة القرآن ودرسه، ولا أنه لا يجوز لأحد أن يتلقن الكهف قبل البقرة ولا الحج قبل الكهف، وقد سُئلتْ عائشة - رضي اللّه عنها - عن ذلك فقالت: لا يضرك أيَّة قرأت قبلُ؛ وقد كان النبي ﷺ يقرأ في الصلاة السورة في ركعة، ثم يقرأ في ركعة أخرى بغير السورة التي قبلها، وأما ما روي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كرها أن يقرءا القرآن منكوساً، وقالا: ذلك منكوس القلب[1]؛ فإنما عَنَيا بذلك من يقرأ السورة منكوسة، ويبتدئ من آخرها إلى أولها لأن ذلك حرام محظور؛ ومن الناس من يتعاطى هذا في القرآن والشعر ليذلل لسانه بذلك ويقدر على الحفظ، وهذا حظَّره تعالى ومنعه في القرآن لأنه إفساد لِسُوَرِه ومخالفة لما قصد بها.[2]

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ٣٠٨ - والأثر أخرجه عبد الرزاق في المصنف: (ح٧٩٤٧- ٤٣٢٣) - والبيهقي في الشعب: (ح٣٣٤ - ٢/ ٦٠٠) - وابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/ ٥٦٤ - وأبو عبيد في فضائله: (ح١٣١ - ٥٧) وابن أبي داود في المصاحف: ١٥١- وذكره النووي في التبيان: ٦٩ وقال: إسناده صحيح. - قال الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٦٨ رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٢) قاله أبو الحسن بن بطال، انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦١ - وفي هذا المعنى ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد: ٤/ ١٠٣. - والنهاية في غريب الحديث (نكس): ٥/ ١١٥.

الموضوع الثالث

رسم المصحف ونقطه وشكله ووضع الأخماس والأعشار

تناول هذا الموضوع في مقدمة تفسيره ابن جرير الطبري[١] وابن عطية[٢] والقرطبي[٣] والخازن[٤] وابن جزي[٥]، مع تفاوت بينهم، وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: حول رسم المصحف:

لم يتعرض المفسرون الذين سلف ذكرهم لرسم المصحف في مقدماتهم تصريحاً غير أن ظاهر بعض الآثار التي أوردوها حول جمع المصحف زمن أبي بكر وعثمان - رضي اللّه عنهما - تبين أن الرسم تم على يد الرهط التي تولت الجمع إلا مواضع محدودة اختلفوا فيها فكان لرأي عثمان - رضي اللّه عنه - على لغة قريش، ومن تلك الآثار ما جاء عند الطبري وغيره أن زيداً جمع المصحف في قطع الأدم وكسر الأكتاف

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٥٩.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٤٨ - ٥٤.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ٥٣ - ٦٣.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٨.

(٥) انظر: تفسيره: ١/ ٧.

والعسب[١]. وقد بقيت تلك الصحف عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة بنته في خلافة عثمان، وجُعلت من ثمَّ إماماً في جمع عثمان[٢].

وعند الطبري وغيره أيضاً عن ابن شهاب من حديث جمع عثمان للمصاحف:.... ففزع - أي عثمان - لذلك - أي للاختلاف في القرآن - فزعاً شديداً، فأرسل إلى حفصة فاستخرج الصحف التي كان أبو بكر أمر زيداً بجمعها، فنسخ منها مصاحف، فبعث بها إلى الآفاق.[٣]

وفي رواية الطبري والبخاري والتي ذكرها ابن عطية والقرطبي أن عثمان - رضي اللَّه عنه - قال للرهط الذي أوكل إليه مهمة كتابة المصحف: إذا اختلفتم في شيء فاجعلوه بلغة قريش. قال ابن شهاب: فاختلفوا يومئذٍ في (التابوت) فقال زيد: (التابوه). وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص: (التابوت). فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه بالتاء (التابوت)، فإنه نزل بلسان قريش.[٤]

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٥٩، وقد سبق.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥١ - ٥٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٦٢ - وهو في فتح الباري لابن حجر: ٩/ ١٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٦١ - وابن عطية: ١/ ٤٨ - ٥٢ - والقرطبي: ١/ ٥٣ - والخازن: ١/ ٨ وقد سبق.

وقد لقي رسم المصحف من أهل العلم عناية واضحة، وأفردت لذلك مؤلفات خاصة، درست غرائب الرسم، واستخلصت منها الحكم والفوائد، كما بينت حكم اتباع=

....

=الرسم وأقوال الأئمة في ذلك.

وتباينت الآراء حول وجوب اتباع الرسم العثماني الذي لقي القبول التام من الصدر الأول - رضوان الله عليهم - وهي في جملتها أربعة أقوال:

أ- أنه لا يجوز كتابة المصحف على الرسوم الأولى لاصطلاح الأئمة، لئلا يوقع في تغيير من الجهال، وهو قول تفرد به العز بن عبد السلام، وحجته التيسير على العامة.

ب- أن الرسم العثماني تم باجتهاد من الرهط الذين تم اختيارهم من قبل الخليفة عثمان - رضي الله عنه - بقيادة زيد بن ثابت، ولهذا لا مانع من كتابته برسم آخر، وبهذا قال الباقلاني وابن خلدون، وحجتهم أن اللّه لم يفرض على الأمة رسوماً معينة لكتابه العظيم، كما أنه ليس هناك ثمة دليل يوجب اتباع رسم المصحف الإمام.

جـ- أن الرسم اصطلاحي من الصحابة، غير أنه لقي القبول بإجماع الصدر الأول، ولم يخالفه أحد ولهذا يجب اتباعه باتفاق الأئمة، وهذا مذهب جمهور أهل العلم كالإمام مالك والإمام أحمد والداني وغيرهم.

د- أن الرسم توقيفي من رسول الله ﷺ لا يجوز مخالفته، لكونه كُتب بين يدي رسول اللّه، وأنه ﷺ كان يملي على الكاتب ما نزل من آيات الذكر الحكيم، كما كان يعلمه بعض الأمور الكتابيه. وممن قال بهذا الشيخ عبد العزيز الدباغ.

والذي يترجح عندي بعد النظر في الأدلة هو القول الثالث، وهو مذهب الجمهور وذلك لأمور:

أولاً: أن الرسم العثماني أصبح سنة متبعة إلى يومنا هذا، وفي إخضاعه للتطور الإملائي عبر القرون مراعاة للجاهلين أمر يعرضه للتغيير والتبديل المستمر، وكما قال الزركشي: شيء أحكمه السلف لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين.

ثانياً: أن للرسم العثماني دوراً كبيراً في تصحيح القراءات، فالمعروف عند أهل العلم أن من شروط قبول القراءة موافقتها لرسم المصحف، ويترتب على تغيير رسمه، ذهاب=

....

=كثير من القراءات.

ثالثاً: أن لنا الاقتداء بما فعله صحابي واحد، فكيف وقد أجمع على الرسم العثماني نحو من اثني عشر ألفاً من الصحابة، ولهذا الأمر حرَّم الإمام أحمد وغيره مخالفة الرسم العثماني، ولأجله لم يجوِّز الإمام مالك كتابته بغير هذا الرسم، وقال: إلى على الكتبة الأولى. فهو - أي الرسم العثماني - أثر من أيدي الصحابة الذي هم أول من تلقى القرآن وسمعه من النبي ﷺ، وأول من خطَّه في المصاحف.

رابعاً: أن الأمة أجمعت أنه لا يجوز زيادة حرف في القرآن ولا إنقاص حرف منه، وبينت أن ما بين الدفتين هو كلام اللَّه، وفي كتابته برسم آخر زيادة حروف إليه، وإنقاص حروف منه.

خامساً: أن من يتبنى كتابة المصحف برسم آخر يخالف الرسم العثماني، عاجز عن كتابة فواتح السور: مثل ﴿كهيعص﴾ و﴿طسم﴾ و﴿حم عسق﴾ وغير ذلك.

هذا وقد كثرت الصيحات المنادية بمخالفة الرسم العثماني في عصرنا الحالي، مدعية التسهيل على الجيل، وهي دعوة إلى العبث بالنص القرآني الذي بقي مصاناً طيلة القرون الماضية من أيدي العابثين، يتولى كبرها دعاة المعاصرة، يقول الأستاذ عدنان زرزور في معرض رده على المنهزمين:

لا تخلوا لغة حية اليوم من حروف تكتب ولا تلفظ، أو من حروف تكتب على وجه وتلفظ - في بعض الكلمات - على وجه آخر.... الخ، وهي أمور يصيبها التلميذ عن طريق التعلم.... والقرآن عماد العربية وكتابها.... والأمر في لغته التعليم، وفي القرآن الكريم نفسه المشافهة والتلقي.

أما الدعوة إلى تغيير هذا الرسم تحت شعار المعاصرة والتسهيل فأعجب ما فيها - وعجائبها كثيرة.... - أن تكون في عصر الوسائل التعليمية المتنوعة الكثيرة والمتقدمة!! وقد حُفظ القرآن الكريم، وتعمم رسمه، وبقي اللسان العربي وقواعد الإملاء...=

المسألة الثانية: حول نقط المصحف وشكله:

أورد القرطبي عن يحيى بن كثير أنه قال: كان القرآن مجرداً في المصاحف، فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء والثاء وقالوا: لا بأس به هو نور له، ثم أحدثوا نقطاً عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتيم.(١)

قال ابن عطية: روي أن عبد الملك بن مروان أمر بشكل المصحف ونقطه، وعمله، فتجرد لذلك الحجاج بواسط، وجدَّ فيه وزاد تحزيبه، وأمر وهو والي العراق الحسن - أي البصري - ويحيى بن يعمر بذلك.(٢)

=وقواعد النحو طيلة هذه القرون الخمسة عشر!! وبدون تلك الوسائل التعليمية الحديثة... فهل يستقيم عند دعاة المعاصرة هذه - لا مطلق المعاصرة - أن يقال فيهم وفي أبناء جيلهم ما لا نرتضيه لهم من الكسل والغباوة وغير ذلك.

وقد أصدرت مراكز الإفتاء في عدد من الديار الإسلامية فتاوى تؤكد الوقوف عند المأثور من رسم المصحف وهجائه، وتحذر من مغبة تغييره وتبديله.

انظر: المقنع في معرفة رسوم مصاحف أهل الأمصار للداني: ٩ - والبرهان للزركشي: ١/ ٣٧٦ - ٣٧٩ - والإتقان للسيوطي: ٤/ ١٤٥ ط أبو الفضل إبراهيم - والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ٣٤٦ - والمدخل إلى علوم القرآن والتفسير لفاروق حماده: ٩٣ - علوم القرآن لعدنان زرزور: ٩٩ - ١٠١ - دراسات قرآنيه لعدنان زرزور: ١٠٩ - ورسم المصحف لغانم قدوري: ٢٠١ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي، تحقيق فهد العندس: ٢/ ٢٢٩ - ٢٣٤ هامش: (٤).

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٦٣ - وانظر المحكم في نقط المصاحف للداني: ١٧.

(٢) تفسير ابن عطية: ١/ ٥٤ - وانظر تفسير القرطبي: ١/ ٦٣ - والإتقان للسيوطي: ٢/ ١١٨٢.

=

قال ابن جزي: فأول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك بن مروان.[١]

وأسند الزبيدي[٢] في الطبقات إلى المبرد[٣]: أن أول من نقط المصحف هو أبو الأسودِ الدؤلي[٤][٥]. ثم ذكر أن ابن سيرين كان له مصحف نَقَطَهُ له يحيى بن يعمر[٦].

=أما الحسن فقد روى الداني أنه كان يكره نقط المصاحف. المحكم في نقط المصاحف:١١.
وأما ابن يعمر فقد ألف إثر ذلك كتاباً في القراءات جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق خط المصحف، ومشى الناس على ذلك زمناً. تفسير ابن عطية: ١/ ٥٤.

(١) تفسير ابن جزي: ١/ ٧.

(٢) هو محمد بن الحسن بن عُبيد اللَّه الزّبيديُّ الشامي الأندلسي، إمام النحو، وصاحب التصانيف، له الطبقات في النحو، توفي (٣٧٩هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٦/ ٤١٧ - وذرات الذهب لابن العماد: ٣/ ٩٤.

(٣) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي المبرد، إمام النحو، وصاحب الأخبار، قيل أن المازني أعجبَهُ جَوابُه، فقال له: قم فانت المبرِّد. أي المُثْبِت للحق. ثم غلب عليه بفتح الرَّاء. له الكامل، توفي (٢٨٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣/ ٥٧٦ - والبداية والنهاية لابن كثير: ١١/ ٧٩.

(٤) اسمه على الأرجح ظالم بن عمرو، علامة فاضل، ولد أيام النبوة، وحدَّث عن الصحابة، ثقة، قيل هو أول من تكلم في النحو، مات في طاعون الجارف سنة (٦٩هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٨١ - ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٢/ ٥٣٥.

(٥) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٥ - وتفسير القرطبي: ١/ ٦٣ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٧ - وانظر: المحكم في نقط المصاحف للداني: ٣ - وكتاب النقط له: ١٢٤.

(٦) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٥ - وتفسير القرطبي: ١/ ٦٣ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٧ -=

وعن أبي الفرج[(١)] صاحب «الأغاني»: أن زياد بن أبي سفيان[(٢)] أمر أبا الأسود بنقط المصحف.[(٣)]

وفي كتاب «الأمصار» للجاحظ أن نصر بن عاصم[(٤)] هو أول من نقط المصاحف وكان يقال له: نصر الحروف.[(٥)]

=وانظر: المحكم في نقط المصاحف للداني: ٥ - وكتاب النقط له: ١٢٥.

(١) هو علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني الكاتب، علامة، أديب، أخباري، بصير بأنساب العرب، له الأغاني وغيره، توفي (٣٥٦هـ). انظر سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٦/ ٢٠١ - وشذرات الذهب لابن العماد: ٣/ ١٩.

(٢) هو زياد بن أبيه، وهو زياد بن عُبيد الثقفي، وهو ابن سمية، وهو زياد بن أبي سفيان الذي استلحقه معاوية بأنه أخوه، ولد عام الهجرة، وأسلم زمن الصديق، اشتهر بالحزم والدهاء والفطنة ورجاحة العقل، وضرب به المثل في النبل والسؤدد، وقيل كان أفتك من الحجاج لمن يخالفه هواه، توفي (٥٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣/ ٤٩٤ - وشذرات الذهب لابن العماد: ١/ ٥٩.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٥ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٧ - وانظر: الأغاني لأبي الفرج: ١٢/ ٣٤٦ - والمحكم في نقط المصاحف للداني: ٣.

(٤) هو نصر بن عاصم بن عمرو بن خالد الليثي البصري، ثقة، قيل: كان على رأي الخوارج. ذكر خليفة في طبقاته أنه مات بعد الثمانين. انظر: طبقات خليفة: ٢٠٤ و٢٠٦ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١٠/ ٤٢٧.

(٥) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٥ - وانظر: المحكم في نقط المصاحف للداني: ٦ - وكتاب النقط له: ١٢٥ - والإتقان للسيوطي: ٢/ ١١٨٢ قال الأستاذ صبحي الصالح: لا يستبعد أن يكون عمله - أي نصر بن عاصم - امتداداً لعمل أستاذيه أبي الأسود وابن=

....

=يعمر، فإنه أخذ عنهما. مباحث في علوم القرآن: ٩٣.

قلت: المشهور الذي ذهب إليه أكثر العلماء كما قال الداني، أن المبتدىء هو أبو الأسود الدؤلي. ويحتمل أن يكون يحيى ونصر - وهما تلميذا أبي الأسود - أوّلَ من نقَّطاها للناس بالبصرة، وأخذا ذلك من أبي الأسود، إذ كان السابق.

يقول أبو شهبة: ويمكن التوفيق بأن أبا الأسود أول من نقط المصاحف بصفة شخصية، وتبعه في ذلك ابن سيرين، وأما عبد الملك فأول من أمر بنقط المصحف بصفة عامة رسمية شاعت وذاعت بين الناس قاطبة. انظر: المحكم في نقط المصاحف للداني: ٦ - والنقط له: ١٢٥ - والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ٣٨٩.

وقد كان ثلة من السلف قد كره نقط المصحف وشكله كابن مسعود وقتادة والشعبي والنخعي وغيرهم، مبالغة في الحفاظ على القرآن، غير أن العهد تغير حين دخل اللحن والتغيير والتصحيف لسان العرب، مع كثرة المعتنقين للدين، يقول الداني في هذا المعنى: اعلم أيدك اللّه بتوفيقه أن الذي دعا السلف - رضي اللّه عنهم - إلى نقط المصاحف بعد أن كانت خالية من ذلك وعارية منه وقتَ رسمها وحين توجيهها إلى الأمصار.... ما شاهدوه من أهل عصرهم مع قربهم من زمن الفصاحة ومشاهدة أهلها، من فساد ألسنتهم، واختلاف ألفاظهم، وتَغَيُّر طباعهم، ودخول اللحن على كثير من خواص الناس وعوامهم، وما خافوه من مرور الأيام... المحكم: ١٨.

لقد أصبح النقط والشكل أمراً ضرورياً ومستحباً، وفي ذلك يقول النووي: قال العلماء: ويستحب نقط المصحف وشكله فإنه صيانة من اللحن فيه وتصحيفه، وأما كراهة الشعبي والنخعي للنقط فإنما كرها ذلك في ذلك الزمان خوفاً من التغيير فيه، وقد أمن ذلك اليوم فلا منع، ولا يمنع من ذلك لكونه محدثاً، فإنه من المحدثات الحسنة، فلا يمنع منه كنظائره مثل تصنيف العلم وبناء المدارس والرباطات وغير ذلك واللّه أعلم. انظر: المحكم في نقط المصاحف للداني: ١٠ - والتبيان للنووي: ١٢٢ ط دار النفائس تحقيق=

المسألة الثالثة: حول الأخماس والأعشار وفواتح السور والخواتيم[١]:

اختلف أهل العلم من الصدر الأول في حكم تخميس المصاحف وتعشيرها، وإحداث الفواتح والخواتيم للسور، فكرهها قوم كابن مسعود ومجاهد والنخعي[٢] وأبي رزين[٣]، وأباحها الإمام مالك في غير الأمهات وبغير الألوان، وأجازها سائر المسلمين إجازة مطلقة.

وكان أول من أمر بوضع الأعشار في المصاحف على ما قال ابن عطية وتبعه القرطبي وابن جزي هو المأمون العباسي، وقيل تم ذلك على يد الحجاج[٤].

=السيروان.

(١) التخميس: كتابة لفظ (خمس) عند رأس كل خمس آيات، والتعشير: كتابة لفظ (عشر) عند رأس كل عشر آيات، ومنهم من يكتفي بكتابة حرفي (خـ) و(عـ) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ٣٩٠.

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، إمام حافظ، وفقيه الكوفة ومفتيها، قال الشعبي: ما ترك بعده أعلم منه. توفي (٩٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٥٢٠ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١/ ١٧٦.

(٣) هو لقيط بن عامر بن صبرة العقيلي ، روى عن النبي i، وعنه ابنه عاصم وغيره، أخرج له البخاري وجماعة. انظر: الإصابة لابن حجر: ٣/ ٣٣٠ - وأسد الغابة لابن عبد البر: ٤/ ٢٦٦.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٦ - والقرطبي: ١/ ٦٣ - وابن جزي: ١/ ٧.

وقد ذكر أبو عمرو الداني في كتاب البيان له عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه كره التعشير في المصحف، وأنه كان يَحُكّه.(١)

وعن مجاهد أنه كره التعشير والطيب في المصحف.(٢)

وقال أشهب(٣): سمعت مالكاً سُئل عن العُشُور التي تكون في المصحف بالحمرة وغيرها من الألوان، فكره ذلك وقال: تعشير المصحف بالحبر لا بأس به.(٤)

وعن قتادة، قال: بدوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا. وكان كالإنكار.(٥)

وضع الفواتح والخواتيم للسور:

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٣. والمحكم في نقط المصاحف للداني: ١٤.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٣. والمحكم في نقط المصاحف للداني: ١٥.

(٣) هو أشهب بن عبد العزيز بن داود العامري، قيل اسمه مسكين، وأشهب لقب له، إمام علامة، مفتي مصر، قال عنه الإمام الشافعي: ما أخرجت مصر أفقه من أشهب. توفي (٢٠٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ٥٠٠ - وترتيب المدارك للقاضي عياض: ٢/ ٤٤٧.

(٤) انظر: المصادر السابقة.

(٥) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٦ وفي المحكم للداني: ١٥ (وكان كالابتكار)، حيث قال بعد أن ذكر الرواية: وهذا يدل على الترخيص في ذلك والسعة فيه. اهـ. وبينهما فرق واضح. وانظر تفسير القرطبي: ١/ ٦٣.

روى أبو عمرو عن أبي حمزة قال: رأى إبراهيم النَّخَعي في مصحفي فاتحة سورة كذا وكذا، فقال: امحه، فإن ابن مسعود قال: لا تخلطوا في كتاب اللَّه ما ليس منه[(١)].

وعن أبي بكر السراج قال: قلت لأبي رزين: أأكتب في مصحفي سورة كذا وكذا؟ فقال: إني أخاف أن ينشأ قوم لا يعرفونه يظنونه من القرآن[(٢)].

وقال أشهب: سُئل الإمام مالك عن المصاحف يكتب فيها خواتم السور في كل سورة ما فيها من آية فقال: إني أكره ذلك في أمهات المصاحف أن يُكتب فيها شيء، أو يُشكل، فأما ما يتعلم به الغلمان في المصاحف فلا أرى بذلك بأساً. قال أشهب: ثم أخرج إلينا مصحفاً لجدِّه، كتبه إذ كتب عثمان المصاحف فرأينا خواتمه من حبر على عمل السلسلة في طول السطر، ورأيته معجوم الآي بالحبر.[(٣)]

وقال يحيى بن كثير: كان القرآن مجرداً في المصاحف، فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء والثاء وقالوا: لا بأس به هو نور له، ثم أحدثوا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٣، والمحكم في نقط المصاحف للداني: ١٦.

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٣ - والمحكم في نقط المصاحف للداني: ١٧.

نقطاً عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتيم.(١)

قال القرطبي: قال الداني - رضي الله عنه -: وهذه الأخبار كلها تؤذن بأن التعشير والتخميس وفواتح السور ورؤوس الآي من عمل الصحابة - رضي الله عنهم - قادهم إلى عمله الاجتهاد؛ وأرى أن من كره ذلك منهم ومن غيرهم إنما كره أن يعمل بالألوان كالحمرة والصفرة وغيرهما؛ على أن المسلمين في سائر الآفاق قد أطبقوا على جواز ذلك واستعماله في الأمهات وغيرها، والحرج والخطأ مرتفعان عنهم فيما أطبقوا عليه إن شاء الله.(٢)

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٣، والمحكم في نقط المصاحف للداني: ١٧، وفيه: على التاء والياء. قال أبو عمرو عقب ذلك: وهذا يدل على التوسعة في ذلك.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٤ - وكتاب النقط للداني: ١٢٥.

قلت: ومن كره ذلك خشي أن يحدث إدخال عناصر جديدة إلى كتاب الله ظناً عند العامة أن ما أُدخل هو من كتاب الله، وهو ليس منه، فلهذا تحرج مَنْ تحرَّج في ذلك، أما بعد أن أُحدثت الفواتح والخواتيم، وتلقى ذلك أهل العلم بالقبول، ولم تلقَ منهم النكير، فالأمر جائز ولا مانع من ذلك، وهو المعمول به إلى يومنا هذا. والله أعلم.

الموضوع الرابع

سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه

تناول هذا الموضوع من المفسرين في مقدمة تفسيره ابن جرير الطبري[١] والماوردي[٢]، وابن عطية[٣]، والقرطبي[٤]، وابن جزي[٥]، مع تفاوت بينهم، وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: معنى السورة:

قال أبو جعفر الطبري: تسمى كل سورة من سور القرآن «سورة» وتجمع «سُوَراً» - بفتح الواو - على تقدير «خطبة وخُطَب» و«غُرْفَة وغُرَف»[٦].

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ١٤- ١٦.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٢٧ - ٢٨.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ٧٠.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٦٤ - ٦٥.

(٥) انظر: تفسيره: ١/ ٨.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٤، قال الطبري: ومن ذلك سور المدينة، غير أن السُّورة من سور المدينة لم يسمع في جمعها «سُوَر». وانظر الصحاح للجوهري: ٢/ ٦٩٠ - واللسان لابن منظور «سور»: ٤/ ٣٨٦.

قال ابن عطية: جمع سورة البناء: «سُوْر» بسكونها. ثم ذكر عن أبي عبيدة قوله: إنما

قال الشاعر:

سُودُ المحاجرِ لا يَقرأْنَ بالسُّوَر[١]

قال القرطبي: ويجوز أن يجمع على سُورات وسُوَرات.[٢]

وفيها لغتان:

إحداهما: بالهمز (سؤرة) وهي لغة تميم[٣].

والأخرى: بغير همز (سورة) قال ابن عطية: وهي لغة قريش كلها ومن جاورها من قبائل العرب كهذيل وسعد بن بكر وكنانة[٤].

فأما التي بغير همز: فهي المنزلة من منازل الارتفاع، ومنه سور المدينة للحائط الذي يحويها، وذلك لارتفاعه على ما يحويه، يقول نابغة بني ذبيان[٥]:

اختلفا في هذا فكأن سُوَر القرآن هي قطعة بعد قطعة حتى كمل منها القرآن، ويقال: أيضاً للرتبة الرفيعة من المجد والملك: سورة. انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٤ - وتفسير ابن عطية: ١/ ٧٠.

(١) عجز بيت قاله الشاعر الراعي، وصدر البيت: عن الحرائر لا ربات أخمرة. انظر تفسير القرطبي: ١/ ٦٦ وهو في البحر لأبي حيان: ٢/ ٢٥٢ و٧/ ٢٥٥.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧٠ - والدر المصون للسمين: ١/ ٢٠١.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧٠ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٨.

(٥) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني، شاعر جاهلي مشهور، قصده=

أَلَـمْ تَـــرَ أنَّ اللَّـــه أعْطَـــاك سُـــورَةً   تَـرَى كـلَّ مَلْـكٍ دُونَهـا يَتَذَبْـذَبُ[(١)]

يعني بذلك أن اللَّه أعطاه منزلة من منازل الشرف الـتي قصَّـرت عنهـا منازلُ الملوك، ولهذا سميت السورة لارتفاعها وعلو قدرها.[(٢)]

وقال ابن عطية: ومنهم من يراها مشبّهة بسورة البناء: أي القطعة منه؛ لأن كل بناء فإنما يبنى قطعة بعد قطعة، وكل قطعة منها سورة.[(٣)]

وقيل: سميت بذلك لأن قارئها يشرف على ما لم يكــن عنـده كســور البناء. وقيل: لتمامها وكمالها من قول العرب للناقة التامة: سُورة.[(٤)]

وأما **السؤرة بالهمز**، فهي القطعة التي فصلت من القــرآن عمــا ســواها وأُبْقِيَتْ منه؛ لأن سؤر كل شيء بَقِيَّتُه، وعليه سُمِّيَ ما فَضَل في الإنــاء بعـد الشرب منه سُؤْرًا[(٥)]، وقيل: جاء في أسآر الناس. أي بقاياهم.[(٦)]

=الشعراء يعرضون عليه أشعارهم، عمر طويلاً، توفي (١٨ق هـ). انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٧٠ - ٨١، وخزانة الأدب للبغدادي: ٢/ ١٣٥.

(١) هو في ديوانه: ٧٣، تحقيق أبو الفضل إبراهيم - وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٤ - ونكت الانتصار للباقلاني: ٥٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٥ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٧ - وتفسير القرطـبي: ١/ ٦٥ - وانظر: مفردات الراغب (سور): ١/ ٢٤٧.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧٠ - والدر المصون للسمين: ١/ ٢٠١.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٤ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٧ - وانظر: مفـردات الراغـب (سور): ١/ ٢٤٨ - والدر المصون للسمين: ١/ ٢٠١.

(٦) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦.

وفي الحديث قول الرسول ﷺ: «إذا شَرِبْتُمْ فَأَسْئِرُوا»(١)، ومـن ذلـك قول أعشى بني ثعلبة(٢) يصف امرأة فارقته، فأبقت في قلبه من وجْدِها بقية:

فَبـانَتْ وقــد أَسْـأَرَتْ في الفــؤا دِ صَدْعَاً، علـى نَأيِها مُسْتَطِيرا(٣)

وقال الأعشى في مثل ذلك:

بَانَتْ وقد أَسْأَرَت في النَّفس حَاجَتَهَـا بعدَ ائتِلاف؛ وخـيرُ الـوُدِّ مـا نَفَعَـا(٤)

قال القرطبي: الأصل (سؤرة) بالهمز ثـم خففـت فـأبدلت التـاء واواً لانضمام ما قبلها.(٥)

قال الماوردي: والأول من القولـين أصـح(٦). أي كونهـا بغـير همـز،

---

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٢٧ - والحديث ذكره العجلونـي في كشـف الخفـاء: ١/ ٥٨، وابن الأثير في النهاية: ٢/ ٣٢٧.

(٢) هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل، أبو بصير، يقال له صناجـة العـرب، شـاعر جاهلي فحل، وهـو أحـد أصحـاب المعلقـات العشـر، أدرك الإسـلام ولم يسـلم، تـوفي (٧)هـ. انظر: الأغاني لأبي الفرج: ٩/ ١٢٧ - وطبقات الشعراء لابن سلام: ١٥/ ١٩.

(٣) هو في ديوانه ٦٧ - وانظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٤ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٨.

(٤) هو في ديوانه: ٧٣ - وانظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٦.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦ - وانظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧٠.

(٦) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٢٨.

والسورة من القرآن في اصطلاح الشرع، كما قال الجعبري: قـرآن يشـتمل علـى أي ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات. وقال غيره: السورة الطائفة المترجمة توقيفاً أي المسماة=

وأنها بمعنى الارتفاع وعلو القدر.

المسألة الثانية: معنى الآية:

اختلف النحويون في أصل لفظة (آية) على أقوال:

فقال سيبويه، (آية) على وزن (فَعَلَة)، بفتح العين، أصلها (أَيَيَة) مثل (أكَمَة) و(شَجَرَة)، تحركت الياء الأولى، وما قبلها مفتوح فجاءت (آية) بهمزة بعدها مدَّة.

وقال الكسائي، هي على وزن (آيِيَة) على وزن (فاعِلَة) مثل (آمنة) فقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت لالتباسها بالجمع.(١)

قال مكي: سُكِّنَت الأولى، وأُدغمت فجاءت (آيَّة) على وزن دابة، ثم سهلت الياء المثقلة.(٢)

وقال الفراء، أصلها (أيِّيه) بتشديد الياء الأولى على وزن (فَعْلَة)

=باسم خاص من النبي ﷺ.

انظر: كنز المعاني شرح حرز الأماني للجعبري، مخطوط: (و٩٤) - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٥٠ ط أبو الفضل - والتبصرة لمكي: ١٠٩ والزيادة والإحسان لابن عقيلة، بتحقيقي: ٢/ ٤٢٧.

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧١ - وتفسير القرطبي: ١/ ٦٦ - والقاموس المحيط لفيروز آبادي: ١٦٢٨ - والتيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي: ١٦٧.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧١ - وتفسير القرطبي: ١/ ٦٦.

بسكون العين، فأبدلت الياء الساكنة ألفاً استثقالاً للتضعيف.[(١)]

وهذا القول حكاه أبو علي الفارسي في ترجمة ﴿وَكَأَيِّن مِن نَبِيٍّ﴾ [آل عمران: ١٤٦].[(٢)]

قال ابن عطية: وقال بعض الكوفيين: أصلها (أَيِيَة) على وزن (فَعِلَة)، بكسر العين، أُبدلت الياء الأولى أَلِفاً، لثقل الكسر عليها، وانفتاح ما قبلها.

وتجمع الآية على: (آي)، و(آيات) و(آياء)، وأنشد أبو زيد:

لم يُبق هذا الدهر من آيائه غيرَ أَثَافيهِ وأَرْمِدائِه[(٣)]

والآية في كلام العرب لها عدة معاني:

فالآية: (العلامة)، قال الطبري: لأنها علامة يعرف بها تمام ما قبلها وابتداؤها، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنكَ﴾ [المائدة: ١١٤] يعني علامة منك لإجابتك

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧١ - وتفسير القرطبي: ١/ ٦٦ - وانظر: الكتاب لسيبويه: ٤/ ٣٩٩.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧١.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦ - وانظر نكت الانتصار للباقلاني: ٥٨، وينظر في (آية): الكتاب لسيبويه: ٤/ ٣٩٨ - وتاج العروس للزبيدي: ١٠/ ٢٦ - ٢٧، ولسان العرب لابن منظور: ١٤/ ٦١ - ٦٣، وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: ١/ ٨٦.

دعاءنا، وإعطائك إيانا سؤلنا[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، أي: علامة ملكه.

وقال سحيم عبد بني الحسحاس[٢]:

أَلِكْني إليها عَمْرَكَ اللَّهُ يا فتى ... بآيةِ ما جَاءتْ إلينا تَهَادِيا

يعني: علامة ذلك[٣].

وقال النابغة:

توهَّمت آيات لها فعرفتُها ... لستة أعوام وذا العامُ سابعُ[٤]

وتقول العرب: بيني وبين فلان آية. أي: علامة.[٥]

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٦ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٨.

(٢) هو سحيم، كان عبداً اشتراه بنو الحسحاس، ونشأ فيهم، له شعر رقيق، تغزل في نساء بني الحسحاس فقتلوه عام (٤٠هـ). انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢٤١ - وخزانة الأدب للبغدادي: ٢/ ١٠٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٦ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٨ - وانظر ديوان الشاعر: ١٩ - وخزانة الأدب للبغدادي: ٢/ ١٠٤ - قال الزمخشري: ألكني إلى فلان، واحمل إليه الُوكي، ومَألُكتي، وهي الرسالة. أي: أبلغ رسالتي إليها. أساس البلاغة للزمخشري (ألك): ٢٠.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦.

قال ابن عطية: - وفي قول بعضهم - لما كانت الجملة التامة من القرآن علامة على صدق الآتي بها، وعلى عجز المتحدي بها سميت آية.(١)

والآية (القصة والرسالة):

قال كعب بن زهير بن أبي سُلمى(٢):

أَلا أَبْلغنا هذا المُعَرِّض آيَةً أَيقظان قالَ القولَ إذْ قَالَ أَمْ حَلَمْ

يعني بقوله: (آية) رسالة مني وخبراً عني.

قال الطبري: فيكون معنى الآيات: القصص، قصةٌ تتلو قصةً، بفُصُول ووُصُول.(٣)

والآية (الجماعة):

فقد قالت العرب: جئنا بآيتنا. أي: بجماعتنا.

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧١ - وانظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨ - قال ابن عقيلة: الآية أصلها العلامة، إما العلامة على الفصل، أو الصدق، أو عجز المتحدى به. الزيادة والإحسان بتحقيقي: ٢/ ٦١١. قلت: وهذا هو الراجح والأظهر والله أعلم.

(٢) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني، شاعر عريق، وصاحب اللامية المشهورة التي مدح بها النبي ﷺ: بانت سعاد...... أسلم بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه، توفي (٢٦هـ). انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٦٧ - والأغاني لأبي الفرج: ١٧/ ٨٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٠٦ - والماوردي: ١/ ٢٨ - وانظر ديوان الشاعر: ٦٤.

وقالت: خرج القوم بآياتهم. أي: بجماعتهم.

قال بُرْج بن مُسْهر الطائي[(١)]:

خَرجنا من النَّقْبَيْن لا حيَّ مثلُنا بآيتنا نُزجي اللِّقاحَ المطَافلا

قال القرطبي: وسُميت أية لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه.[(٢)]

والآية (الأمر العجيب):

سُميت بها لأنها عجيب يعجز البشر عن التكلم بمثلها.[(٣)]

---

(١) هو برج بن مسهر بن جلاس بن الأرت الطائي، شاعر من معمَّري الجاهلية، له شعر اختار أبو تمام في الحماسة منه، توفي نحو (٣٠ق هـ). انظر الأعلام للزركلي: ٢/ ٤٧. ومن مراجعه بلوغ الأرب للآلوسي: ٣/ ٢٩٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦ - وانظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٧١ - والبيت في خزانة الأدب للبغدادي: ٦/ ٥١٥ - ومعناه أنهم خرجوا بجماعتهم وبما يستدل به عليهم من متاعهم.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٦ - وانظر في معنى الآية: غرائب القرآن للنيسابوري: ١/ ٢٨ - ومقدمات شمس الدين الأصفهاني - المقدمة الثالثة: و(١٠)، مخطوط باستانبول -تركيا- مكتبة كوبرلي - وخزانة الأدب للبغداي: ٦/ ٥١٢.

والآية (المعجزة)، قال تعالى: ﴿سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة﴾ [البقرة: ٢١١] أي: معجزة واضحة.

والآية: (البرهان والدليل) قال تعالى: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض﴾[الروم:٢٢].

المسألة الثالثة: عدُّ آي القرآن[(١)]:

أجمع العادُّون لآي القرآن على أنه ستة آلاف آية، ثم اختلفوا في الزيادة على ذلك:

فعدُّ المدني الأول، في قول محمد بن عيسى: ستة آلاف آية.[(٢)]

وفي عدِّ المدني الأخير، في قول إسماعيل بن جعفر[(٣)]: ستة آلاف آية

قال الزرقاني: وكلها إطلاقات لغوية ، وقد يستلزم بعضها بعضاً . مناهل العرفان: ١/ ٣٣١.

والآية في اصطلاح الشرع: طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن. مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٣٣٢.

(١) علم معرفة الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه، ولذلك عد العلماء ﴿الم﴾ آية حيث وقعت، و﴿المص﴾، ولم يعدوا ﴿المر﴾ و﴿الر﴾، وعدوا ﴿حم﴾ آية في سورها، و﴿طه﴾ و﴿يس﴾ ولم يعدوا ﴿طس﴾.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٤ - وفنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٣٧ - وهو عند هشام بن عمار ستة آلاف ومائة وسبع عشرة آية، وبه قال نافع. انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٤٢ - وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: ١/ ٥٦٠ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦١١.

(٣) هو إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير المدني، ثقة قرأ على شيبة بن نصاح وغيره، توفي سنة (١٨٠هـ). انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ١٦٣ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٨/ ٢٢٨.

ومائتا آية وأربع عشرة آية.[١]

وفي عدِّ المكي، في قول الفضل: ستة آلاف آية ومائتا آية وتسع عشرة آية.[٢]

وفي عدِّ الكوفي، في قول محمد بن عيسى: ستة آلاف آية ومائتا آية وثلاثون وست آيات.[٣]، وهو العدد الذي رواه سُليم بن عيسى الكوفي[٤]، والكسائي عن حمزة، وأسنده الكسائي إلى علي بن أبي

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٥ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٨٩ ط أبو الفضل - وفنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٤٣ - وجمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٣١ وبشير اليسر: ٢٠ وهذا العد منسوب إلى أبي جعفر بن يزيد بن القعقاع، وصهره شيبة بن نصاح. انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٣٧.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٥ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٨٩ط أبو الفضل - وهذا العد منسوب إلى مجاهد بن جب ر، وعبد اللّه بن كثير . انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٣٧.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٥ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٨٩ط أبو الفضل - وفنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٤٣ - وجمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٣١ - وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: ١/ ٥٥٩.

(٤) هو سُليم بن عيسى بن سليم الكوفي المقرىء ، شيخ القراء، عرض القرآن على حمزة، واشتهر بضبطه للقرآن، توفي (١٨٨هـ) انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٣١٨ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ٣٧٥.

طالب - رضي اللَّه عنه -[١].

وفي عدِّ البصري، في قول محمد بن عيسى: ستة آلاف ومائتان وأربع آيات.[٢]

وفي عدِّ أهل الشام، في قول يحيى بن الحارث الذِّماري[٣]: ستة آلاف ومائتان وست وعشرون.[٤] وفي رواية: ستة آلاف ومائتان وخمس وعشرون. نقص آية، قال: ابن ذكوان[٥]: فظننت أن يحيى لم يعد ﴿بِسْمِ اللَّهِ

---

(١) انظر: المصادر السابقة - وهو منسوب إلى أبي عبيد الرحمن السُّلمي عن علي ابن أبي طالب، وقد نسبه قوم إلى ابن مسعود، والأول أصح. انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٣٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٥ - وفنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٤٣ - وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: ١/ ٥٦٠ - وهذا العد منسوب إلى عاصم بن ميمون الجحدري، انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٣٧.

(٣) هو يحيى بن الحارث بن عمرو بن يحيى الغساني الذماري، إمام الجامع الأموي وشيخ القراءة بدمشق، معدود في التابعين، توفي (١٤٥هـ). انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ٢/ ٣٦٧ - ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ١٠٥.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٥ - وبصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي: ١/ ٥٦٠ - وفي كتاب الحجة في المحجة لقوام السنة: و(٢٤٦): وسبعة وثلاثون آية. وانظر: الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦١١؛ وهذا العد منسوب إلى عبد اللَّه بن عامر اليحصبي. انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٤١.

(٥) هو عبد اللَّه بن أحمد بن بشر بن ذكوان القرشي، إمام في القراءة، ثقة، وحيد دهره في=

الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾.[١]

قال أبو عمرو بعد أن ذكر ما سبق: فهذه الأعداد التي يتداولها الناس تأليفاً، ويعدُّون بها في سائر الآفاق قديماً وحديثاً.[٢]

المسألة الرابعة: كلمات القرآن:

عرف القرطبي الكلمة بقوله: هي الصورة القائمة بجميع ما يختلط بها من الشبهات. أي الحروف.[٣]

ثم قال: وأطول الكلم في كتاب الله ما بلغ عشرة أحرف، نحو قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم﴾ [النور: ٥٥] ونحو ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ [هود: ٢٨]، وأقصرهن ما كان على حرفين نحو ﴿مَا﴾ و﴿لا﴾، وقد تكون الكلمة وحدها آية تامة نحو قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ و﴿الضحى﴾ و﴿الم﴾ و﴿طه﴾

=علمه، توفي (٢٤٢هـ) انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٤٠٤ - ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ١٩٨.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٥ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٨٩ط أبو الفضل - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦١٢ - وفي جمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٣١: وسبعاً وعشرين آية.

(٢) قال أبو عمرو في كتاب البيان، وذكره القرطبي في تفسيره: ١/ ٦٥، والسيوطي في الإتقان: ١/ ١٨٩ط أبو الفضل.

(٣) تفسير القرطبي: ١/ ٦٧.

وغيرها، وذلك في فواتح السور وحدها دون حشوها.

قال أبو عمرو: ولا أعلم كلمة هي وحدها آية - أي في حشو السور- إلا قوله تعالى في الرحمن: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤] لا غير.

والكلمة تطلق على الآية التامة، وعلى الكلام القائم بنفسه، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الأعراف: ١٣٧] قيل: المراد بالكلمة هاهنا قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾ [القصص: ٨].

وفي الحديث: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».[(١)]

وقد تسمي العرب القصيدة بأسرها والقصة كلها كلمة.

فتسمي جملة الكلام كلمة إذا كانت الكلمة منها، على عادتهم في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه، وما قاربه وجاوره، وكان بسبب منه مجازاً واتساعاً. اهـ.[(٢)]

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: إذا قال: والله لا أتكلم: ٧/ ٢٢٩، وفي غيره.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٧.

وأما عدد كلمات القرآن فقد ذكر القرطبي أن الفضل بن شاذان[(١)] أفاد أن: جميع كلمات القرآن - في قول عطاء بن يسار - سبعة وسبعون ألفاً وأربعمائة وسبع[(٢)] وثلاثون كلمة.[(٣)]

---

(١) هو الفضل بن شاذان بن عيسى الرازي، شيخ القراء بالري، قيل: لم يكن في دهره مثله في علمه وفهمه وعدالته، وحسن اطلاعه، توفي (٢٩٠هـ) انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ٢/ ١٠ - ومعرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٢٤٣.

(٢) في القرطبي: (تسع) وهو خطأ، والصحيح ما أثبته وهو موافق لما في البرهان للزركشي: ١/ ٢٤٩، والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦٣٧ وغيرهما.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٥، وهو مروي عن مجاهد وابن جبير. الإتقان للسيوطي: ١/ ١٩٧.

قلت: وذكر ابن الجوزي أن المنهال بن عمرو روى عن عطاء بن يسار أنه تسع وسبعون ألف كلمة ومائتان وسبعة وسبعون كلمة. فنون الأفنان: ٢٤٥، وهو أمر بعيد، إذ يكون الفرق بين العادين أكثر من ألفي كلمة، وهو فرق لا يمكن أن يتفق وقول أهل العلم أن سبب الاختلاف في عد الكلمات لأن الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم، واعتبار كل واحد منها جائز، وكل من الصحابة اعتبر أحد الجوائز. وانظر: جمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٣١ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٩٧ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦٣٨ - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٣٣٧.

ثم إن معرفة عدد كلم القرآن مع الاختلاف فيه لا فائدة مرجوة منه، إذ الفائدة متحققة لو كان هناك اتفاق، وكذا في حروفه، ولهذا الأمر لم يهتم الحافظ السيوطي بِعَدِّ الكلم والحروف في كتابه، وقال: وفيه أقوال أخر والاشتغال باستيعاب ذلك مما لا طائل تحته، وقد استوعبه ابن الجوزي في فنون الأفنان، وعدَّ الأنصاف والأثلاث إلى الأعشار،=

المسألة الخامسة: حروف القرآن:

الحرف هو الشُّبهة القائمة وحدها من الكلمة، وقد يسمى الحرف كلمة والكلمة حرفاً، اتساعاً ومجازاً.

قال الداني: فإن قيل: فكيف يسمى ما جاء من حروف الهجاء في الفواتح على حرف واحد، نحو ﴿ص﴾ و﴿ق﴾ و﴿ن﴾ حرفاً أو كلمة؟

قلت: كلمةٌ لا حرفاً، وذلك من جهة أن الحرف لا يسكت عليه، ولا ينفرد وحده في الصورة، ولا ينفصل مما يختلط به؛ وهذه الحروف مسكوت عليها منفردة منفصلة كانفراد الكلم وانفصالها، فلذلك سُمّيت كلمات لا حروفاً.

وقال: وقد يكون الحرف في غير هذا المذهب والوجه، قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] أي على

=وأوسع القول فيه، فراجعه منه، فإن كتابنا موضوع للمهمات لا لمثل هذه البطالات!! الإتقان: ١/ ١٩٧.

وقال السخاوي: ما أعلم - لعدد الكلمات والحروف - من فائدة، لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد في كتاب تمكن فيه الزيادة والنقصان منه، والقرآن لا يمكن ذلك فيه.

ثم إن ما يمكن أن يزاد فيه وينقص منه، لا يفيد فيه حصر كلماته وحروفه، فقد تبدل كلمة موضع أخرى، وحرف مكان حرف، والقرآن بحمد اللَّه محفوظ من جميع ذلك. جمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٣١ .

وجه ومذهب.(١)

وأما عدد حروف القرآن فقد روى سلام أبو محمد الحِماني أن الحجاج بن يوسف جمع القراء والحفاظ والكُتّاب، فقال: أخبروني عن القرآن كله، كم حرفاً هو؟ قال: وكنت فيهم، فحسبنا فأجمعنا على أن القرآن ثلاث مئة ألف حرف وأربعون ألف حرف وسبعمائة حرف وأربعون حرفاً.(٢)

وعن الفضيل بن شاذان: أن حروف القرآن ثلاث مئة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً.

وعن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال: أحصينا من القرآن، وهو ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفاً.

قال القرطبي: وهذا مخالف لما تقدم عن الحماني.(٣)

المسألة السادسة: أجزاء القرآن:

روى سلام الحِماني أن الحجاج بن يوسف قال للقراء والحفاظ والكُتّاب: أخبروني إلى أي حرف ينتهي نصف القرآن؟ فإذا هو في الكهف

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٧.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٤.

(٣) المصدر السابق: ١/ ٦٥ والإتقان للسيوطي: ١/ ٢٢٠ط البغا.

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الآية: ١٩] في الفاء. قال: فأخبروني بأثلاثه؛ فإذا الثلث الأول رأس مائة من براءة، والثلث الثاني رأس مائة أو إحدى ومائة من ﴿طسم الشعراء﴾ والثلث الثالث ما بقي من القرآن. قال: فأخبروني بأسباعه على الحروف؛ فإذا أوَّل سبع في النساء ﴿فَمِنْهُم مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَن صَدَّ﴾ [الآية: ٥٥] في الدال، والسبع الثاني في الأعراف ﴿حَبِطَتْ﴾ [الآية: ١٤٧] في التاء، والسبع الثالث في الرعد ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾ [الآية: ٣٥﴾ في الألف من آخر «أكلها» السبع الرابع في الحج ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً﴾ [الآية: ٣٤] في الألف، والسبع الخامس في الأحزاب ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ﴾ [الآية: ٣٦] في الهاء، والسبع السادس في الفتح ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ [الآية: ٦] في الواو، والسبع السابع ما بقي من القرآن(١).

قال سلام: عملناه في أربعة أشهر، وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربعاً، فأول ربعه خاتمة الأنعام، والربع الثاني في الكهف ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾،

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٤ - وجمال القراء للسخاوي: ١/ ١٢٦ - والمصاحف لابن أبي داود: ١١٨.

قلت: هذا التقسيم هو باعتبار الحروف، كما صرح بذلك الحجاج في الرواية، (فأخبرني بأسباعه على الحروف) وهناك حساب آخر باعتبار عدد كلماته، وآخر باعتبار آياته، ثم باعتبار سوره، وكل ذلك يدل على مبلغ العناية بكتاب اللّه. وقد ذكر ذلك السيوطي في الإتقان: ١/ ٢٢٠ - وانظر: فنون الأفنان لابن الجوزي في ذلك مفصلاً: ٢٥٣.

والربع الثالث خاتمة الزمر، والربع الرابع ما بقي من القرآن.

قال القرطبي: وفي هذه الجملة خلاف.[١]

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٤.

الموضوع الخامس

أسماء القرآن وأسماء سوره

تناول هذا الموضوع في مقدمة تفسيره ابن جرير الطبري[١]، والماوردي[٢]، وابن عطية[٣]، وابن جزي[٤]، وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: أسماء القرآن الكريم:

سمّى اللّه تعالى تنزيله العظيم في كتابه الكريم بأربعة أسماء[٥]:

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٩٤ - ١٠٤.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٢٣ - ٢٤.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ٦٨ - ٦٩.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٧.

(٥) وهناك من زاد في الأسماء فذكر كثيراً من الأوصاف، وعدّها أسماءً حتى بلغت نحواً من ستين اسماً، ذكر منها أبو المعالي المعروف بشيذلة في كتابه البرهان خمساً وخمسين اسماً، وزاد القرطبي في التذكار في أفضل الأذكار أسماءً غيرها. ومن الأوصاف تسميته (كلاماً) مشتق من الكلم بمعنى التأثير، ومنها (الهدى) لكونه دليلاً على الحق، ومنها (الحكمة) و(الحبل) و(الرحمة) وغير ذلك. انظر: التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي: ٢٣ - والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ٢٧٣ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٤٣ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٤١٦ تحقيقي.

الأول: (القرآن) قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

الثاني: (الفرقان) قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان: ١].

الثالث: (الكتاب) قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ للّه الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١].

الرابع: (الذكر) قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].(١)

قال ابن جرير: ولكل اسم من أسمائه الأربعة من كلام العرب معنى ووجهٌ غيرُ معنى الآخر ووجهه.(٢)

فأما تسميته (قرآناً) ففيه تأويلان:

أحدهما: وهو قول ابن عباس، أنه مصدر من قولك (قَرَأْتُ) أي: بيَّنتُ. ثم أطلق على المقروء(٣).

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٥ - والماوردي: ١/ ٢٣ - وابن عطية: ١/ ٦٨ - وابن جزي: ١/ ٧.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٤.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٤ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٣ - وابن عطية: ١/ ٦٨ - وابن جزي: ١/ ٦.

قال ابن عطية: قرأ الرجل إذا تلا، يقرأ قرآناً وقراءة، وحكى أبو زيد الأنصاري: وقُرْءاً.[(١)]

روى ابن جرير الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ يقول: بيَّناه، ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] يقول: اعمل به.[(٢)]

قال ابن جرير: ومعنى قول ابن عباس هذا: فإذا بيّناه بالقراءة فاعمل بما بيناه لك بالقراءة.[(٣)]

فالقرآن على هذا مصدر من (قرأ) إذا (تلا)، ومن هذا قول حسان ابن ثابت يرثي عثمان بن عفان - رضي الله عنه -:

ضَحَّوا بأَشْمَطَ عُنْوانُ السُّجود به يُقَطِّعُ اللَّيلَ تَسْبيحاً وقُرْآناً

أي: قراءة.[(٤)]

والآخر: وهو قول قتادة، أنه بمعنى التأليف، مصدر من قولك: قرأت الشيء: إذا جمعتَهُ وضممتَ بعضه إلى بعض. مأخوذ من قولهم: ما قرأت هذه الناقة سلىً قط. أي: لم ينضم رحمها على ولد.

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ٦٨.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٥.

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٧ - وابن عطية: ١/ ٦٩ - وهو في ديوان الشاعر: ٤١٠.

قال عمرو بن كلثوم[١]:

ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أدْمَاءَ بِكْرٍ هِجَانِ اللَّون لَمْ تَقْرَأ جَنِينا[٢]

قال الماوردي: ولهذا سمي قرء العدة قرءاً، لاجتماع دم الحيض في الرحم.[٣]

قال ابن عطية: قرأ الرجل إذا جَمَعَ وألَّفَ قولاً.[٤]

وبه فسَّرَ قتادة قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ يقول: حفظه وتأليفه. ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ اتبع حلاله، واجتنب حرامه[٥].

فتأويل القرآن على رأي قتادة هو التأليف.

قال الطبري: ولكلا القولين - أي قول ابن عباس وقتادة - وجه صحيح في كلام العرب، غير أنَّ أولى قولَيْهما بتأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا

---

(١) هو عمرو بن كلثوم بن مالك من بني تغلب بن وائل، شاعر فارس جاهلي قديم، أحد فُتاك العرب، وهو قاتل عمرو بن هند الملك. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة: ١٣٧ - وخزانة الأدب للبغداي: ٣/ ١٨٣.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٦ - والماوردي: ١/ ٢٤ - وابن عطية: ٦٩.

(٣) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٢٤.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٦٩.

(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١/ ٩٦.

جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قول ابن عباس.[١] ورجحه ابن عطية وقال: إنه أقوى.[٢]

ويؤخذ على قول قتادة أن اللّٰه جلّ ثناؤه أمر نبيه ﷺ في غير آية من تنزيله باتباع ما أوحي إليه، ولم يرخص في ترك اتباع شيء من أوامره إلى وقت تأليف القرآن، فكذلك قوله ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ لو وجبَ أن يكون معنى قوله ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ فإذا ألَّفناه فاتبع ما ألَّفنا لك فيه، لكان الأمر الوارد في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ والفرض الواجب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾--﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ غير ملزم إلى حين تأليف القرآن، والقائل به خارج عن الملة.[٣]

وعليه فحكم كل آية من آي القرآن لازم للرسول ﷺ اتباعُه والعمل به، حين نزوله.

وأما تأويل اسمه (الفرقان):

فالفرقان مصدر، قال ابن جرير: وأصله عندنا: الفرق بين الشيئين، والفصل بينهما، وقد يكون ذلك بقضاء واستنقاذ، وإظهار حُجَّة ونصرٍ،

---

(١) تفسير ابن جرير: ١/ ٩٦.

(٢) تفسير ابن عطية: ١/ ٦٩.

(٣) نظر: تفسير الطبري: ١/ ٩٧.

وغير ذلك من المعاني المفرّقَة بين المحق والمبطل.[١]

وقد قيل في تسمية التنزيل ﴿فُرْقَاناً﴾ أقوال متعددة متقاربة:

فعن عكرمة فيما رواه ابن جرير أنه كان يقول: هو النجاة. وكذلك كان السدي وغيره يتأوله.

وعن ابن عباس ورواية عن مجاهد: الفرقان: المخرج.

وفي رواية عن مجاهد أيضاً أنه كان يقول في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] يوم فَرَّقَ اللّه فيه بين الحق والباطل.[٢]

قال ابن عطية: سُمِّي - أي كتاب اللّه - فرقاناً؛ لأن اللّه فرق فيه بين الحق والباطل - وهو قول الجماعة[٣] - والمؤمن والكافر فرقاً وفرْقاناً.[٤]

وكل تلك الأقوال صحيحة لاتفاق معاني ألفاظها في ذلك، وبذلك يتبين أن كتاب اللّه سُمِّي فرقاناً لفصله بحججه وأدلّته، وحدود فرائضه

---

(١) نظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٩.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٨ - ومعاني القرآن للزجاج: ٤/ ٥٧ - وجمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٧ - والبرهان للزركشي: ١/ ٢٨٠.

(٣) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٢٤ - وانظر جمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٨.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٦٩ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٧ - وهو قول أبي عبيدة. انظر مجاز القرآن: ١/ ١٨ - وجمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٨.

وسائر معاني حُكمه بين المحق والمبطل، وفرقانه بينهما بنصرة المحق وتخذيله المبطل حُكماً وقضاءً.(١)

وأما تأويل اسمه (الكتاب)

فالكتاب مصدر من كَتَبَ إذا جمع، ومنه قيل: كتيبة لاجتماعها، قال سالم بن دارة(٢) يهجو ثابت بن رافع الفزاري:

لا تأْمَنَنَّ فَزَارِيَّاً خَلَوْتَ بِهِ … على قَلُوصِكَ واكْتُبْهَا بأَسْيَارِ(٣)

والكتاب: هو خطُّ الكاتب حروفَ المعجم مجموعة ومتفرقة، وسمي كتاباً وإنما هو مكتوب كما قال الشاعر:

تُؤمِّلُ رَجْعَةً مِنِّي وَفيها … كِتَابٌ مِثْلَ ما لَصِقَ الْغِراءُ

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٩.

(٢) هو سالم بن دارة بن مسافع بن عقبة الجشمي الغطفاني، المعروف بابن دارة، ودارة أمه، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، قتله زُميل بن عبد مناف لما هجا ثابت بن رافع الفزاري. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٢٥٣ - وخزانة الأدب للبغدادي: ٢/ ١٤٤.

(٣) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٢٤ - وتفسير ابن عطية: ١/ ٦٩ - وانظر: الشعر والشعراء: ٢٥٣ - قلت: ومنه قيل: تكتَّب بنو فلان، أي اجتمعوا. وسمي التنزيل كتاباً لما اجتمع فيه من المعاني كالأمر والنهي والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والحلال والحرام، ونبأ ما كان وما يكون.... ولأنه جمع فيه كل شيء. وقال أو عبيد: سمي كتاباً لأنه جمع السور وضمها. انظر: جمال القراء للسخاوي: ١/ ٢٨.

يعني به مكتوباً.(١)

وأما تأويل اسمه (الذكر): ففيه ثلاثة تأويلات:

الأول: أنه ذكر من اللَّه جلَّ ذكره، ذكَّر به عباده، فعرَّفهم فيه حدوده وفرائضه.

قال ابن عطية: ذكر به الناس آخرتهم وإِلهَهُم وما كانوا في غفلة عنه فهو ذكر لهم.(٢)

الثاني: أنه ذكرَ وشرف وفخر لمن آمن به وصدَّق بما فيه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الأحزاب: ٤٤] يعني شرف له ولقومه(٣). قال ابن عطية: ولسائر العلماء به.(٤)

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٩ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٤ - وقد قال أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير ابن جرير: لم أجد هذا البيت في شيء من المراجع التي بين يدي.

وانظر في معنى كتاب: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (كتب): ٥/ ١٥٨ - ومعاني القرآن للزجاج: ١/ ١٧٠.

(٢) تفسير ابن عطية: ١/ ٦٩ - وانظر: جمال القراء للسخاوي: ١/ ٣١.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٩٩ - والماوردي: ١/ ٢٤ - وابن عطية: ١/ ٦٩ - وجمال القراء للسخاوي: ١/ ٣١.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٦٩.

الثالث: سمي بذلك لأن فيه ذكرالأمم الماضية والأنبياء.(١)

وهناك صفات أخرى وصف الله بها تنزيله، هي صفات لا أسماء، كوصفه تعالى تنزيله بالعظيم والذكر والمتين والعزيز وغير ذلك.(٢)

المسألة الثانية: أسماء سور القرآن:

قال ابن جرير الطبري: لسور القرآن أسماء سمَّاها بها رسول الله ﷺ.(٣)

ثم روى بسنده عن واثلة بن الأسقع، عن رسول اللّه ﷺ قال: أعطاني ربي مكان التوراة السبعَ الطُّوَل، ومكان الإنجيل المثاني، ومكان الزبور المئين، وفضَّلني ربي بالمفصَّل.(٤)

وبسند آخر عنه أن رسول الله ﷺ قال: أُعطيتُ مكان التوراة السبع الطُّوَل، وأُعطيت مكان الزَّبور المئين، وأُعْطيت مكان الإنجيل المثاني،

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٦٩ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٧.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٧.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٠.

(٤) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٠ - وأورده الماوردي في تفسيره: ١/ ٢٥، وفي سنده ليث ابن أبي سُلَيم، قال في التقريب: ٢/ ١٣٨: صدوق اختلط أخيراً، ولم يتميز حديثه فتُرك.
وانظر: تهذيب الكمال للمزي ٢٤/ ٢٧٩ - وطبقات ابن سعد: ٦/ ٣٤٩ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٦/ ١٧٩.

وفُضِّلتُ بالمفصَّل.(١)

قال الطبري: (السبع الطُّول): ﴿البقرة﴾ و﴿آل عمران﴾ و﴿النِّسَاء﴾ و﴿المائدة﴾ و﴿الأنْعَام﴾ و﴿الأعراف﴾ و﴿يونس﴾ في قول سعيد بن جبير.

وبنحوه عن ابن عباس.(٢)

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٠ - والحديث الذي سبق إسناد آخر لهذا الحديث، وهو إسناد مشكل كما قال أحمد شاكر. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (ح١٨٦ و١٨٧- ٢٢/ ٧٥) - والبيهقي في الشعب: (ح٤٢١ - ٢/ ٧٥١) و(ح٤٨٨ - ٢/ ٨٦٦) وذكره ابن كثير في تفسيره ١/ ٣٤ وعزاه لأبي عبيد وقال: غريب وسعيد بن بشير فيه لين. وتعقبه العلامة شاكر فقال: هو تعليل غير محرر، فإن سعيد بن بشير لم ينفرد به بل تأيدت روايته برواية الطيالسي عن أبي العوام عمران بن داور، وهو إسناد صحيح. تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٠ حاشية (٢) وأورده السيوطي في الجامع الصغير، ورمز لحسنه وعزاه للطبراني والبيهقي. قال المناوي: وكذا أحمد. فيض القدير: ١/ ٥١٦ - ومسند أحمد: ٤/ ١٠٧ وفضائل القرآن لأبي عبيد: ١٥٧.

(٢) تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٢ - ١٠٣ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٦.

وأخرجه أبو عبيد في فضائله: ١٥٨ - والحاكم في المستدرك: ٢/ ٣٥٥ وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. - والبيهقي في الشعب: (ح٤٢٣ - ٢/ ٧٥٦) و(ح٤٢٤ - ٢/ ٧٥٦) وانظر: فتح الباري لابن حجر: ٨/ ٣٨٢ - والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة: ٢/ ٥٩١ بتحقيقي.

وقد اختلف العلماء في السابعة من الطُّوَل، فعن جماعة هي ﴿براءة﴾، وفي رواية عند=

قال الماوردي: وهو الصحيح.(١)

وإنما سميت هذه السور السبع الطُّوَل لطولها على سائر سور القرآن.(٢)

أما (المئون): فهي ما كان من سور القرآن عدد آيه مائة آية أو تزيد عليها شيئاً أو تنقص عنها شيئاً.(٣)

أما (المثاني): ففيها ثلاثة تأويلات:

أحدها: ما ثنى المئين فتلاها، وكان المئون لها أوائل، وكان المثاني لها ثواني. قال بعض الشعراء:

=الحاكم أنها ﴿الكهف﴾. ونسي الراوي السابعة في الرواية التي أخرجها الحاكم والنسائي وغيرهما عن ابن عباس. وفي رواية صحيحة عن ابن أبي حاتم وغيره عن سعيد بن جبير أنها ﴿يونس﴾، قال ابن عقيلة: فكأن القائلين بأنها ﴿يونس﴾ مشوا على ترتيب مصحف أُبي وابن مسعود، فإنها في مصحفيهما هي السابعة من الطُّوَل على اختلاف بينهما في الترتيب.... انظر: جمال القراء للسخاوي: ١/ ٣٤ - والبرهان للزركشي: ١/ ٢٤٤ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٩٩ط البغا.

(١) تفسير الماوردي: ١/ ٢٦.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٣ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٦.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٣ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٦ - وانظر البرهان للزركشي: ١/ ٢٤٥ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٩٩ط البغا.

حَلفتُ بالسبَّع اللّواتي طُوِّلتْ ... وبمِئين بعدَها قد أُمْئِيَتْ
وبمَثانٍ ثُنِّيتْ فكُرِّرتْ ... وبالطَّواسِينِ التي قد ثُلِّثَتْ
وبالحواميم اللَّواتي سُبِّعَتْ ... وبالمفصَّل اللَّواتي فُصِّلَتْ[١]

والثاني: لتثنية اللّه جلَّ ذكره فيها الأمثالَ والخَبَر أو العِبرَ[٢]. وقيل: الفرائض والحدود. وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقال جماعة يكثر تعدادهم: القرآن كله مثانٍ.[٣]

والثالث: أنها فاتحة الكتاب، لأنها تُثْنى قراءتُها في كل صلاة[٤]. وهو قول الحسن البصري، قال الراجز:

نَشَدْتُكم بِمنزل القرآن ... أُمِّ الكتاب السبعِ منْ مَثانِي
ثنِّينَ مِنْ آيِ مِنَ القرآن ... والسَّبع سَبْع الطُّوَل الدَّواني[٥]

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٤ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٦.

(٢) في الإتقان: لتثنيته فيها الأمثال بالخبر والعبر. حكاه النكزاوي: ١/ ١٩٩ط البغا.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٣ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٦.

(٤) وقيل بل المثاني مشتق من الثناء، لما في الفاتحة من الثناء على اللّه سبحانه. وقيل لأنها - أي الفاتحة - تثنى بسورة أخرى. وقيل: لأنها نزلت مرتين.

انظر: البرهان للزركشي: ١/ ٢٠٧ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٥٢ط أبو الفضل - وتفسير القرطبي: ١/ ١١٢ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٤٣٢ تحقيقي.

(٥) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٢٦ - وزاد الفراء قولاً رابعاً فقال: المثاني هي السورة التي=

وأما (المفصل) فإنها سميت مفصَّلاً لكثرة الفصول التي بين سورها بـ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾(١).

قال الماوردي: وسمي المفصل محكماً لما قيل: إنه لم ينسخ شيء منه(٢).

واختلفوا في أول المفصل على ثلاثة أقوال:

أحدها: وهو قول الأكثرين أنه سورة «محمد ﷺ» إلى سورة الناس.

والثاني: أنه من سورة «ق» إلى الناس. حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة.

والثالث: أنه من سورة «الضحى» إلى الناس، وهو قول ابن عباس، وكان يفصل في سورة الضحى بين كل سورتين بالتكبير على رأي قراء مكة.(٣)

=آيها أقل من مائة؛ لأنها تُثَنَّى - أي تكرر - أكثر مما يثنى الطُّوَل والمئون. انظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ١٩٩ط البغا. وفي جمال القراء للسخاوي: ١/ ٣٥ هي السُّوَر التي ثُنيت فيها القصص.

(١) انظر تفسير ابن جرير: ١/ ١٠٤ - وتفسير الماوردي: ١/ ٢٦ - وانظر: جمال القراء للسخاوي: ١/ ٣٥.

(٢) روى البخاري في صحيحه وغيره عن سعيد بن جبير قال: إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم. البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: تعليم الصبيان القرآن: ٦/ ١١٠ - والمسند للإمام أحمد: ٢٥٣.

(٣) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٢٦ - ٢٧ - وانظر: جمال القراء للسخاوي: ١/ ٣٥=

الموضوع السادس

فضائل القرآن وخواصه وآداب تلاوته

تناول هذا الموضوع في مقدمته الواحدي[١]، والبغوي[٢]، وابن عطية[٣]، والقرطبي[٤]، والخازن[٥]، وابن جزي[٦]، وأبو حيان[٧]، وابن كثير[٨]، وأولاه

=والإتقان للسيوطي: ١/ ٢٠٠ط البغا.

قلت: واختلف أهل العلم في أول المفصل على اثني عشر قولاً كما أفاد السيوطي في إتقانه، وصحح النووي أن أول المفصل سورة «الحجرات».

وهو - أي المفصل - ثلاثة أقسام: طوال، وأوساط، وقصار، وفي تعيينها خلاف. انظر في ذلك: الإتقان للسيوطي: ١/ ٢٠٠ط البغا - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٥٩٩ بتحقيقي. - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ٣٤٥.

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٤٩.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٣٨ - ٤١.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ١٤ - ٢٦.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٢ - ٤ - ١٠ - ١٧ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٦ - ٢٧ - ٣٩ - ٥٤ - ٦١ - ٧٨.

(٥) انظر: تفسير: ١/ ٤ - ٦.

(٦) انظر: تفسيره: ١/ ٣ - ٢٤.

(٧) انظر: تفسيره: ١/ ٢٣.

(٨) انظر: تفسيره: ١/ ١٢.

القرطبي من بين المذكورين عناية خاصة، فشغلت حيزاً كبيراً من مقدمته، وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: في التنبيه على أحاديث ضعيفة وُضِعَت في الفضائل[1]:

نبه القرطبي - يرحمه اللّه - في مقدمته إلى أمر هام، حين ذكر أن جماعة من الوضاعين، وضعوا أحاديث مكذوبة، وأخبار مختلفة، في الفضائل عامة وفي فضائل القرآن خاصة، ونسبوا ذلك إلى رسول اللّه ﷺ وكبار الصحابة وسلف الأمة، وبيَّن اختلاف مقاصد وأغراض تلك الجماعات[2].

وقد انتشرت تلك الموضوعات بين عامة المسلمين، وتناقلها القصاص، ووُجِدت في ثنايا كتب بعض المنتسبين للعلم دون التنبيه عليها.

وكان لهذا الإفك أغراض عديدة فمنها:

١- إيقاع الشك ببعض أمور الدين في قلوب الناس، كما فعل قوم من الزنادقة أمثال المغيرة بن سعيد الكوفي، ومحمد بن سعيد الشامي

---

(١) قدمت هذا الفصل بهذه المسألة، وقد أخرها القرطبي فذكرها في خاتمة مقدمته، وذلك لتنبيه القارىء، إلى خطورة هذا الأمر، ومن ثم ليولي انتباهاً خاصاً لدرجة الأحاديث والآثار التي قد تمر به في هذا الباب. فإن المحفوظ عند الخاصة والعامة من الأحاديث الموضوعة والضعيفة في الفضائل تفوق الصحيحة واللّه أعلم.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٨ - وانظر: المجروحين لابن حبان: ١/ ٦٢ ـ ٨٥.

المصلوب وغيرهما، فقد افترى هذا الأخير على أنس بن مالك أنــه قـال في قوله ﷺ: «أنا خاتم الأنبياء، لا نبي بعدي.» فزاد الراوي: «إلا ما شاء اللّـه» لما كان يدعو إليه من الإلحاد والزندقة.[(١)]

٢- ما وضع تبعاً للهوى، كما فعلت الخوارج، قـال أحـد شيوخهم بعد أن منَّ اللّه عليه بالتوبة: إن هذه الأحاديث دين فانظروا ممــن تـأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيَّرناه حديثاً.[(٢)]

٣- ما وضع حسبة من بعض جهلـة المسلمين، يريـدون بـه حسـب زعمهم ترغيب الناس في الفضائل[(٣)]، كما فعل نوح بن أبي مريـم المـروزي المعروف بأبي عِصْمَة[(٤)]، وكما فعل محمد بن عكاشـة الكرمـاني وغيرهمـا،

---

(١) المرجع السابق: ١/ ٧٨ - أورده ابن الجـوزي في الموضوعـات: ١/ ٢٧٩ - ٣٧٧ - والسيوطي في اللآلىء المصنوعة: ١/ ١٣٧ - والشوكاني في الفوائد المجموعة: ٣٢٠ وقال: رواه الجوزقاني.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٨ - وكتاب المجروحين لابن حبان: ١/ ٨٢.

(٣) قال النووي: أعظمهم ضرراً قوم ينسبون إلى الزهد، وضعوه حسبة في زعمهم. تدريـب الراوي للسيوطي: ١/ ٢٨٢ط دار الكتب الحديثة.

(٤) هو قاضي مرو، كان يُعرف بالجامع لجمعه العلوم، كذبوه في الحديث قـال ابـن المبـارك: كان يضع الحديث. انظر ترجمته: المجروحين لمحمد بن حبان البسـتي: ٣/ ٤٨ - والضعفـاء الكبير للذهبي: ٤/ ٣٠٤ - والكامل في الضعفاء لابن عدي: ٧/ ٢٥٠٥.

وقد قيل لأبي عصمة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق؛ فوضعت هذا الحديث حسبة.(١)

٤- ما وضع من بعض السؤَّال والمُكِدِّين، يقصدون به جمع المال، فيقفون في المساجد ويضعون لكل مجلس ما يوافق هواهم، ليعطوهم، وقد يضعون لموضوعاتهم أسانيد صحيحة حفظوها، ومن ذلك القصة المشهورة في أجر من قال: لا إله إلا اللّٰه، والتي ذكرها جعفر بن محمد الطيالسي(٢)، عن القاص الذي نسب إلى ابن حنبل وابن معين ما لم يقولاه، وأوردها القرطبي بطولها في مقدمته.(٣)

وغير ذلك من الأغراض والأهداف، التي تناولها الوعيد الوارد في قوله ﷺ: اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٨ - تدريب الراوي للسيوطي: ١/ ٢٨٢ط دار الكتب الحديثة.

(٢) هو جعفر بن محمد بن أبي عثمان الطيالسي، حافظ مجود، ثبت ثقة، اشتهر بالإتقان والحفظ والصدق، توفي (٢٨٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٣/ ٣٤٦ - وتاريخ بغداد للخطيب: ٧/ ١٨٨.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٩ - وانظر: كتاب المجروحين لابن حبان: ١/ ٨٥.

مقعده من النار.[١]

قال القرطبي: ولو اقتصر الناس على ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرها من المصنفات التي تداولها العلماء، ورواها الأئمة الفقهاء، لكان لهم في ذلك غُنية، وخرجوا عن تحذيره ﷺ.[٢]

المسألة الثانية: في ذكر شيء من فضائل القرآن:

ذكر المفسرون في مقدماتهم كثيراً من الأحاديث والآثار وأخبار السلف وعاداتهم مع القرآن، وتفاوتت درجات المرويات بين الصحيح الثابت وبين الضعيف المردود، وغالب تلك المرويات هي مما حفلت به كتب التفسير والفضائل، وأرى أن الاقتصار على ذكر نماذج منها في هذا الموضع هو الأسلم.

وفي هذه المسألة عدة مطالب:

المطلب الأول: فضل الاعتصام بكتاب اللّه:

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨٠ - والحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند: (ح٢٦٧٥ - ٤/ ٢٣٥) وقال شاكر: إسناده ضعيف، لضعف عبد الأعلى الثعلبي. وهو في المجمع: ١/ ١٤٦ ونسبه للطبراني وأعله بعبد الأعلى. وأصله في البخاري، كتاب العلم، باب: إثم من كذب على النبي ﷺ: ١/ ٣٥.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨٠.

روى الواحدي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: إني قد خَلَّفْتُ فيكم شيئين لن تضلوا أبداً ما أخذتم بهما، وعملتم بما فيهما، كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يَرِدَا عليَّ الحوض.[(١)]

وأخرج البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال: أما إن نبيكم ﷺ قال: إن اللَّه تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين.[(٢)] قال البغوي: صحيح أخرجه مسلم عن زهير بن حرب[(٣)].

---

(١) تفسير الواحدي: ١/ ٥٠ - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٩٣ وسكت عنه - وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات كما ذكر السيوطي وابن عقيلة، وأشار السيوطي إلى حسنه، وصححه الألباني صحيح الجامع الصغير: (ح٣٢٢٧ - ٣/ ١١١). وقال المناوي:، ورواه عنه أيضاً الدارقطني باللفظ المذكور وفيه - كما قال - الفريابي صالح بن موسى ضعفوه، وعنه داود بن عمر الضبي قال أبو حاتم: منكر الحديث. انظر: فيض القدير: ٣/ ٤٤٣، وانظر الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦٤٢ - ورواه أحمد في المسند: ٣/ ١٧ - ٢٦ عن أبي سعيد - وذكره الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي والسامع: ١/ ١١١.

(٢) تفسير البغوي: ١/ ٤٠ - وأورده الخازن في تفسيره: ١/ ٤ - وهو في مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه: ١/ ٥٥٩.

(٣) هو زهير بن حرب بن شداد الحرشي، أبو خيثمة، محدث حافظ حجة، صاحب تصانيف مشهورة، توفي (٢٣٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١١/ ٤٨٩ - وتاريخ بغداد للخطيب: ٨/ ٤٨٢.

وعن زيد بن أرقم(١) قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى (خماً) بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد: ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحثَّ على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. وزاد في رواية: كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضلَّ.(٢)

وأخرج البغوي بسنده عن الحارث الأعور(٣) قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي - رضي الله عنه - فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: أما إني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا

---

(١) هو زيد بن أرقم بن زيد الأنصاري الخزرجي، روى عن النبي ﷺ، وعن علي بن أبي طالب وعنه أنس بن مالك وغيره، غزا مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة، توفي (٦٦هـ) انظر: الإصابة لابن حجر: ١/ ٥٦٠ - وتهذيب الكمال للمزي: ١٠/ ٩.

(٢) تفسير الخازن: ١/ ٤ - والحديث في صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل علي بن أبي طالب: ٤/ ١٨٧٠ - وذكر ابن عطية نحوه: ١/ ١٤ - وأبو حيان في تفسيره: ١/ ٢٤ وغيرهم.

(٣) هو الحارث بن عبد الله بن كعب الهمداني الكوفي الأعور، فقيه، كثير العلم، لين الحديث، تكلم فيه، وكان غالياً في التشيع. توفي (٦٥هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ١٥٢ - وشذرات الذهب لابن العماد: ١/ ٧٣.

إنها ستكون فتنة. قلت: ما المخرج منها يا رسول اللَّه؟ قال: كتاب اللَّه، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه اللَّه، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله اللَّه، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغُ به الأهواء، ولا تلبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يَخْلَق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً. يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١-٢] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم. خذها إليك يا أعور.

قال أبو عيسى: هذا لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، والحارث فيه مقال(١).

---

(١) تفسير البغوي: ١/ ٣٩. وأورده ابن عطية بنحوه في تفسيره: ١/ ١٣ - والقرطبي في تفسيره: ١/ ٥ وقال: الحارث رماه الشعبي بالكذب وليس بشيء، ولم يَبِنْ من الحارث كذب، وإنما نُقم عليه إفراطه في حب عليٍّ وتفضيله له على غيره. ومن هاهنا - واللَّه أعلم - كذَّبه الشعبي؛ لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر، وإلى أنه أول من أسلم. قال ابن عبد البر: وأظن الشعبي عوقب لقوله في الحارث الهمداني: حدثني الحارث وكان أحد الكذابين. اهـ- والخازن في تفسيره: ١/ ١٢، وأخرجه الترمذي في سننه: (ح٣٠٧٠ - ٤/ ٢٤٥) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. وهو في سنن الدارمي: (ح٣٣٣٤ - ٢/ ٣١٢) - وأخرجه الفريابي في فضائله: (ح٨٠ - ١٨٤) - وابن أبي شيبة في مصنفه بنحوه عن علي: ١٠/ ٤٨٢ -=

المطلب الثاني: في ذكر شيء مما جاء في فضل تعلم القرآن وتعليمه:

أخرج البغوي بسنده وغيره عن أنس عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأَتْرُجَّة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن، كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها.(١)

=وانظر جامع الأصول: ٢/ ٤٦١.

وقد عقب الحافظ ابن كثير في فضائل القرآن: ص، ٥ على قول الترمذي السابق فقال: لم يتفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور فبرىء حمزة من عهدته، على أنه وإن كان ضعيف الحديث فإنه إمام في القراءة، والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا، قال: وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - وقد وهم بعضهم في رفعه وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله ابن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ.

(١) تفسير البغوي: ١/ ٤٢ وقال: صحيح أخرجه البخاري عن قتيبة عن أبي عوانة عن قتادة - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦، ٧ - الخازن: ١/ ٥ - وابن جزي: ١/ ٢٤ - وهو في صحيح البخاري: كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل القرآن على سائر الكلام: ٦/ ١٠٧، وباب: من رايا بقراءة القرآن أو تأكل به: ٦/ ١١٥، وفي الطعام: ٦/ ٢٠٧،=

وأخرج البغوي بسنده عن ابن مسعود قال: إن هذا القرآن مأدبة اللّه فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل اللّه والنور المبين والشفاء النافع وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، فاتلوه فإن اللّه عزَّ وجلَّ يأجركم على تلاوته، بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول ﴿الم﴾ حرف، ولكنْ الألف حرف، واللام حرف، والميم حرف.

وهو في الخازن بلفظ: من قرأ حرفاً من كتاب اللّه فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الم﴾ حرف، ولكن ألف حرف.... الحديث[1].

وأخرج البغوي بسنده أيضاً عن عثمان عن النبي ﷺ قال: خيركم

=والتوحيد: ٨/ ١٢٨ - وفي صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضيلة حافظ القرآن: (ح٧٩٧ - ١/ ٥٤٩) - والإمام أحمد في المسند، انظر الفتح الرباني للساعاتي: ١٨/ ١٢ - والترمذي في سننه: (ح٣٠٢٥ - ٤/ ٢٢٧) - والنسائي في فضائل القرآن: (ح١٠٦ - ١١١) - والبيهقي في الشعب: (ح٣٩ - ١/ ١٠٣).

(١) تفسير البغوي: ١/ ٤٠ - وهو في القرطبي بألفاظ متقاربة: ١/ ٥ وعزاه لابن الأنباري في الرد على من خالف مصحف عثمان. - وهو في الخازن: ١/ ٥ - وفي تفسير أبي حيان: ١/ ٢٤ - ولفظ البغوي أخرجه الدارمي في سننه: ٢/ ٤٣١، ولفظ الخازن أخرجه الترمذي في سننه: (ح٢٩١٠ - ٥/ ١٧٥) وقال: حديث حسن صحيح غريب - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٥٥٦ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه - وابن الضريس في فضائل القرآن: (ح٥٩ - ٤٦) - وأبو عبيد في فضائل القرآن: (ح٢٣ - ١٢) - وابن المبارك في الزهد: (ح٨٠٨ - ٢٧٩).

من تعلم القرآن وعلَّمه. وفي رواية زيادة: فإن اللَّه يرفع بهذا القرآن أقواماً ويضع آخرين[(١)].

وأخرج بسنده أيضاً عن عائشة - رضي اللَّه عنها - عن النبي ﷺ قال: مثل الماهر بالقرآن مثل السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرؤه وهو عليه شاق له أجران.[(٢)]

قال القرطبي: التتعتع: التردد في الكلام عياً وصعوبة؛ قال: وإنما كان له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة، ودرجات الماهر فوق ذلك كله؛ لأنه قد كان القرآن متعتعاً عليه، ثم ترقى عن ذلك إلى أن شُبه بالملائكة.[(٣)]

---

(١) تفسير البغوي: ١/ ٣٩ - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦ - والخازن: ١/ ٥ - وابن جزي: ١/ ٢٤ - وأبا حيان: ١/ ٢٤ بلفظ (أفضلكم) - وبوب عليه البخاري في صحيحه، وبهما وردت الرواية عنده، كتاب: فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلَّمَهُ: ٦/ ١٠٨.

(٢) تفسير البغوي: ١/ ٤١ وقال: صحيح. وأورده ابن عطية بنحوه: ١/ ١٨ - والقرطبي: ١/ ٧ - وابن جزي: ١/ ٢٤ - وهو في البخاري: كتاب: التفسير، سورة «عبس»: ٦/ ٨١، وبوب عليه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب: (٥٢): ٨/ ١٤٢، وصحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل الماهر بالقرآن: (ح٧٩٨ - ١/ ٥٤٩)، وأخرجه غيرهما. وانظر: الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦٦٩.

(٣) تفسير القرطبي: ١/ ٧.

وعن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رجل: يا رسول اللَّه صلى اللَّه عليك وسلم، أي الأعمال أحب إلى اللَّه؟ قال: الحال المرتحل. قال: وما الحال المرتحل؟ قال: الذي يضرب من أول القُرآن إلى آخره كلما حلّ ارتحل.[١]

المطلب الثالث: ذكر شيءٍ مما جاء في فضل حامل القرآن:

أخرج البغوي بسنده عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: إنَّ الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب.[٢]

---

(١) تفسير الخازن: ١/ ٥ - وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب: القراءات، باب: (١٣): (ح٢٩٤٨ - ٥/ ١٩٧) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بالقوي. وذكره من طريق آخر عن زرارة بن أوفى وقال: هذا عندي أصح. - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٥٦٨ وقال: تفرد به صالح المري، وهو من زهاد أهل البصرة إن الشيخين لم يخرجاه. قال الذهبي في التلخيص: صالح المري متروك. - وأخرجه البيهقي في الشعب: (٦٦ - ١/ ١٥٩) - وابن جزي في النشر: ٢/ ٤٤٦ وانظر: تفسير (رواه الترمذي مرسلاً، وقال: إنه أصح. اهـ. وقطع بصحته أبو محمد المكي، وسكت عليه البيهقي في الشعب فلم يذكر فيه ضعفاً كعادته، وضعفه أبو شامة من قِبَل صالح المري.).

(٢) تفسير البغوي: ١/ ٤١ - وانظر: تفسير الخازن: ١/ ٥ - وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب: أبواب فضائل القرآن، باب: (١٨): (ح٢٩١٣ - ٥/ ١٧٧) وقال: حديث حسن صحيح. - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٥٥٧ وقال: صحيح الإسناد. وتعقبه=

وأورد القرطبي عن ابن الأنباري بسنده عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ القرآن وتلاه وحفظه أدخله الله الجنة وشفَّعَه في عشرة من أهل بيته كلٌّ قد وَجَبَت له النار.(١)

=الذهبي في التلخيص وقال: قابوس فيه لين.

قال أحمد شاكر في مسند الإمام أحمد: ٣/ ٢٩٠: إسناده صحيح، وقابوس بن أبي ظبيان سبق أن ضعفناه في الحديث رقم (٨٨٨) ولكن رأينا أن بعض الأئمة وثقه كابن معين ويعقوب بن سفيان، وأن الترمذي والحاكم يصححان حديثه، فاستدركنا ورجعنا إلى توثيقه. وأورده السيوطي في الجامع الصغير، وعزاه للترمذي والحاكم وأحمد ورمز لصحته، وقال المناوي: قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح. وفاتهما أن فيه قابوس بن أبي ظبيان ضعيف كما بينه ابن القطان، والراوي عن قابوس جرير، وفيه مقال، فالصحة له محال، ومن ثم استدركه الذهبي على الحاكم، وقال: قابوس لين، وقال النسائي: غير قوي. فيض القدير: ٢/ ٣٨٢ - والحديث ذكره المنذري في الترغيب والترهيب: ٢/ ٣٥٩ - والنووي في التبيان: ٢٠ - وهو في كنز العمال للهندي: ١/ ٥٥٣.

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٩ - وانظر: تفسير الخازن: ١/ ٦ بنحوه، وعزاه للترمذي. وهو في الترمذي، كتاب: أبواب فضائل القرآن، باب: ما جاء في فضل قارىء القرآن: (ح٣٠٦٩ - ٤/ ٣٤٥) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس له إسناد صحيح، وحفص بن سليمان أبو عمر البزار - من رجال السند - كوفي يضعف في الحديث. قال ابن حجر في التقريب: ١/ ١٨٦: هو حفص بن أبي داود القارىء، صاحب عاصم، ويقال له حفيص متروك الحديث مع إمامته في القراءة... وأورده القرطبي في التذكار: ٥٥ وقال: وإن كان في إسناده مقال فإن العلماء مجمعون على القول به، وهو في المشكاة=

وأخرج البغوي بسنده عن عبد اللّه بن عمر - رضي اللّه عنهما - عن النبي ﷺ قال: يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها.(١)

وأورد ابن عطية عن ابن عباس - رضي اللّه عنهما - عن النبي ﷺ قال: أشراف أمتي حملة القرآن.(٢)

وأخرج البغوي بسنده عن مِشْرَح بن هاعان، قال: سمعت عقبة بن عامر يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار.

=للتبريزي: ١/ ٦٦٠ - والترغيب والترهيب للمنذري: ٣/ ٣٥٥ - وكنز العمال للهندي: ١/ ٥٢.

(١) تفسير البغوي: ١/ ٤٢ - وعزاه للترمذي - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٨ وعزاه لأبي داود. - والخازن: ١/ ١٨ - وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب: فضائل القرآن، باب: (١٨): (ح٢٩١٤ - ٥/ ١٧٧) وقال: حديث حسن صحيح. - وأبو داود في سننه: (ح١٤٦٤ - ٢/ ٧٣)، والحاكم في المستدرك: ١/ ٥٥٣ وصححه. والآجري في أخلاق أهل القرآن: (ح٩ - ٤٨) وفي مواضع أخرى.

(٢) تفسير ابن عطية: ١/ ١٧ - وأخرجه البيهقي في الشعب: (ح٦٨٤ - ٣/ ١١٤٢) - والطبراني في الكبير: (ح١٣٦٦٢ - ١٢/ ١٢٥) بشطره الأول: قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ١٦١: وفيه سعد بن سعيد الجرجاني، وهو ضعيف. - وأخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء: ٣/ ١١٩٤ - والسهمي في تاريخ جرجان: ٢١٨ - قال الذهبي في الميزان: ٢/ ١٢١: وأما حديث حملة القرآن فرواه - سعد بن سعيد - عن نهشل وهو هالك. - وذكره المنذري في الترغيب: (ح٢٧ - ١/ ٤٣١).

قال البغوي: قيل معناه: مَنْ حمل القرآن وقرأه لم تمسه النار يوم القيامة.(١)

---

(١) وقال أبو عبيد: أراد بالقرآن قلب المؤمن الذي قد وعى القرآن. تفسير البغوي: ١/ ٣٩.

أخرجه أحمد في المسند: ٤/ ١٥١ - ١٥٥ - وأبو عبيد في فضائله: (ح١٤ - ٨) والطبراني في الكبير: (ح٨٥٠ - ١٧/ ٣٠٨) - والدارمي في سننه: (ح٣٣١٣ - ٢/ ٣٠٩) - وأبو يعلى في المسند: ٣/ ٢٨٤ - والبغوي في شرح السنة: (ح١١٨٠ - ٤/ ٤٣٦) - وابن عدي في الكامل: ٦/ ٢٤٦٠ - وأورده الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٥٨، وقال: فيه ابن لهيعة، وفيه خلاف.

وذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير، وعزاه للطبراني عن عقبة بن عامر، وعن عصمة بن مالك ورمز لضعفه. قال المناوي:: قال الهيثمي: فيه عبد الوهاب بن الضحاك وهو متروك.

قال: وقضية تصرف المصنف أنه لم يخرجه أشهر ولا أعلى من الطبراني، وكأنه ذهول، فقد خرجه الإمام أحمد عن عقبو، ورواه عن عقبة أيضاً الدارمي، - قال الحافظ العراقي: وفيه ابن لهيعة - وابن عدي والبيهقي في الشعب عن عصمة المذكور وابن عدي عن سهل بن سعد - قال العراقي: وسنده ضعيف - وقال ابن القطان: فيه من كان يلقن - وقال الصدر المناوي: فيه عند أحمد ابن لهيعة عن مِشْرَح ولا يحتج بحديثهما عن عقبة. اهـ.

قال المناوي: لكنه يتقوى بتعدد طرقه، فقد رواه أيضاً ابن حبان عن سهل بن سعد، ورواه البغوي في شرح السنة وغيره. فيض القدير: ٥/ ٣٢٤ - وانظر: مجمع الزوائد: ٧/ ١٥٨ - والتذكار للقرطبي: ٦٣ - والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير: (ح٥١٥٨ - ٥/ ٦٦) - وانظر: الزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ٢/ ٦٥٥ تحقيقي.

المطلب الرابع: ذكر شيءٍ مما جاء في فضل بعض سور القرآن:

أخرج البغوي بسنده عن أبي سلام عن أبي أمامة أنه حدَّثه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين ﴿البقرة﴾ و﴿آل عمران﴾ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غَمَامَتَان، أو كأنهما غَيَايَتَان أو كأنهما فِرْقَان من طير صَوَافّ تُحاجَّان عن أصحابهما. اقرأوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حَسْرَة، ولا يستطيعها البَطَلَة.(١)

وعن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه ﷺ قال: لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذي يُقرأ فيه سورة البقرة.(٢)

---

(١) تفسير البغوي: ١/ ٤٢ وقال: صحيح. وأورده ابن جزي بنحوه: ١/ ٢٥ - والحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة: ١/ ٥٥٣ - والترمذي في سننه، كتاب: أبواب فضائل القرآن، باب: ما جاء في آل عمران: (ح٢٨٨٣ - ٥/ ١٦٠) وقال: حديث حسن غريب - والبيهقي في الشعب: (ح٣٨١ - ٢/ ٦٨٤).

(٢) ذكره ابن جزي في تفسيره: ١/ ٢٥ - وأخرجه أبو عبيد في فضائله: (ح٤٠٩ - ١٥٩) - وأحمد في المسند: ٢/ ٢٨٤ و٣٣٧ - وفي الباب عن أنس وابن مسعود وعبد اللّه بن مغفل، بلفظ: الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة. وهو في الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٧٢٧ حاشية: (٣ و٤ و٥) تحقيقي.

وعن أُبي بن كعب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: يا أبا المنذر أتدري أيُّ آيةٍ من كتاب اللَّه معك أعْظَمُ؟ قالَ: قُلتُ: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: فَضَرَبَ في صدري وقال: واللَّهِ! لِيَهْنِكَ العِلْمُ يا أبا المُنْذِرِ.(١)

وعن أبي الدرداء أن رسول اللَّه ﷺ قال: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم الدجال.(٢)

وعنه عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن.(٣)

---

(١) ذكره ابن جزي في تفسيره: ١/ ٢٥ - والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي: ١/ ٥٥٦.

(٢) ذكره ابن جزي في تفسيره: ١/ ٢٥ - والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي: ١/ ٥٥٥ - وابن السني في عمل اليوم والليلة: (ح٦٨١ - ٢٥١) والبغوي في شرح السنة: (ح١٢٠٤ ٤/ ٢٦٩) - والبيهقي في الشعب: (ح٤٤٩ - ٢/ ٧٩٦) وأورده القرطبي في التذكار: ٢٤٧.

(٣) ذكره ابن جزي في تفسيره: ١/ ٢٥ - أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٤١٤ وعزاه لأبي عبيد وأحمد ومسلم وابن الضريس والنسائي، كلهم عن أبي الدرداء. وهو عند مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل قراءة ﴿قل هو اللَّه أحد﴾: ١/ ٥٥٧ - وهو في الموطأ لمالك: ١/ ٢٠٨ - وسنن الدارمي: (ح٣٤٣٥ - ٢/ ٣٣٠) - ومصابيح السنة للبغوي: (ح١٥٥٥ - ٢/ ١٢٤).

وعن عُقبة بن عامر(١) قال: قال رسول الله ﷺ: ألم تر آياتٍ أُنْزِلتِ اللّيلةَ لم يُرَ مِثْلُهُنَّ قطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾(٢).

المسألة الثالثة: ما يلزم قارئ القرآن الأخذ به وعدم الإغفال عنه:

فأول ما يلزم قارئ القرآن إخلاص النية للّه. والابتعاد عن الرياء والمباهاة: قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً﴾ [النساء: ٣٦] وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠].

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: إن أول الناس يُقضى عليه يوم القيامة رجل استُشهد فأتي به فعرَّفه نِعَمَه.... إلى أن قال: ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمَهُ، وقَرَأ القرآن فأُتي بِهِ فَعَرَّفه نِعَمَه فَعَرَفَهَا، قال: فما عَمِلتَ فيها؟ قال: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وعَلَّمتُه وقَرأتُ فِيكَ القُرآنَ. قال: كَذَبْتَ، ولكنك

(١) هو عقبة بن عامر بن عيسى بن عدي الجهني، يكنى أبا حماد، قارىء عالم بالفقه والفرائض، اشتهر بحسن صوته في قراءة القرآن، تولى إمرة مصر من قبل معاوية، توفي سنة (٥٨هـ). انظر تهذيب التهذيب لابن حجر: ٧/ ٢٤٢ - وأسد الغابة لابن عبد البر: ٣/ ٤٢١.

(٢) ذكره ابن جزي في تفسيره: ١/ ٢٥ - وهو في صحيح مسلم: كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة المعوذتين: ١/ ٥٥٨.

تعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقَال عَالِمٌ، وقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَال قارئٌ، فقد قيل. ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار.... الحديث.

وأورده الترمذي وزاد فقال: ثم ضرب رسول اللّه ﷺ على رُكْبَتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثَلاثَةُ أَوَّلُ خلق اللّهِ تُسْعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يوم القيامةِ.[(١)]

قال ابن عبد البر: وهذا الحديث فيمن لم يُرِد بعلمه وعمله وجه اللّه تعالى.[(٢)]

وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: من تعلم علماً مما يبتغى به وجه اللّه لا يتعلمه إلا ليصيب به عَرَضَاً من الدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة[(٣)].

وقال سفيان بن عُيَيْنَة: بلغنا عن ابن عباس أنه قال: لو أنّ حملة

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ١٧ - وهو في صحيح مسلم، كتاب: الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة: ٣/ ١٥١٣ - والترمذي، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الرياء والسمعة: ٤/ ٥٩١ وقال: حسن غريب.

(٢) تفسير القرطبي: ١/ ١٨.

(٣) تفسير القرطبي: ١/ ١٩ - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: العلم، باب: في طلب العلم لغير الله: (ح٣٦٦٤ - ٣/ ٣٢٣) - وابن ماجه في المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به: (ح٢٥٢ - ١/ ٩٢).

القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي لأحبهم اللَّه، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم اللَّه، وهانوا على الناس.(١)

أخرج البغوي بسنده عن خيثمة(٢) عن رجل أن عمران بن حصين مر على رجل يقرأ على قوم فلما قرأ سأل، فقال عمران: إنا للّه وإنا إليه راجعون، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: من قرأ القرآن فليسأل اللَّه عزَّ وجلَّ به، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون الناس به.(٣)

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٢٠.

تفسير القرطبي: ١/ ٢٠.

(٢) هو خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الكوفي لأبيه وجده صحبة، ثقة صالح، توفي (٨٠هـ). انظر: طبقات خليفة: ١٥٦ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٣/ ١٧٨.

(٣) تفسير البغوي: ١/ ٤٤ - وأخرجه أحمد في المسند: ١/ ٤٣٢ - ٤٣٦ - والآجري في أخلاق حملة القرآن: (ح٢١ - ١٠٦) - وابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/ ٤٨٠ - والبيهقي في الشعب: (ح٦٢١- ٦٢٢ - ٦٢٣ -: ٢/ ١٠٦١) من عدة طرق - والترمذي في سننه، كتاب: فضائل القرآن، باب (٢٠): ٥/ ١٧٩ وقال: حديث حسن ليس إسناده بذاك. وأورده النووي في التبيان: ٤٤.

وقد اختلف العلماء في أخذ الأجرة على تعليم القرآن والتكسب به، فمنهم من منعه مطلقاً كالزهري وأبي حنيفة، ومنهم من أباحه إن لم يشترط كالحسن البصري والشعبي وابن سيرين، ومنهم من أجازه كعطاء ومالك والشافعي. واحتاط بعضهم فرأى أن يشترط للحفظ وتعليم الكتابة. ويراجع في هذه المسألة معالم السنن للخطابي:= =٥/ ٧٠ والتبيان للنووي: ٤٤ - والبرهان للزركشي: ١/ ٤٧٥ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٩٠٩ هامش (١) تحقيقي.

فيجب على قارئ القرآن الذي يطلب علمه أن يبادر بإخلاص النية، وأن يتقي اللّه في عمله، ليتفع به وينفع. ولا يضير كونه بدأ يريد به المباهاة والشرف في الدنيا، فإنه بطلب العلم وفهمه يتبين له خطأه، ويظهر له الحق، قال الحسن البصري: كنا نطلب العلم للدنيا فجرّنا إلى الآخرة[١]. وقال سفيان الثوري مثل ذلك. وعن حبيب بن أبي ثابت[٢]: طلبنا هذا الأمر وليس لنا فيه نية ثم جاءت النية.[٣]

ومما يلزم قارئ القرآن معرفته أيضاً، أن يستشعر من فضل القرآن الكريم أنه كلام اللّه رب العالمين، وأنه غير مخلوق، كلام من ليس كمثله شيء، وصفةُ من ليس له شبيه ولا نِدّ، وأن يعلم أن القراءة أصوات القراء ونغماتهم.

ومن ذلك أيضاً أن يتعاهد القرآن بالقراءة خشية الإفلات، في ليله ونهاره، فقد ورد الوعيد الشديد في حق من أهمله حتى نسيه، ومن ذلك ما أخرجه الشيخان عن أبي موسى الأشعري - رضي اللّه عنه - أنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: تعاهَدُوا هذا القُرْآنَ، فوالَّذي نفسُ محمد بيده لَهُوَ أشَدُّ

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٢٢.

(٢) هو حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار القرشي الأسدي، إمام حافظ فقيه، حدَّث عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما، أخرج له البخاري وغيره، توفي (١١٩هـ). انظر طبقات خليفة: ١٥٩ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ٢٨٨.

(٣) تفسير القرطبي: ١/ ٢٢.

تفَلُّتاً من الإبل في عُقُلِهَا.(١)

وعن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - أن رسول اللَّه ﷺ قال: إنما مَثَلُ صاحبِ القرآنِ كمَثَلِ صاحبِ الإبل المعقَّلَة، إنْ عاهَدَ عليها أمْسَكَهَا، وإنْ أطْلَقَهَا ذهَبَت.(٢)

---

(١) تفسير الخازن: ١/ ٦ - وهو في البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده: ٦/ ١١١ - وفي مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضائل القرآن وما يتعلق به: ١/ ٥٤٥.

قلت: هذا الحديث يشير فيه الرسول ﷺ إلى أن من تمام وكمال تعظيم القرآن الحرص على عدم نسيانه، والتشبيه بليغ، فكما يخشى على الإبل أن تفلت إن لم تجد الرعاية والعناية، كذلك يخشى على القرآن. وقد اختلف أهل العلم في حكم نسيان القرآن، فمنهم من جعل ذلك من الكبائر، أخرج أبو عبيد من طريق الضحاك بن مزاحم موقوفاً قال: ما من أحد يتعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب أحدثه، لأن اللَّه يقول: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ [الشورى: ٣٠] ونسيان القرآن من أعظم المصائب. ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن هبيرة قوله: رفض القرآن بعد حفظه جناية عظيمة. وعن القرطبي قوله: من حفظ القرآن أو بعضه فقد علت رتبته بالنسبة إلى من لم يحفظه، فإذا أخلَّ بهذه الرتبة الدينية حتى تزحزح عنها ناسب أن يعاقب على ذلك، فإن ترك معاهدة القرآن يفضي إلى الرجوع إلى الجهل والرجوع إلى الجهل بعد العلم شديد. فتح الباري: ٩/ ٨٦ و١٢/ ٤٤٤.

(٢) تفسير الخازن: ١/ ٧ - وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده: ٦/ ١٠٩ - ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضائل القرآن وما يتعلق به: ١/ ٥٤٣.

وعن عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: بئسَ ما لأحَدِهِم أن يقولَ نسيتُ آية كيتَ وكيتَ، بل هو نُسِّيَ، واستذكِروا القرآن فإنَّه أشَدُّ تفَصِّياً من صُدُورِ الرجال من النَّعَم. وفي رواية: لا يقول أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نُسِّي.[1]

وعن سعد بن عبادة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ما من امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي اللَّه تعالى يوم القيامة أجذم.[2]

وعن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ قال: عُرِضَتْ عليَّ أجُورُ أُمَّتي حتى القَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرجل من المَسْجِدِ، وَعُرِضتْ عليَّ ذُنُوبُ أمَّتي فلم أرَ فيها ذَنْباً أعظمَ من سُورَةٍ من القرآن، أو آيةٍ أوتِيَها رجُلٌ ثُمَّ نَسِيَها.[3]

---

(١) تفسير الخازن: ١/ ٧ - وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: استذكار القرآن وتعاهده: ٦/ ١٠٩ - ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضائل القرآن وما يتعلق به: ١/ ٥٤٣ - وكذا الرواية الأخرى. وأورد ابن جزي شطره الأخير في تفسيره: ١/ ٢٤.

(٢) تفسير الخازن: ١/ ٧ - أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: التشديد في حفظ القرآن: ٢/ ٧٥ - وأحمد في المسند: ٥/ ٢٨٤. والدارمي في السنن، كتاب: فضائل القرآن، باب: من تعلم القرآن ثم نسيه: (ح٣٣٤٣ - ٢/ ٣١٤)ط باكستان ١٤٠٤هـ.

(٣) تفسير الخازن: ١/ ٧ - وأخرجه أبو داود في سننه: ١/ ١٢٦ - والترمذي في سننه،=

وينبغي له أن يحمد اللَّه دائماً على ما وفقه إليه، فيذكره ويشكره، ويتوكل عليه ويستعين به، ويرغب إليه ويعتصم به، يخشى ذنبه، ويرجو عفو ربه، يراقب اللَّه فيما أمره ونهاه، ويحتاط لدينه.

كما ينبغي له أن يمتاز عن غيره بأخلاقه وأفعاله، فيكون له سمته الخاص، يقول ابن مسعود: ينبغي لقارئ القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مستيقظون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخضوعه إذا الناس يختالون(١)، وبحزنه إذا الناس يفرحون. وعليه بالحلم والوقار، وتجنب الكبر والإعجاب، وترك الجدل والمراء، والتصاون عن طُرق الشبهات، وأن يكون قليل الضحك والكلام في مجالس القرآن، كما عليه أن يكون سمحاً حليماً يعفو ويصفح، يؤمَنُ شرُّه، ويُرجى خيره، ويُسلَمُ من ضرِّه.

كما ينبغي له أن يفهم مراد اللَّه من كلامه، فينتفع بما يقرأ، ويعمل بما يتلو، يتدبر حقائق عبارته، ويتبين غرائبه، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩] ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، فما أقبح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر

=كتاب: فضائل القرآن، باب: (١٩): ٥/ ١٧٩ وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(١) أخرجه الآجري في أخلاق أهل القرآن: ١٠٢ - وأحمد في الزهد: ١٦٢ - وأبو نعيم في الحلية: ١/ ١٢٩ وسند الرواية ضعيف لانقطاعه.

قلب وهو لا يفهم ما يتلوه! وما أقبح أن يُسأل عن فقه ما يتلوه ولا يدريه! ولهذا فعليه أن يلم بشيء من علوم القرآن كالمكي والمدني والناسخ والمنسوخ، وغريب القرآن والأعاريب، وأن يكون مطلعاً على الحديث النبوي، وغير ذلك من العلوم التي تزيل الشك، وتساعد في فهم النص.

كما ينبغي له أن يعرف لشيوخه قدرهم، ويحفظ لهم مكانتهم، فيكون في غاية الأدب معهم، يقول فُضيل بن عياض[1]: كنا نأتي المشيخة فلا نرى أنفسنا أهلاً للجلوس معهم - أي مع الشيوخ - فنجلس دونهم ونسترق السمع[2].

المسألة الرابعة: آداب القرآن وآداب تاليه:

هذا باب عظيم أفرده ثلة من أهل العلم بتآليف مستقلة، وخصص له آخرون حيزاً من تآليفهم، فأوردوا مجموعة من تلك الآثار، كما فعل القرطبي في مقدمته. **وآداب القرآن وآداب تاليه أربعة أقسام:**

قسم يتعلق بالاستعداد للتلاوة.

---

(١) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، شيخ الإسلام، ثقه عالم، سمع الكثير وارتحل في طلب الحديث، أطال الذهبي في ترجمته وذكر أخباره، توفي (١٨٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٨/ ٤٢١ - والمعارف لابن قتيبة: ٥١١.

(٢) ما سبق ذكره مما يلزم قارئ القرآن، مأخوذ من تفسير القرطبي بتصرف: ١/ ١٨ - ٢٢.

وقسم يتعلق بالتلاوة نفسها.

وثالث هي آداب عامة أثناء التلاوة.

ورابع يتعلق بالآداب مع المصحف.

أما القسم الأول، فمن ذلك أن لا يمسه إلا طاهراً، وأن يستاك فيطيب فاه، قال يزيد بن مالك: إن أفواهكم طُرُق للقرآن فطهروها ونظّفوها ما استطعتم. وأن يستعد للقراءة فيلبس من أحسن ثيابه، وأن يختار لقراءته مكاناً طيباً فيتجنب القراءة في الأسواق ومواطن اللغط واللّهو ومجمع السفهاء، قال تعالى في وصف عباد الرحمن ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] وأن يستقبل القبلة لقراءته، فقد كان أبو العالية[1] إذا قرأ اعتَمَّ وارتدى واستقبل القبلة[2]، ومن ذلك أيضاً أن يستعيذ باللّه عند ابتدائه من الشيطان الرجيم ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٩]، ومنه أيضاً أن يختار لقراءته خلوة قدر طاقته حتى

---

(١) هو رُفَيْع بن مهران، يكنى أبا العالية الرياحي، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بسنتين، وثقه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم، توفي (٩٠هـ). انظر: ميزان الاعتدال للذهبي: ٢/ ٥٤ - والتاريخ الكبير للبخاري: ٣/ ٣٢٦.

(٢) أخرج الطبراني عن أبي هريرة عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: إن لكل شيء سيداً وإن سيد المجالس قبالة القبلة. المعجم الأوسط: (ح٢٣٥٧ - ٣/ ١٨٢).

لا يقطع عليه أحد بكلام فيخلطه بجوابه.

وأما **القسم الثاني** فهو ما يتعلق بالتلاوة نفسها، ومن أهم ذلك أن يجعل لنفسه ورداً يومياً، فلا يخلو يوماً من أيامه دون النظر في المصحف، وقد كان أبو موسى يقول: إني لأستحي ألا أنظر كل يوم في عهد ربي[١]. ومن ذلك أن يقرأ البسملة إذا ابتدأ قراءته من أول السورة، أو من حيث بلغ، فإذا قرأ لم يقطعها بكلام الآدميين من غير ضرورة، وأن يستعمل في قراءته ذهنه وفهمه ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩] حتى ينتفع بما يتلوه. ومن الآداب أن يقف على آية الوعد فيطلب اللَّه من فضله ويسأله، وعلى آية الوعيد فيستجير باللّه منه، وعلى الأمثال فيمتثلها، وأن يؤدي حق التلاوة، فيخرج الحروف واضحة من مخارجها، وأن يختار القراءة الصحيحة ولا يجادل في غيرها فقد تكون هي الأخرى صحيحة، وأن لا يلتقط الآي من كل سورة فيقرأها ويتنقّل بينها بل عليه أن يتم السورة كلها، كما يحسن للقارئ أن لا يحرم عينه من الأجر في النظر، فقد ورد عن رسول اللَّه ﷺ قوله: أعطوا أعينكم حظها من العبادة. قالوا: يا رسول اللَّه، وما حظها من العبادة؟ قال: النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه[٢].

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب: (ح٢٥٧ - ٢/ ٤٨٢) عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب عن أبي سعيد: (ح٢٥٤ - ٢/ ٤٧٨) وقال: إسناده ضعيف واللَّه أعلم - وأورده القرطبي في التذكار: ١٤ - والسيوطي في الجامع الصغير ورمز

ومن آداب التلاوة أن يتجنب القراءة منكوساً[1]. كما عليه أن يتجنب

لضعفه كما في الفيض القدير: ١/ ٥٦١ - وحكم الألباني بوضعه، انظر ضعيف الجامع الصغير: (ح١٠٤١ - ١/ ٢٩٩) - وقد اختلف العلماء في أيهما أفضل، القراءة في المصحف، أم القراءة عن ظهر قلب؟ فذهب النووي إلى أفضلية القراءة في المصحف لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة، فتجتمع القراءة والنظر، وهو رأي الغزالي وجماعات من السلف، فقد ثبت أن الصحابة كانوا يداومون على النظر في المصاحف.

وذهب العز بن عبد السلام إلى أفضلية القراءة عن ظهر قلب، قال: إن المقصود من القراءة التدبر، والعادة تشهد أن النظر في المصحف يخل بهذا المقصود فكان مرجوحاً.

وجمع الحليمي بين القولين فرأى أن يقرأ مرة من حفظه وأخرى من المصحف.

والذي يترجح لي هو القول الثالث فيختار مرة القراءة من المصحف ليشترك النظر في العبادة وليكون أبعد عن الرياء وأمكن للخشوع، ومرة من حفظه للتدبر والمحافظة على المحفوظ خشية الإفلات، والله أعلم. انظر: المنهاج في شعب الإيمان للحليمي: ٢/ ٢٣٣ - والبرهان للزركشي: ١/ ٤٦١ - وفتح الباري لابن حجر: ٩/ ٧٨ - وفيض القدير للمناوي: ١/ ٥٦١ و٦/ ١٥٠ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٦٩٦ تحقيقي.

(١) أخرج عبد الرزاق والبيهقي وابن أبي شيبة والطبراني وأبو عبيد وابن أبي داود، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سئل عن رجل يقرأ القرآن منكوساً؟ قال: ذاك منكوس القلب. المصنف لعبد الرزاق: (ح٧٩٤٧ - ٤/ ٣٢٣) - وشعب الإيمان للبيهقي: (ح٢٣٣٤ - ٢/ ٦٠٠) - والمصنف لابن أبي شيبة: ١٠/ ٥٦٤ - وفضائل القرآن لأبي عبيد: (ح١٣١ - ٥٧) - والمصاحف لابن أبي داود: ١٥١ - وقال الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٦٨: رواه الطبراني ورجاله ثقات. وذكره النووي في التبيان: ٦٩ وقال: إسناده صحيح - وقال السيوطي في الإتقان: ١/ ٣٠٨: إسناده جيد.

وقد اختلف في صفة القراءة المنكوسة، فقيل هو أن يبدأ من آخر السورة حتى يقرأها إلى أولها. ورده أبو عبيد وقال: وهذا شيء ما أحسب أن أحداً يطيقه، ولا كان هذا في=

والقراءة بألحان الغناء كلحون أهل الفسوق، وترجيع النصارى، ونوح الرهبانية[١]، وأن لا يجهر على الآخرين في قراءته فيفسد عليه[٢] وأن يفتتحه

=زمن عبد الله، ولكن وجهه عندي أن يبدأ من آخر القرآن ثم يرتفع إلى البقرة، كنحو ما يتعلم الصبيان في الكتاب، لأن السنة بخلاف هذا، وإنما جاءت الرخصة في تعليم الصبي والعجمي من المفصل لصعوبة السور الطوال عليهما.

قال: وإذا كرهنا هذا النكس فنحن للنكس من آخر السورة إلى أولها أشد كراهية إن كان ذلك يكون. غريب الحديث ٤/ ١٠٣ - وانظر النهاية في غريب الحديث (نكس) لابن الأثير: ٥/ ١١٥.

(١) عن حذيفة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الكتابين، وأهل الفسق، فإنه سيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح، لا يجاوز حناجرهم مفتونة قولبهم وقلوب من يعجبه شأنهم. أخرجه البيهقي في الشعب: (ح٦٤١ - ٣/ ١٠٧٨) - والمروزي في قيام الليل كما في المختصر: ١١٩ - وأبو عبيد في فضائل القرآن: (ح٢٣٢ - ٩٩) وابن الجوزي في العلل: ١/ ١١٨ وقال: هذا حديث لا يصح، وأبو محمد - من رجال السند - مجهول، وبقية - من رجال السند - يروي عن الضعفاء ويدلسهم.، وانظر التقريب لابن حجر: ١/ ١٠٥ - وقال الذهبي في الميزان: ١/ ٥٥٣: الخبر منكر.

وقد اختلف العلماء في التطريب في القراءة والترجيع فيها، فمنع من ذلك وأنكره مالك بن أنس، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير والنخعي وغيرهم، وكرهه أحمد بن حنبل، وأجاز ذلك طائفة منهم أبو حنيفة وأصحابه، والشافعي وأصحابه واختاره الطبري وابن العربي، وذهب القرطبي إلى ترجيح القول الأول، وقال: هو أصح.

وفصّل ابن القيم في ذلك، فقال: التطريب والتغني على وجهين:

أحدهما: ما اقتضته الطبيعة، وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين ولا تعليم، فذلك جائز. =

كلما ختمه، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا ختم يقرأ من أول السورة قدر خمس آيات، وقال في ذلك: عليك بالحالّ المرتحل، قيل: وما الحالُّ المرتحل؟ قال: صاحب القرآن يضرب من أوله حتى يبلغ آخره، ثم يضرب في أوله كلما حلّ ارتحل(١).

=والثاني: ما كان من ذلك صناعة من الصنائع، وليس في الطبع السماحة به، بل لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتمرين، فهي التي كرهها السلف وعابوها وذموها، ومنعوا القراءة بها. زاد المعاد: ١/ ٤٩٢ - وانظر في ذلك الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٨٧٠ تحقيقي. والتذكار في أفضل الأذكار للقرطبي: ١٤٤ - ١٥٩.

(٢) أخرج أبو داود بسند صحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر وقال: ألا إن كلكم مناج ربه، فلا يؤذي بعضكم بعضاً، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة. سنن أبي داود، كتاب: الصلاة، باب: رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل: (ح١٣٣٢ - ٢/ ٣٨) - ووردت آثار أخرى تبين أن الجهر أفضل، واختلف العلماء في حكم الجهر بالقراءة، والإسرار بها، فالإسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل، واختلف العلماء في حكم الجهر بالقراءة في حق من يخاف ذلك على نفسه، فإن لم يخف، ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصلٍّ آخر، فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر، ولأنه يوقظ القلب، ويطرد النوم، ويزيد في النشاط، وفي الحديث القدسي: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملأه. ورجح النووي في نوافل الليل القراءة بين الجهر والإسرار. انظر المسألة بالتفصيل في: إحياء علوم الدين للغزالي: ١/ ٢٧٩ - والتبيان للنووي: ٩٠ - والمجموع شرح المهذب له: ٢/ ١٦٦ - والإتقان للسيوطي: ١/ ٣٠٤ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٨٧٦ تحقيقي.

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: القراءات، باب: (١٣): ٥/ ١٩٧ وقال: حديث حسن=

وأما **القسم الثالث** وهو آداب أثناء التلاوة نفسها، فمن ذلك أن يتمضمض إذا تنخع، فقد ورد عن ابن عباس أنه كان كلما تنخع مضمض. ومن ذلك أن يمسك عن القراءة إذا تثاءب، لكون التثاؤب من الشيطان، والقارئ إنما يناجي الرحمن، قال مجاهد: إذا تثاءبت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القراءة تعظيماً حتى يذهب تثاؤبك، ومن الآداب إذا انتهى من التلاوة أن يصدّق ربه، ويشهد بالبلاغ للرسول ﷺ، كأن يقول: صَدَقْتَ ربنا وبَلَّغَتْ رُسلُكَ، ومن الآداب أن يجمع أهله إذا أراد أن يختم وكان ذلك ديدن السلف كأنس بن مالك وغيره[1].

=غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه، وإسناده ليس بالقوي.، وذكر من طريق آخر عن زرارة بن أوفى وقال: هذا عندي أقوى. - وأخرجه الحاكم في المستدرك: ١/ ٥٦٨ وقال: تفرد به صالح المري، وهو من زهاد أهل البصرة إلا أن الشيخين لم يخرجاه. قال الذهبي في التلخيص: صالح المري: متروك. وله شاهد عند الحاكم أيضاً من حديث أبي هريرة مرفوعاً: ١/ ٥٦٩، وأخرجه البيهقي في الشعب: (ح٦٦ - ١٥٩) - وابن الجزري في النشر: ٢/ ٤٤٦ وقال: رواه الترمذي مرسلاً وقال: إنه أصح. قال: وقطع بصحته أبو محمد المكي، وسكت عليه البيهقي في الشعب فلم يذكر فيه ضعفاً كعادته، وضعفه أبو شامة من قبل صالح المري. وهو في الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٩٠٧ تحقيقي.

(١) أخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه: أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا. المعجم الكبير: (ح٦٧٤ ١/ ٢٤٢) قا ل الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٧٢: رجاله ثقات. - وأورده القرطبي في التذكار: ٩٦، والنووي في التبيان: ١٠٨ بسندين صحيحين. - وانظر الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٩٠١ تحقيقي.

ومن القسم الرابع وهي آداب مع المصحف، فمن ذلك أن يُجلِّلَ كتابته فيكتبها بخط واضح، وإذا وضع المصحف أن لا يتركه منشوراً، وأن لا يضع فوقه شيئاً من الكتب، علماً كان أو غير ذلك، وأن لا يتوسد ولا يعتمد عليه، ولا يُرمى به لصاحبه إذا أراد أن يناوله، وأن يضعه في حجره أو على شيء بين يديه، ولا يضعه علىالأرض، ومن ذلك أن لا يمحوه ببصاق ونحوه، ولكن يغسله بالماء، ويتوقى النجاسات في الموضع، لكون الغسالة لها حرمة، ومن الآداب مع كلام اللّه أن لا يكتب على الأرض خشية الاستهانة به.(١)

المسألة الخامسة: كيفية التلاوة لكتاب اللّه:

وفيها ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أن يتلوه مجوداً مرتلاً ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[المزمل: ٤] يقتدي في قراءته قراءة رسول اللّه ﷺ، وقد كان سلف الأمة يسألون عن قراءته ﷺ، روى البخاري عن قتادة قال: سألت أنساً عن قراءة رسول

---

(١) ينظر في آداب التلاوة تفسير القرطبي: ١/ ٢٧ - ٣٠ - ونوادر الأصول للحكيم الترمذي: ٣٣٥ - والتبيان للنووي: ٤٤ - والمنهاج للحليمي: ٢/ ٢٢٨ - والبرهان للزركشي: ١/ ٤٥٩ - والإتقان للسيوطي: ١/ ٣٢٤ - ٣٥١ - ومفتاح السعادة لطاش كبري: ٢/ ٤٠٣ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ٣/ ٨٣٣ - ٩٠٩ بتحقيقي، وفيه ذكر أدلة كثيرة من الآداب التي ذكرت.

اللَّه ﷺ فقال: كان يَمُدُّ مَدًّا، إذا قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يمد ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، ويمد بـ﴿الرَّحْمن﴾، ويمد بـ﴿الرَّحِيم﴾.[١]

المطلب الثاني: أن يخفض صوته ويخشى اللَّه في قراءته، وأن يتجنب التطريب والنبر والقراءة بالألحان[٢]، أورد القرطبي عن زياد النُميري أنه جاء مع القراء إلى أنس بن مالك فقيل له: اقرأ. فرفع صوته وطرَّبَ. وكان رفيع الصوت. فكشف أنس عن وجهه، وكان على وجهه خرقة سوداء فقال: يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون! وكان إذا رأى شيئاً ينكره كشف الخرقة عن وجهه.[٣] وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: أحسن الناس صوتاً من إذا قرأ رأيته يخشى اللَّه تعالى[٤]. وقد كره رفع الصوت عند قراءة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: مد القراءة: ٦/ ١١٢.

(٢) انظر: الخلاف في مسألة القراءة بالألحان في الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ٨٦٧ بتحقيقي.

(٣) تفسير القرطبي: ١/ ١٠.

(٤) أورده ابن عطية في تفسيره: ١/ ٢٣ - ذكر السيوطي في الجامع الصغير رواية قريبة منها، وقال المناوي: أخرجه ابن ماجه عن جابر، وقال الحافظ العراقي: وسنده ضعيف. وقد رواه البزار بسند - كما قال الحافظ الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، فحذفه - أي السيوطي - واقتصاره على المعلول من التقصير. فيض القدير: ١/ ١٩٠ والحديث صححه الألباني انظر: ضعيف الجامع الصغير: (ح١٣٧٤ - ٢/ ٢٦) وصحيح الجامع الصغير: (ح١٩٢ - ١/ ١١٥).

القرآن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والقاسم وابن سيرين والنَّخَعي وغيرهم. كما كره مالك بن أنس وأحمد بن حنبل رفع الصوت بالقرآن والتطريب فيه. وأجازت طائفة من الأئمة التطريب كأبي حنيفة وأصحابه والشافعي وابن المبارك وغيرهم، واختاره الطبري وابن العربي، لكونه أوقع في النفوس، وأسمع في القلوب، قال ﷺ: زينوا القرآن بأصواتكم.(١) وقال: ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن.(٢)

ورجح القرطبي القول بكراهة التطريب، وقال: إن الحديث من باب المقلوب، أي: زينوا أصواتكم بالقرآن. وليس منا من لم يحسِّن صوته بالقرآن. ونسب إلى الخطابي قوله: وكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث. ثم أورد التأويلات الواردة في معنى التغني بالقرآن، وبيَّن أقوال الأئمة في بيان ذلك.(٣)

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان: ٢/ ٦٤ - والبخاري تعليقاً في صحيحه: ٨/ ٢١٤ - وفي خلق أفعال العباد: ٨٣ - وأحمد في المسند: ٤/ ٢٨٣ - والنسائي في فضائل القرآن: ٩٤ - والدارمي في السنن: ٢/ ٣٤٠ - والحاكم في المستدرك: ١/ ٥٧١ - والبيهقي في الشعب: (ح١٧٨ - ١/ ٣٦٢) وانظر فتح الباري لابن حجر: ١٣/ ٥١٨.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه عن سعد بن أبي وقاص: ٢/ ٣٣٨ - وابن أبي شيبة في المصنف: ٢/ ٥٢٢ - والطيالسي في المسند: ٢٨ - والبيهقي في الشعب مطولاً: (ح١١٥ - ١/ ٢٤٩).

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ١٠ - ١٣.

المطلب الثالث: أن يتجنب التقعير في قراءته كفعل المتنطعين في إبراز الكلام من أفواههم تكلفاً.

المسألة السادسة: ذكر شيء من خواص القرآن[١]:

ذكر القرطبي أن من كتب القرآن وشربه وسمَّى اللّه على كل نَفَس، وعظَّمَ النية، فإن اللّه يؤتيه على قدر نيته[٢]. وعن أبي جعفر محمد بن علي: من وجد في نفسه قساوة فليكتب ﴿يس﴾ في جام بزعفران ثم يشربه.[٣]

---

(١) أفرد السيوطي لذكر خواص القرآن والاستشفاء بالآيات نوعاً خاصاً في الإتقان: ٢/ ١١٥٣، واقتصر فيه على ذكر ما ثبت عن رسول اللّه ﷺ، أو عن أحد من صحابته أو ما ورد عن السلف في هذا الباب، وقال في أوله: أفرده بالتصنيف جماعة منهم التميمي وحجة الإسلام الغزالي، ومن المتأخرين اليافعي، وغالب ما يذكر في ذلك كان مستنده تجارب الصالحين.، كما أفرد له ابن عقيلة المكي - غفر اللّه له - في الزيادة والإحسان: ٣/ ٩٤٧ نوعاً خاصاً وهو النوع الخامس والأربعون، سرد فيه غالب ما ذكره اليافعي والتميمي، مما يحظر ذكره حتى لو ثبت في تجارب الصالحين، فإحداث الشقاق، وزرع الفتن بين الناس، وما هو من هذا القبيل، واستخدام آيات اللّه وكلامه في ذلك غير جائز شرعاً، فكيف يجعل القرآن لمثل هذه الأمور، ويسخر كلام الحكيم لمثل هذه البطالات، ولولا ما أجده من الحظر في ذكر شيء من تلك الأشياء لاستعرضت هنا أموراً ذكروها تقشعر منها الأبدان، ﴿تعالى اللّه عما يقول الظالمون علواً كبيراً﴾.

(٢) تفسير القرطبي: ١/ ٣١.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٤٢٨ وقال: هي حكاية ينتفع بها. وسكت عنه الذهبي. وهو جزء من حديث طويل أخرجه البيهقي في الشعب وقال: كذا روي في هذه=

وروى ليث عن مجاهد قال: لا بأس أن تكتب القرآن ثم تسقيه المريض.

قال القرطبي: كان من قبلنا من السلف منهم من يستشفى بغسالته[1] - أي غسالة القرآن -.

=الحكاية، وكان إبراهيم يكره ذلك ولو صح الحديث لم يكن للكراهية معنى إلا أن في صحته نظر، والله أعلم. شعب الإيمان (ح٤٧٦ - ٢/ ٨٣٨) وهو في نوادر الأصول للحكيم الترمذي: ٣٣٥.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣١ - وانظر التبيان للنووي: ١١٣.

وقد اختلف العلماء في كتابة القرآن ثم غسله ويسقى المريض والمبتلى منه، فذهب الحسن البصري ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعي إلى جوازه وقالوا: لا بأس به. وكرهه النخعي، وقال القاضي حسين والبغوي وغيرهما من الشافعية إلى جواز كتابة القرآن على الحلوى وغيرها من الأطعمة ثم إطعامها للمريض ونحوه. انظر التبيان للنووي: ١١٣.

الموضوع السابع

المكي والمدني

تناول هذا الموضوع في مقدمة تفسيره القرطبي[١] وابن جزي[٢]، وفيه عدة مسائل:

المسألة الأولى: في تعريف المكي والمدني:

عرَّف ابن جزي السور المكية بقوله: هي التي نزلت بمكة، يُعدُّ منها كل ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة.

وعرَّف السور المدنية بقوله: هي السور التي نزلت يالمدينة، ويُعَدُّ منها كل ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة.[٣]

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٢١ و١/ ٦١.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٨.

(٣) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨.

قلت: اعتبر ابن جزي في تعريفه التعريف المكاني والزماني، وهو مشكل، إذ الصحيح المشهور اعتبار التعريف الزمني، فيقال: المكي ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة، والمدني ما نزل بعد الهجرة، وإن نزل بغير المدينة. وانظر في ذلك: البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ١٨٧ - ولطائف الإشارات للقسطلاني: ١/ ٢٦ - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٨٨.

المسألة الثانية: في سمات يُعرف بها المكي والمدني:

ذكر ابن جزي عدة سمات موضوعية تُعرَفُ بها السور المكية والمدينة:

أولاً: سمات السور المكية:

١- إثبات العقائد.

٢- الرد على المشركين.

٣- الاهتمام بذكر قصص الأنبياء السابقين.

ثانياً: سمات السور المدينة:

١- بيان الأحكام التشريعية.

٢- الرد على اليهود والنصارى.

٣- كشف المنافقين وذكرهم.

٤- بيان الفتاوى الشرعية في كثير من المسائل.

٥- ذكر غزوات النبي ﷺ.

قال: وحيث ما ورد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ فهو مدني، وأما ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فقد وقع في المكي والمدني.(١)

---

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨ - وانظر: تفسير القرطبي: ١/ ٢٢٥.

المسألة الثالثة: في أقسام سور القرآن باعتبار المكي والمدني:

تنقسم سور القرآن الكريم باعتبار المكي والمدني ثلاثة أقسام:

١- قسم مدني، وهي سبع وعشرون سورة على ما ذكره القرطبي نقلاً عن ابن الأنباري(١)، اتفق منها على اثنتان وعشرون سورة كما صرح

=ذكر أهل العلم للمكي والمدني سمات موضوعية وأسلوبية أخرى، فإضافة إلى ما ذكره المصنف ذكروا من السمات الموضوعية للقرآن المكي: إرساء دعائم الإيمان بالله ووحدانيته بالدلائل العقلية، من خلال لفت الأنظار إلى المخلوقات المحيطة. بناء الشخصية الإسلامية المتميزة، والحض على التحلي بالخصال الحميدة. خلوه من أحكام المعاملات.

وذكروا من أساليب القرآن المكي: قصر الآيات والسور. قوة العبارة ورشاقة الألفاظ. وضرب الأمثال ووفرة التشخيص. صيغ الإنشاء من أمر ونهي واستفهام وتمن. وغير ذلك.

كما ذكروا من سمات القرآن المدني: دعوته أهل الكتاب إلى الإسلام، والرد التفصيلي على انحرافاتهم وتحريف ما في كتبهم. أما من ناحية الأسلوب فقد امتاز القرآن المدني بطول أكثر السور والآيات، والأسلوب الهادىء والعبارات اللينة تمشياً مع طبيعة المرحلة. إضافة إلى طول الفاصلة. انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٣٣٨ حاشية رقم (٢) - ودراسات في التفسير الموضوعي للدكتور زاهر الألمعي: ٥٣ - والقرآن الكريم والدراسات الأدبية الدكتور العتر: ٦٨.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦١ - وهو ما رواه ابن سعد عن ابن عباس عن أُبي بن كعب - رضي الله عنهم - وهي عند عبد الواحد بن شيطا: تسع وعشرون سورة. وبمثله قال الزركشي في البرهان. وقال ابن عقيلة: هو ما استقرت عليه الروايات. انظر:=

به ابن جزي[١].

٢- قسم مختلف فيه، هل هي مكية أم مدينة، فأفاد ابن جزي أنها ثلاث عشرة سورة.[٢] ولم يذكر القرطبي الاختلاف في شيء.

٣- وقسم مكي، وهي سائر السور المتبقية وهي عند القرطبي سبع وثمانون سورة[٣]، وعند ابن جزي تسع وسبعون سورة[٤].

أما المدني المتفق عليه فهي: ﴿البقرة﴾ و﴿آل عمران﴾ و﴿النِّسَاء﴾ و﴿المائدة﴾ و﴿الأنفال﴾ و﴿بَرَاءةٌ﴾ و﴿النُّور﴾ و﴿الأَحْزَابُ﴾ و﴿الْقِتَالُ﴾

=طبقات ابن سعد: ٢/ ٣٧١ - وفنون الأفنان لابن الجوزي: ٣٧٧ - والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ١٩٤ - والإتقان للسيوطي: ١/ ٢٨ط أبو الفضل - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٢٦٤ تحقيقي.

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨ - وصرح ابن الحصار أن المتفق عليه عشرون سورة. انظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ٢٨ط أبو الفضل.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨ - وهي عند ابن الحصار اثنتا عشرة سورة. وأفاد السيوطي أن المختلف فيه إحدى وثلاثون سورة. الإتقان للسيوطي: ١/ ٢٨ط أبو الفضل.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦١.

(٤) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٨.

وهي عند ابن شيطا خمس وثمانون سورة، وعند أبي الحسن بن الحصار اثنان وثمانون، قال ابن عقيلة: وهو ما استقرت عليه الروايات. انظر: فنون الأفنان لابن الجوزي: ٣٣٧ - والبرهان للزركشي: ١/ ١٩٤ والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٢٦٤ تحقيقي.

و﴿الْفَتْحُ﴾ و﴿الحجرات﴾ و﴿الْحَدِيد﴾ و﴿المجادلة﴾ و﴿الحشر﴾ و﴿الممتحنة﴾ و﴿الصف﴾ و﴿الجمعة﴾ و﴿الْمُنَافِقُونَ﴾ و﴿التغابن﴾ و﴿الطَّلاقَ﴾ و﴿التحريم﴾ و﴿النَّصْرُ﴾.

وأما المختلف فيه فهي: ﴿أم القرآن﴾ و﴿الرعد﴾ و﴿النحل﴾ و﴿الْحَجّ﴾ و﴿الرَّحْمن﴾ و﴿الإنسَانُ﴾ و﴿المطففون﴾ و﴿القدر﴾ و﴿البينة﴾ و﴿الزلزلة﴾ و﴿أَرَأَيْتَ﴾ و﴿الإخلاص﴾ و﴿الفلق﴾ و﴿النَّاس﴾.

وأما المكي المتفق عليه فهي سائر السور المتبقية.(١)

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦١ - وتفسير ابن جزي: ١/ ٨.

قال ابن عقيلة: وإذا تأملت حقيقة هذا الخلاف وجدته في أكثر السور لفظياً، لأن من يقول: السورة مكية - مثلاً - فإما أن يكون لكونه علم أن بعض آيات منها نزلت بمكة فيحكم على السورة أنها مكية، وكذا من يقول: إنها مدنية، أو يكون يرى أن المكي ما نزل بمكة قبل الهجرة أو بعدها، والمخالف لا يرى المكي إلا ما نزل قبل الهجرة، فيرجع الخلاف في الغالب إلى اللفظي. الزيادة والإحسان: ١/ ٢٧٧ تحقيقي. قلت: بل الخلاف راجع إلى اختلاف في المصطلح، بالاعتبار الزماني والمكاني.

ويرجع الباقلاني في الانتصار الخلاف إلى كون رسول الله ﷺ لم يبين لصحابته المكي من المدني في قول أو نص، وإن كان الصحابة رضوان الله عليهم حريصين على معرفة كل ما يتعلق بالتنزيل، والإحاطة به، لما للقرآن من مكانة في نفوسهم.

قال الباقلاني: وإنما عدل رسول الله ﷺ عن ذلك لأنه مما لم يؤمر به، ولم يجعل الله تعالى علم ذلك من فرائض الأمة، وإن وجب في بعضه على أهل العلم من معرفة=

قال ابن جزي: وقد وقعت آيات مدينة في سور مكية، كما وقعت آيات مكية في سور مدنية، وذلك قليل، مختلف في أكثره.(١)

المسألة الرابعة: في بيان أهمية معرفة المكي والمدني:

أشار القرطبي إلى أهمية معرفة المكي والمدني بالنسبة للمفسر الذي يقدم على فهم كتاب اللّه وتفسيره، فقال:

وينبغي أن يعرف المكي من المدني ليفرّق بذلك بين ما خاطب اللّه به عباده في أول الإسلام، وما ندبهم إليه في آخر الإسلام، وما افترض اللّه في أول الإسلام، وما زاد عليه من الفرائض في آخره.

ثم ذكر أن المدني يمكن أن يكون ناسخاً للمكي، ولا يمكن أن يكون المكي ناسخاً للمدني، لأن المنسوخ هو المتقدم في النزول.(٢)

=الناسخ والمنسوخ، ليعرف الحكم الذي ضمنها... إلى أن قال: وإن كان ذلك كذلك ساغ أن يختلفوا في بعض القرآن هل هو مكي أو مدني، وأن يعملوا في القول بذلك ضرباً من الرأي والاجتهاد، وإن كان الاختلاف زائلاً عنهم في جله وكبره. انظر: الانتصار لصحة نقل القرآن للباقلاني: (و١٤٢) مخطوط. وانظر الزيادة والإحسان لابن عقيلة: ١/ ٢٧٧ حاشية (٤) تحقيقي.

(١) تفسير ابن جزي: ١/ ٨.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٢١ - وانظر البرهان للزركشي: ١/ ١٨٧ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ١/ ٢٦٢ تحقيقي.

وعلة تقديم بعض السور المدنية على المكية هو أن اللّٰه تعالى خاطب العرب بلغتهم وعلى ما تعرف من أفانين خطابها ومحاوراتها، ولمّا كان من فن كلامها تقديم المؤخر وتأخير المقدَّم، خوطبوا بهذا المعنى في كتاب اللّٰه تعالى، فأُقيمت عليهم الحجة بذلك.[1] واللّٰه أعلم.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٢ - ويبقى ما ذكره المصنف احتمال وارد، ولم أقف على قول لأحد من العلماء في ذلك. فاللّه أعلم بما قال.

الموضوع الثامن

التفسير والتأويل

بحث هذا الموضوع في مقدمة تفسيره البغوي[١]، وابن الجوزي[٢]، والخازن[٣]، وابن جزي[٤]، وأبو حيان[٥].

والتفسير قيل مأخوذ من (التَفْسِـرَة)، وهي الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض، قال البغوي: فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها.[٦]

قال أبو حيان: والتفسير في اللغة: الاستبانة والكشف، قال ابن دريد:[٧] ومنه يقال للماء الذي ينظر فيه الطبيب (تَفْسِرَة)[٨]، وكأنه تسمية

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٤٦.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٤.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ١٤.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ١١.

(٥) انظر: تفسيره: ١/ ٢٦.

(٦) انظر: تفسير البغوي: ١/ ٤٦ - والخازن: ١/ ١٤.

(٧) انظر: جمهرة اللغة: ٢/ ٣٣٤ط المثنى بغداد - وفي اللسان: الفسر: البيان. فسر الشيء يفسُرُه- بالكسر والضم - فسراً، وفسَّره: أبانه، والتفسير مثله. قال: والفسر كشف المغطّى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل. اللسان (فسر): ٥/ ٥٥٥.

(٨) المراد بالماء هنا: بول الإنسان، قال الخليل: التفسيرة اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء،=

بالمصدر؛ لأن مصدر (فَعَّلَ) جاء أيضاً على (تَفْعِلَة) نحـو: (جَـرَّبَ تَجْرِبَـة) و(كَرَّمَ تَكْرِمَة)، وإن كان القياس في الصحيح مـن (فَعَّـل) التفعيـل، كقولـه تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ [الفرقان: ٣٣].

قال: وينطلق أيضاً التفسير على التعرية للإنطلاق، قال ثعلب: تقول: (فَسَّرْت الفرس: عَرَّيْتُه لينطلق في حصره[١]. وهـو راجـع لمعنـى الكشـف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري.[٢]

وأما في الاصطلاح، فقد صرح أبـو حيـان المتوفـى (٧٤٥هــ) بأنـه لم يقف لأحد من علماء التفسير على رسم - أي تعريف - له.[٣]

وبالرجوع إلى المقدمات وجدت البغـوي يعـرف التفسـير بقولـه: هـو الكلام في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها، ويكون بالسـماع عـن طريـق النقل.[٤] ووجدت ابن جـزي يعرفـه فيقـول: شـرح القـرآن وبيـان معنـاه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشـارته أو فحـواه. فـيرجح أن التفسـير هـو الشرح[٥]، أي: شرح المفردات والألفاظ الغريبة.[٦]

=يستدل به على مرض البدن. العين: ٧/ ٢٤٨.

(١) الحصر: شد الفرس بالحصار، وهو ما يوضع على ظهره. انظر: جمهرة اللغة: ٢/ ١٣٤.

(٢) (٣) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان: ١/ ٢٦.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ١/ ٤٦ - والخازن: ١/ ١٤.

(٥) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١١.

(٦) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٤.

والتعريف الذي وضعه أبو حيان أشمل وأكمل حين قال - رحمه الله-: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن،ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك.

ثم شرح مفردات التعريف فقال:

فقولنا: (علم) هو جنس يشمل سائر العلوم.

وقولنا: (يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن) هذا هو علم القراءات.

وقولنا: (ومدلولاتها) أي: مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم.

وقولنا: (وأحكامها الإفرادية والتركيبية) هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع.

(ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب) شمل بقوله التي تحمل عليها ما لا دلالة عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب يقتضي بظاهره شيئاً، ويصد عن الحمل الظاهر صاد، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر، وهو المجاز.

وقولنا: (وتتمات لذلك) هو معرفة الناسخ والمنسوخ وسبب النزول،

وقصة توضيح بعض ما أنبهم في القرآن ونحو ذلك.[١]

وأما التأويل، فمشتق من (الأوَل) وهو الرجوع إلى الأصل، يقال: أوّلته فآل: أي صرفته فانصرف.[٢] فهو رد الشيء إلى الغاية.

وفي الاصطلاح: التأويل: نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج في إثباته

---

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان: ١/ ٢٦ - والإتقان للسيوطي: ٢/ ١١٩١ط البغا.

قلت: ذكر أهل العلم للتفسير عدة تعريفات، فعرفه الزركشي في البرهان: ١/ ١٣ بقوله: التفسير علم يعرف به فهم كتاب اللّه المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ. - وعرفه الكافيجي في التيسير في قواعد علم التفسير: ١٢٤ تعريفاً مختصراً، فقال: هو كشف معاني القرآن، وبيان المراد. وهو تعريف جيد غير أن ما ذكره لاحقاً أدق وأجدى، قال: هو علم يبحث فيه عن أحوال كلام اللّه المجيد من حيث أنه يدل على المراد بقدر الطاقة البشرية التيسر: ١٥٠. قال الزرقاني: ومن السهل رجوعه إلى التعريف الأول - وهو تعريف أبي حيان السابق - لأن ما ذكر هناك بالتفصيل يعتبر بياناً لمراد اللّه من كلامه بقدر الطاقة البشرية. مناهل العرفان: ٢/ ٣.

وعرفه شيخنا مناع القطان - حفظه اللّه -بقوله: التفسير بيان كلام اللّه، المتعبد بتلاوته، المنزل على محمد ﷺ. انظر: مذكرة في علوم القرآن مقررة على السنة المنهجية في الكلية له: ص٣٤.

(٢) تفسير البغوي: ١/ ٤٦ - وابن الجوزي: ١/ ٤ - والخازن: ١/ ١٤ - قال في اللسان ١١/ ٣٢: الأوَل: الرجوع، آل الشيء يؤول أَوَلاً ومآلاً: رجع، وأوّل الكلام تأوله: دبّره وقدّره، وأوّله وتأوّله: فسّره.

إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ.[١]

وقيل: التأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية.[٢]

الفرق بين التفسير والتأويل: اختلف العلماء هل التفسير والتأويل بمعنى واحد، أم يختلفان؟.

فذهب قوم يميلون إلى العربية إلى أنهما بمعنى واحد، قال ابن الجوزي:

---

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٤ - وانظر: الخازن: ١/ ٦ - وهو في اللسان: ١١/ ٣٢.

(٢) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٤.

وقد أفاد شيخ الإسلام ابن تيمية أن للتأويل ثلاثة معان:

أحدها: التأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين - من أهل الكلام - هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، بدليل يقترن بذلك، فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلاً على اصطلاح هؤلاء.

الثاني: أن التأويل هو تفسير الكلام، سواء وافق الظاهر أو لم يوافقه، وهذا هو التأويل في اصطلاح المفسرين وغيرهم.

الثالث: أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام إليها وإن وافقت ظاهره، فتأويل ما أخبر الله به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح... هو الحقائق الموجودة أنفسها لا ما يتصور من معانيها في الأذهان، ويعبر عنه باللسان. انظر: مجموع الفتاوى: ٥/ ٣٥.

وهو قول جمهور المفسرين المتقدمين.[١]

وذهب قوم إلى اختلافهما:

فعن الخازن: أن التفسير يتوقف على النقل المسموع، وهو ظاهر قول البغوي، والتأويل: يتوقف على الفهم الصحيح.[٢]

وعن ابن جزي أن للعلماء في الفرق بين التفسير والتأويل ثلاثة أقوال:

الأول: أنهما بمعنى واحد.

الثاني: أن التفسير للفظ، والتأويل للمعاني[٣].

الثالث: وهو الصواب: أن التفسير هو الشرح، والتأويل هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره[٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن الجوزي: ١/ ٤.

(٢) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٤ - وتفسير البغوي: ١/ ٤٦.

(٣) وهو رأي الراغب، انظر: مفرداته: ٣٨٠.

(٤) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١١.

والذي يترجح عندي أن التفسير والتأويل بمعنى واحد في اصطلاح المفسرين، =

=قال تعالى:﴿هل ينظرون إلا تأويله﴾ [الأعراف: ٥٣] أي ينتظرون إلا بيانه الذي هو المراد منه.= وقد دعا رسول الله ﷺ لابن عباس فقال: اللّهم فَقِّهْهُ في الدين وعلّمه التأويل. وكان مجاهد يقول: العلماء يعلمون تأويله، أي: تفسيره. قال ابن عاشور: اللغة والآثار تشهد له. وهو القول الذي ذُكِرَ عن أهل العربية، والذي قال به جمهور المفسرين المتقدمين، فالقائلون به هم من فرسان اللغة وأساطينها، كثعلب وابن الأعرابي وأبو عبيدة وابن جرير والزمخشري، وهو ظاهر كلام الراغب، فهم الأعلم بلغة العرب. ثم إن العناوين التي أطلقها المتقدمون على تفاسيرهم توحي بأنهم لم يميزوا بين ذلك، فقد عنون ابن جرير تفسيره بـ(جامع البيان عن تأويل آي القرآن) والزمخشري أطلق على تفسيره (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل)، وكذا البيضاوي وغيرهم. ولا شك أنهم لم يقصدوا من ذلك التأويل فقط، بل إن كتبهم هي تفاسير للتنزيل الحكيم.

وقد جمع الشيخ حامد العمادي مفتي دمشق رسالة لطيفة في الفرق بين التفسير والتأويل سماها (رسالة التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل) سنة ست وثلاثين ومائة وألف، ذكر فيها أربعة عشر قولاً في الفرق. وقد علمت أن فضيلة الدكتور فهد الرومي يقوم بتحقيقها، وفقه الله في ذلك.

وفي معنى التفسير والتأويل يراجع: التيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي: ١٢٣ - والإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٢/ ١١٨٩ - والتحرير والتنوير لابن عاشور: ١/ ١٠ - ١٧ - ومناهل العرفان للزرقاني: ٢/ ٤ - وأصول التفسير وقواعده للعك: ٥٢ - ومدخل إلى علوم القرآن والتفسير لفارق حمادة: ٢١٢ - وعلوم القرآن لعدنان زرزور: ٤٠٣ وغيرهم.

الموضوع التاسع

بيان شرف التفسير والحاجة إليه

بحث هذا الموضوع في مقدمة تفسيره ابن جرير الطبري[١]، وأبو الليث السمرقندي[٢]، والواحدي[٣]، وابن عطية[٤]، وابن الجوزي[٥]، والقرطبي[٦]، وابن جزي[٧]، وأبو حيان[٨]، وابن كثير[٩].

لقد أجمع المفسرون على أهمية علم التفسير وعظيم شرفه والحاجة إليه، وأنه من أشرف أنواع العلوم وأجلها، وأنه إنما حاز هذا الشرف لأمور منها:

١) أن شرف العلم متعلق بشرف المعلوم، والمعلوم هنا كتاب اللّه الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، فلما كان كلام اللّه أشرف المعلومات، كان العلم بتفسيره وأسباب تنزيله ومعانيه أشرف العلوم.

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٦ و١/ ٨٠.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٢٠١.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ٤٥.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٢٧ و١/ ٨.

(٥) انظر: تفسيره: ١/ ٤.

(٦) انظر: تفسيره: ١/ ٢٦.

(٧) انظر: تفسيره: ١/ ٤.

(٨) انظر: تفسيره: ١/ ٩ و١/ ٢٥.

(٩) انظر: تفسيره: ١/ ١٢.

٢) أنه من أعظم العلوم تقريباً إلى اللَّه، وتخليصاً للنيات، ونهياً عن الباطل، وحضاً على الصالحات، إذ ليس من علوم الدنيا فيخْتِلُ[١] حاملَه من منازلها صيداً، ويمشي في التلطف لها رويداً.[٢]

يقول ابن جرير: اعملوا عباد اللَّه، رحمكم اللَّه، أن أحق ما صُرِفت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية، ما كان في العلم به رضى، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وأن أجمع ذلك لباغيه كتابُ اللَّه الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مِرية فيه، الفائز بجزيل الذخر، وسنّي الأجر تاليه.[٣]

٣) أنه العلم الذي جُعل للشرع قواماً، فهو المقصود بذاته، وسائر العلوم والمعارف إنما استعملت له خُداماً، فهي له كالأدوات، منه تؤخذ مبادئها، وبه تعتبر نواشِئُها، فما وافقه منها نَصع، وما خالفه رُفِضَ ودُفِع، فهو عنصرها النمير، وقمرها المنير، به تعرف أحكام الأنام، وبيان الحلال والحرام، والمواعظ النافعة، والحجج البالغة.

أخرج الطبري وأبو الليث السمرقندي بسندهما في تفسيرهما عن علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - أنه قال في خطبته: يا أيها الناس، قد

---

(١) الختل: هو الخدع. معجم مقاييس اللغة (ختل): ٢/ ٢٤٥.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٧.

بيَّن اللَّه لكم في محكم كتابه ما أحل لكم، وما حرم عليكم، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، وآمنوا بمتشابهه، واعملوا بمحكمه، واعتبروا بأمثاله[(١)].

قال السمرقندي: فلما أمر النبي ﷺ بأن يحل حلاله ويحرم حرامه، ثم لا يمكن أن يحل حلاله، ويحرم حرامه إلا بعدما يعلم تفسيره، ولأن اللَّه تعالى أنزل القرآن للناس، وجعله حجة على جميع الخلق بقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] فلما كان القرآن حجة على العرب والعجم، ثم لا يكون حجة عليهم إلا بعدما يعلم تفسيره فدل ذلك على أن طلب تفسيره وتأويله واجب.[(٢)]

وهو واجب على العلماء خاصة، الذين اجتباهم اللَّه واصطفاهم، والذين هم ورثة الأنبياء[(٣)] وخلفاؤهم، وسادة المسلمين وعرفاؤهم، والدعاة إلى المحجة المثلى ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال أبو العالية: الحكمة: فهم القرآن.

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٦٨ - تفسير السمرقندي: ١/ ٢٠٦ - قال ابن حجر في الفتح: ٩/ ٢٦: قال ابن عبد البر: هذا حديث لا يثبت لأنه من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود، ولم يلق ابن مسعود.

(٢) انظر: تفسير السمرقندي: ١/ ٢٠٧.

(٣) الحديث أخرجه الواحدي بسنده عن البراء بن عازب. تفسير الواحدي: ١/ ٤٥ - وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: العلم قبل العمل: ١/ ٢٣.

وقال قتادة: الحكمة، القرآن والفقه فيه.

وقال غيره: الحكمة تفسير القرآن.(١)

قال إياس بن معاوية: مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون من تفسيره، كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح، فتداخلهم روعة لا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف تفسيره كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرؤوا ما في الكتاب.(٢)

ووصف علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - جابر بن عبد الله بالعلم، فقال رجل: جعلتُ فداءك، تصف جابراً بالعلم وأنت أنت؟ فقال: إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥](٣).

ولهذه المزية ولغيرها حرص أصحاب رسول الله ﷺ على التفقه في الدين، وتعلم التفسير، روى الطبري بسنده عن ابن مسعود أنه قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٢٧ والقول الأخير هو لابن عباس. انظر: الإتقان للسيوطي: ٢/ ١١٩٤.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٢٧ - وابن الجوزي: ١/ ٤ - والقرطبي: ١/ ٢٦.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٢٧ - والقرطبي: ١/ ٢٦ - وأبي حيان: ١/ ٢٥.

والعمل بهن.[١]

ورحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية فقيل له: إن الذي كان يفسرها رحل إلى الشام، فتجهز ورحل إليه حتى علم تفسيرها.[٢]

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٨٠ قال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وهو موقوف على ابن مسعود، ولكنه مرفوع المعنى. - وانظر: تفسير السمرقندي عن عبد الرحمن السلمي بنحوه: ١/ ٢٠٥ - وابن الجوزي: ١/ ٤.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٢٧ - والقرطبي: ١/ ٢٦ - وأبا حيان: ١/ ٢٥.

وقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى أساليبهم، وأمروا بتدبر المنزل عليهم، للعمل بما فيه، فكانوا يفهمونه وقد يعجزون عن فهم نصوص منه فيسألون رسول الله ﷺ عن ذلك فيبين لهم بمقتضى أمر الله تعالى، وكان من أهم وآكد الحاجات للمسلمين فهم كلام الله تعالى، للتذكير والاعتبار، ولمعرفة هداية الله في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق، فكان العلم بتفسير كتاب الله واجباً، كوجوب سائر العلوم الإسلامية، وكان فرض كفاية. ومن هذا الباب انطلق المسلمون لتحصيل المراتب العليا في فهم نصوص الشرع ومخاطباته.

وقد لقي هذا العلم العناية لشرف المعلوم أولاً - كما سبق بيانه - ولأن غايته الاعتصام بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وهما أشرف الغايات وأجداها.

يقول الأصفهاني: صناعة التفسير حازت الشرف من ثلاث جهات:

- من جهة الموضوع: لأن موضوعه كلام الله وهو ينبوع كل حكمة.

- ومن جهة الغرض: فغرضه الاعتصام بالعروة الوثقى.

- ومن جهة شدة الحاجة: فكل كمال ديني أو دنيوي، عاجل أو آجل، مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله. =

الموضوع العاشر

أوجه التفسير وطرقه وأنواعه

يعد هذا الموضوع من أكثر الموضوعات التي اهتم بها المفسرون، وتناولوها في مقدماتهم، فقد بحثه جميع[1] من شملتهم هذه الدراسة عدا ابن

=انظر: التيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي: ١٥١ و١٥٨ - والإتقان للسيوطي: ٢/ ١١٩٥ - ومناهل العرفان للزرقاني: ٢/ ٩.

وقد لقي هذا العلم العناية لشرف المعلوم أولاً - كما سبق بيانه - ولأن غايته الاعتصام بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وهما أشرف الغايات وأجداها.

يقول الأصفهاني: صناعة التفسير حازت الشرف من ثلاث جهات: -

- من جهة الموضوع: لأن موضوعه كلام الله وهو ينبوع كل حكمة.
- ومن جهة الغرض: فغرضه الاعتصام بالعروة الوثقى.
- ومن جهة شدة الحاجة: فكل كمال ديني أو دنيوي، عاجل أو آجل، مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله.

انظر: التيسير في قواعد علم التفسير للكافيجي: ١٥١ و١٥٨ - والإتقان للسيوطي: ٢/ ١١٩٥ - ومناهل العرفان للزرقاني: ٢/ ٩.

(١) انظر: تفسير عبد الرزاق: ١/ ٥٩ - والطبري: ١/ ٧٣ و٧٧ و٨٠ و٨٢ و٨٤ و٩٢ - والسمرقندي: ١/ ٢٠٨ - والماوردي: ١/ ٣٣ و٣٦ - والواحدي: ١/ ٤٧ - والبغوي: ١/ ٤٥ - وابن عطية: ١/ ٢٨ - والقرطبي: ١/ ٣١ و٣٣ و٣٧ - والخازن: ١/ ٦ - وابن جزي: ١/ ١٠ و١٣ و١٦ و٢١ - وأبا حيان: ١/ ١٠ و١٣ و١٧ و١٩ و٢٥ - وابن كثير: ١/ ١٢ و١٨.

الجوزي، وقد تفاوتت اهتماماتهم بذكر تفاصيله، فكانوا بين مقتصد مقتصر على الرواية، ومسهب تناول أكثر من جزئية، وفي هذا الموضوع عدة مسائل:

المسألة الأولى: أوجه التفسير:

ندب اللَّه سبحانه عباده إلى تدبُّر كلامه، واستخراج المعاني من فحوى ألفاظه وشواهد خطابه، وبيَّن أن من كلامه ما لا يعلم تأويله إلا هو، حيث استأثر بعلم ذلك كالخبر عن آجال حادثة، وأوقات آتية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وأن منه ما لا يعلم تأويله إلا ببيان رسوله ﷺ ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، ومن هذا الوجه تأويل وجوه أمره، وصنوف نهيه، ومبالغ فرائضه، وغير ذلك من أحكام آيه التي لا يوصل إليها إلا ببيانه ﷺ له، إما بنص منه ﷺ عليه، أو بدلالة قد نصبها أمَّته على تأويله.

وأن منه ما يعلم تأويله العلماء العالمون باللسان الذي نزل به القرآن

﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].(١)

وقد ورد الأثر في ذلك، فقد روى عبد الرزاق وابن جرير بسندهما عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: تفسير القرآن على أربعة وجوه: تفسير يعلمه العلماء، وتفسير يعرفه العرب، وتفسير لا يُعْذَر أحد بجهالته، مقول من الحلال والحرام، وتفسير لا يعلم تأويله إلا الله، من ادَّعى علمه فهو كاذب.(٢)

ورواه الطبري بلفظ آخر عن ابن عباس فقال: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعْذَر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله.(٣)

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٧٣.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٥٩ - وابن جرير في تفسيره: ١/ ٧٥ وقال: في إسناده نظر. وأورده ابن كثير في تفسيره: ١/ ١٨ وقال: والنظر الذي أشار إليه في إسناده هو من جهة محمد بن السائب؛ فإنه متروك الحديث؛ لكن قد يكون إنما وهم في رفعه، ولعله من كلام ابن عباس.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٧٥ - وأورده الماوردي: ١/ ٣٦ - وابن كثير: ١/ ١٨.

فالوجه الذي تعرفه العرب بكلامها: هي حقائق اللغة وموضوع كلامهم.

والذي لا يعذر أحد بجهالته: هو ما يلزم كافَّةَ المسلمين في القرآن من الشرائع، وجملة دلائل التوحيد.

وأما الذي يعلمه العلماء: فهو وجوه تأويل المتشابه وفروع الأحكام.

وأما الذي لا يعلمه إلا اللَّه: فهو ما يجري مجرى الغيوب وقيام الساعة.(١)

ولم يعتبر الطبري الوجه الثاني - مالا يعذر أحد بجهالته - وجهاً، بل قال: إنه معنى غيرُ الإبانة عن وجُوه مَطالب تأويله، فهو خبر عن أن من تأويله ما لا يجوز لأحد الجهل به.(٢)

وقد صحح الماوردي تقسيم ابن عباس - رضي اللَّه عنهما العاشرة غير أنه رأى أن ما لا يعذر أحد بجهالته، داخل في جملة ما يعلمه العلماء، وإنما يختلف القسمان في فرض العلم به، فما لا يعذر أحد بجهله يكون فرض العين به على الأعيان، وما يختص بالعلماء يكون فرض العلم به

---

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٧٥.

على الكفاية.[١] وعليه صار التقسيم إلى ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: ما اختص الله تعالى بعلمه: وهذا لا يؤخذ إلا عن توقيف من أحد ثلاثة أوجه:

- إما من نصٍّ في سياق التنزيل.
- وإما عن بيان من جهة الرسول ﷺ.
- وإما عن إجماع الأمة على ما اتفقوا عليه من تأويل.

قال الماوردي: فإن لم يرد فيه توقيف علمنا أن الله تعالى أراد لمصلحة استأثر بها، ألا يطْلِعَ عباده على غيبه.

الوجه الثاني: ما يرجع فيه إلى لسان العرب: وذلك شيئان:

الأول: اللغة، يكون العمل به في حق المفسر دون القارئ، فإن كان الأمر لا يوجب العمل، جاز الاستشهاد بخبر الواحد وقليل الشعر، وإن كان الأمر يوجب العمل لم يجز ذلك حتى يكون نقله مستفيضاً، وشواهد الشعر فيه متناصرة.

الثاني: الإعراب، فإن كان اختلافه موجباً لاختلاف حكمه، وتغيير تأويله لزم العمل به في حق المفسر وحق القارئ، ليتوصل المفسر إلى معرفة

---

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٦.

حكمه، ويَسْلَمَ القارئ من لَحْنِهِ.

وإن كان اختلاف إعرابه لا يوجب اختلاف حكمه، ولا يقتضي تغيير تأويله، كان العلم بإعرابه لازماً في حق القارئ ليسْلَم من اللَّحن في تلاوته، ولم يلزم في حق المفسر لوصوله - مع الجهل بإعرابه - إلى معرفة حكمه.

الوجه الثالث: ما يرجع فيه إلى اجتهاد العلماء: وهو تأويل المتشابه واستنباط الأحكام، وبيان المجمل، وتخصيص العموم وغير ذلك.[1]

المسألة الثانية: طرق التفسير:

للتفسير طريقان الأول: التفسير بالأثر (الرواية).

والثاني: التفسير بالرأي (الدراية).

أولاً: التفسير بالأثر (الرواية):

المقصود من التفسير بالأثر، تفسير القرآن بالقرآن، وبما نُقل عن الرسول ﷺ، أي بالسُّنة، وبأقوال الصحابة وما ثبت عنهم، وبأقوال التابعين.

وأصح هذه الطرق تفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد

---

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٦ - ٣٨ - وبنحوه قال الطبري من قبله، انظر في تفسيره: ١/ ٩٢ - وانظر البرهان للزركشي: ٢/ ١٦٤.

فُسِّرَ في موضع آخر، وما اختصر في مكان فإنه بسط في آخر.

فإن لم يجد فالسُّنة، فهي شارحة للقرآن وموضحة له، وقد جعل اللَّه تعالى إلى رسوله ﷺ بيان ما كان منه مجملاً كالصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها، وتفسير ما كان منه مشكلاً، وتحقيق ما كان منه محتملاً، كما جعل له زيادة على حكم الكتاب، كتحريم المرأة على خالتها وعمتها، وكتحريم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع وغير ذلك، ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص بهن ومنزلة التفويض إليه، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤](١) وقال: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤] وقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ [النساء: ١٠٥] قال الإمام الشافعي - رحمه اللَّه -: كل ما حكم به رسول اللَّه ﷺ فهو مما فهمه من القرآن.(٢) وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

روى أبو داود عن المقدام بن معدي كرب(٣) عن رسول اللَّه ﷺ أنه

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٢ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٢.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٢.

(٣) هو المِقْدامُ بن مَعْدي كرب بن عمرو بن يزيد، صاحب رسول اللَّه ﷺ روى عدة أحاديث ، توفي بحمص سنة (٨٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣/ ٤٢٧ -=

قال: ألا إني أُتيت القرآن ومثله معه.[١] قال ابن كثير: يعني السنة، فالسنة تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن، إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن.[٢]

قال الخطابي: قوله (ومثله معه) يحتمل وجهين:

أحدهما: أن معناه أنه أُوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أُعطي من الظاهر المتلو.

والثاني: أنه أُوتي الكتاب وحياً يُتلى، وأُعطي من البيان مثله، أي أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرع ما في الكتاب فيكون في وجوب العمل به، ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن.[٣]

فإن لم يجد في السنة رجع إلى أقوال الصحابة، وفهمهم لكتاب اللّه، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلن الصحيح، والعمل الصالح.

قال رسول اللّه ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: بم تحكم؟ قال: بكتاب

=والبداية والنهاية لابن كثير: ٩/ ٧٣.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة: ٤/ ٢٠٠ - وأحمد في المسند: ٤/ ١٣١ - وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد: ١/ ١٥٠.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٣.

(٣) انظر: معالم السنن للخطابي بهامش سنن أبي داود: ٥/ ١٠ط دار الحديث، تحقيق الدعاس والسيد - وتفسير القرطبي: ١/ ٣٨.

اللَّه. قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول اللَّه. قال: فإن لم تجد؟ قال: أجتهد برأيي. قال الراوي: فضرب رسول اللَّه ﷺ في صدره وقال: الحمد للّه الذي وفق رسولَ رسولِ اللَّه لما يرضي رسول اللَّه.[(١)]

وقد يذكر الصحابة بعض الحكايات التي ينقلونها عن أهل الكتاب، وقد أباح رسول اللَّه ﷺ ذلك حيث قال: بلغوا عني ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.[(٢)]

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٣ - ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٩٤ وقال: وهذا الحديث في المسانيد والسنن بإسناد جيد. وأخرجه: الترمذي في سننه، كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في القاضي كيف يقضي: ٣/ ٦١٦ وقال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل. - وأبو داود في سننه، كتاب: الأقضية، باب: اجتهاد الرأي في القضاء: ٣/ ٣٠٣ - وأحمد في المسند: ٥/ ٢٣٠ - قال ابن حزم في كتابه الإحكام في أصول الأحكام: ٧٧٣ ط٢ مطبعة الإمام بالقاهرة: وأما خبر معاذ فإنه لا يحل الاحتجاج به لسقوطه، وذلك أنه لم يرو قط إلا من طريق الحارث بن عمرو، وهو مجهول لا يدري أحد من هو.

قال الأستاذ عدنان زرزور في تحقيقه لمقدمة أصول التفسير لابن تيمية: ٩٥: القضية التي ساق لها ابن تيمية هذا الحديث وهي طلب تفسير القرآن من السنة إن لم يوجد في القرآن نفسه، ليست موضع خلاف بإطلاق؛ صح هذا الأثر أم لم يصح، وإن كان حكم ابن تيمية على إسناده بأنه جيد يحتاج تجاوزه إلى مزيد بحث.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل: ٤/ ١٤٥ - وأحمد في المسند: ٣/ ١٥٩ و٢٠٢ - والترمذي في سننه، كتاب: العلم، باب: ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل: ٥/ ٤٠ وقال: حسن صحيح - وأورده ابن تيمية في=

وهي إنما تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد، وهي ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه فذاك مردود.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني.

فإن لم يجد بغيته في أقوال الصحابة، رجع - على رأي غالب أهل العلم - إلى أقوال أئمة التابعين مثل مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن البصري وغيرهم، فإنهم كانوا بارعين في التفسير، تتلمذوا على أئمة العلم من الصحابة، يقول مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحة الكتاب إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها[1].

وتفسير التابعين يُعتمد ويكون حجة إذا أجمعوا على الشيء، فإن اختلفوا فلا يكون بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع

مقدمته: ٩٨ - وابن كثير في تفسيره: ١/ ١٤ وغيرهم. انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي: ٤/ ٢٨٦.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٩٠ - وأورده ابن تيمية، انظر: مقدمة في أصول التفسير: ١٠٢ - وابن كثير في تفسيره: ١/ ١٥.

إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك.(١)

ثانياً: التفسير بالرأي (الدراية):

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقال جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾--﴿قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧ – ٢٨].

في هذه الآيات وغيرها من آيات الذكر الحكيم حث اللَّه تعالى العلماء على تدبر آياته واستنباط معاني كلامه، وبيَّن أنهم مكلفون بتأويل ما لم يحجب عنهم تأويله، وهو الأمر الذي فهمه أكثر أهل العلم من ظاهر الآيات، وسياق الأحاديث والآثار، وشاهدوه من فعل السلف.

غير أن هناك نصوصاً أخرى تفيد أن ثلة من السلف أمسك عن القول في القرآن، وتحرَّج من الخوض فيه، حيطة وتورعاً كان ذلك أم إحجاماً وتمنعاً للخشية، مستدلِّين بظاهر بعض الأحاديث التي تحذر الإقدام على القول في القرآن بالرأي.

وبهذا يتبين أن السلف أمام التفسير بالرأي فريقان:

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٣ – ١٠٥ – وتفسير ابن كثير: ١/ ١٤-١٥.

فريق يرى التفسير بالرأي ويجوزه، وآخرين يرى الوقوف عند المنقول والمأثور، ولكل فريق وجهته وأدلته:

أولاً: المانعون من التفسير بالرأي وأدلتهم:

يقول الواحدي - رحمه الله تعالى -: من شرف هذا العلم - أي علم التفسير - وعزته في نفسه أنه لا يجوز القول فيه العقل والتدبر، والرأي والتفكر، دون السماع والأخذ عمن شاهدوا التنزيل بالرواية والنقل، والنبي ﷺ فمن بعده من الصحابة والتابعين قد شددوا في هذا حتى جعلوا المصيب فيه برأيه مخطئاً.(١)

وأفاد ابن تيمية وابن كثير لزوم الوقوف عند المأثور، وصرحا بتحريم التفسير بمجرد الرأي.(٢)

وفصَّل البغوي، فأجاز التأويل الذي هو صرف الآية إلى معنى محتمل موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، ومنع التفسير إلا بالسماع بعد ثبوته من طرق النقل، وقصد بالتفسير الكلام

---

(١) انظر: تفسير الواحدي: ١/ ٤٧ ويشير بذلك إلى الحديث الذي رواه بسنده عن جندب وسيأتي بعد قليل.

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٥ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٥.

في أسباب نزول الآية وشأنها وقصتها.[١]

ومن أدلة المانعين:

- قوله تعالى ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].[٢]

وما رواه عبد الرزاق، وابن جرير والبغوي بسندهم عن ابن عباس - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال: من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.[٣]

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ١/ ٤٥.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٣.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ١/ ٥٩ - وابن جرير: ١/ ٧٧ - والسمرقندي: ١/٢٠٨ - والواحدي: ١/٤٧ - والبغوي: ١/ ٤٥ - وأورده القرطبي في تفسيره: ١/ ٣٢ - والخازن: ١/ ٦ - وابن كثير: ١/ ١٥ - وأخرجه البيهقي في الشعب: (ح٣٠٣-٢/ ٥٥٢).

وفي سند الرواية عبد الأعلى بن عامر الثعلبي، تكلموا فيه، فقال أحمد وأبو زرعة: ضعيف الحديث. وقال ابن عدي: يحدث بأشياء لا يتابع عليها، وقد حدَّث عنه الثقات، وحسن له الترمذي. وصحح له الحاكم وهو من تساهله. تهذيب التهذيب: ٦/ ٩٤ - قال ابن كثير: أخرجه الترمذي والنسائي من طرق عن سفيان الثوري، ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي عوانة، عن عبد الأعلى به، وقال الترمذي: حديث حسن. وهو في الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٥/ ١٩٩- وفي الفتح الكبير للسيوطي: ٣/ ٢١٩ - والجامع الصغير للسيوطي: ٢/ ١٧٧، وضعفه=

وما رواه ابن جرير والبغوي بسندهما أيضاً عن ابن عباس وأورده ابن كثير، بلفظ: من قال في القرآن برأيه - أو بما لا يعلم - فليتبوأ مقعده من النار.[١]

وما رواه ابن جرير والواحدي والبغوي بسندهما عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ.[٢] وفي رواية زاد رزين: ومن قال برأيه فأخطأ فقد كفر.[٣] يقول ابن جرير: يعني أنه أخطأ في فعله حين قال برأيه، لأن قوله ليس بقول عالم إن الذي قال فيه

=الألباني كما في ضعيف الجامع الصغير: ٥/ ٢٢٨.

(١) التخريج السابق

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٧٩ - والواحدي: ١/ ٤٧ - والبغوي: ١/ ٤٥ وقال: غريب - وأورده الماوردي: ١/ ٣٣ - والخازن: ١/ ٦ وأبو حيان: ١/ ٢٥ - وقال ابن كثير ١/ ١٦: وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث سهيل بن أبي حزم القطعي، وقال الترمذي: غريب وقد تكلم بعض أهل الحديث في سهيل. وانظر تهذيب الكمال للمزي: ١٢/ ٢١٧ - وهو في الترمذي، كتاب: التفسير، باب: ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: ٥/ ٢٠٠ - وفي سنن أبي داود، كتاب: العلم، باب: الكلام في كتاب الله: ٣/ ٣٢٠ - وفي شرح السنة للبغوي: ١/ ٢٥٩ - وفي فضائل القرآن للنسائي: ١١٤- وأورده السيوطي في الجامع الصغير للسيوطي: ٢/ ١١٧ وحسنه، قال المناوي في الفيض: ٦/ ١٩٠: رمز المؤلف لحسنه ولعله لاعتضاده، وإلا ففيه سهيل بن عبد الله تكلم فيه أحمد والبخاري والنسائي وغيرهم. -

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٢ - والبرهان للزركشي: ٢/ ١٦٤.

قول حق وصواب، فهو بالتالي قائل على اللّه ما لا يعلم، آثم بفعله ما قد نُهي عنه، وحُظر عليه.(١)

وقال ابن تيمية: لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به؛ فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر، لكن يكون أخف جرماً ممن أخطأ.(٢)

وروى ابن جرير وأبو عبيد والسمرقندي والبغوي بسندهم عن أبي بكر الصديق - رضي اللّه عنه - أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال: لا أدري ما الأب! فقيل له: قل من ذات نفسك يا خليفة رسول اللّه. فقال: أيُّ أرض تُقِلُّني، وأيُّ سماءٍ تُظلُّني إذا قلت في القرآن بما لا أعلم. وفي رواية: إذا قلت: في القرآن برأي أو بما لا أعلم.(٣)

---

(١) تفسير الطبري: ١/ ٧٩.

(٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٨ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٦.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسير: ١/ ٧٨ - والسمرقندي: ١/ ٢٠٨ - والبغوي: ١/ ٤٥ - وأورده الخازن: ١/ ٦ - وابن تيمية في مقدمته: ١٠٨ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٦ و٣/ ٤٧٣ وعزياه لأبي عبيد وقالا: منقطع - وهو في فضائل القرآن لأبي عبيد: ٢٢٧ط غاوجي - وأخرجه البيهقي في الشعب (ح٣٠٦ - ٢/ ٥٥٦) - وابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/ ٥١٢ - وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: ٢/ ٥٢ - أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٣١٧ وعزاه لأبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد. وللحديث طرق كثيرة.

وأخرج أبو عبيد عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال: هذه الفاكهة فقد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر.[١]

وروى ابن جرير عن عبد اللَّه بن عمر - رضي اللَّه عنه - قال: لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليغلظون القول في التفسير، منهم سالم بن عبد اللَّه، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع.[٢]

وعن يحيى بن سعيد قال: سمعت رجلاً يسأل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال: لا أقول في القرآن شيئاً[٣].

وعن يزيد بن أبي يزيد قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن: ٢٢٧ط غاوجي - والحاكم في المستدرك: ٢/ ٥١٤ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه - والبيهقي في الشعب: (ح٣٠٨ - ٢/ ٥٥٩) وانظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٩ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٦.

(٢)انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٨٥ - ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٢ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٧ - وهو في فضائل أبي عبيد: ٢٢٨ط غاوجي.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٨٥ - ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٢ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٧ - وهو في فضائل أبي عبيد: ٢٢٨ط غاوجي.

لم يسمع.(١)

وعن عمرو بن مرة(٢) سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن، فقال: لا تسألني عن القرآن وسَل من يزعم أنه لا يخفى عليه شيء منه - يعني عكرمة -.(٣)

وأخرج البغوي عن أبي الدرداء - رضي اللَّه عنه -: لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة، قال حماد: قلت لأيوب: ما معنى قول أبي الدرداء - رضي اللَّه عنه - فجعل يتفكر فقلت: هو أن ترى له وجوهاً فتهاب الإقدام عليها. فقال: هو ذاك، هو ذاك.(٤)

وعن هشام بن عروة قال: ما سمعت أبي تأوَّل آية من كتاب اللَّه قط.(٥)

---

(١) (٣) تفسير ابن جرير ١/ ٨٦ - ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٢ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٧.

(٢) هو عمرو بن مُرة بن عبد اللَّه بن طارق المرادي، إمام حافظ، زكاه الإمام أحمد بن حنبل، ووثقه الأئمة، توفي (١١٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ١٩٦ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٨/ ١٠٢.

(٤) تفسير البغوي: ١/ ٤٥.

(٥) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٣ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٧ - وفضائل القرآن لأبي عبيد: ٢٢٨ - ٢٢٩ط غاوجي. وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٤/ ٢٢٢.

وأخرج أبو عبيد عن مغيرة عن إبراهيم قال: كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه[١].

وأخرج عن مسروق قال: اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن اللَّه[١].

وغير ذلك من الأدلة التي ليس هذا موضع بسطها.

أولاً: المجيزون للتفسير بالرأي وأدلتهم:

ويرى المجيزون للتفسير بالرأي - وهم أكثر أهل العلم - أن اللَّه سبحانه قد حثَّ عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبينات، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُو الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] وقال: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧ - ٢٨] وما أشبه ذلك من الآيات التي أمر اللَّه عباده فيها بالاتعاظ بمواعظه، والاعتبار بأمثاله والتفكر في نظمه ومعانيه، مما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله، لكونه لا يجوز أن يقال لهم اعتبر بها وهم لا يعلمون معانيها.

وألزم المجيزون من يقدم على تفسير كلام اللَّه أن يأخذ بالأسباب، ويتعلم وجوه اللغة التي بها نزل القرآن، وأن يقف على أحوال التنزيل،

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٣ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٧ - وفضائل القرآن لأبي عبيد: ٢٢٨ - ٢٢٩ط غاوجي. وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٤/ ٢٢٢.

وينظر في أقوال العلماء المتقدمين، وغير ذلك من العلوم التي تعين على فهم النص القرآني فهماً صحيحاً.

واستدل المجيزون بأدلة عديدة منها:

١- ظاهر الآيات التي حث الله تعالى فيها عباده من أهل العلم على الاعتبار بالآيات، مثل قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، وقوله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٧ - ٢٨].

٢- بعض الآثار التي وردت عن السلف تبين وتوضح أنهم قالوا في القرآن بالرأي:

يقول ابن عطية: كان جُلَّة من السلف كسعيد بن المسيب، وعامر الشعبي، وغيرهما، يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم مع إدراكهم وتقدمهم، وكان جلَّة من السلف كثير عددهم يفسرونه - القرآن - وهم أبقوا[١] على المسلمين في ذلك.[٢] ومن هذه الآثار:

---

(١) تقول: أبقى عليه: أي أشفق عليه ورحمه.

(٢) تفسير ابن عطية: ١/ ٢٨.

ما رواه ابن جرير عن مسروق[١] قال: كان عبد اللّٰه يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامَّة النهار.[٢]

وما رواه عن شقيق بن سلمة[٣] قال: استعمل علي ابن عباس على الحج، قال: فخطب الناس خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا ثم قرأ عليهم سورة النور فجعل يفسرها.[٤]

وعنه قال: قرأ ابن عباس سورة البقرة فجعل يفسرها فقال رجل: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت.[٥]

وعن سعيد بن جبير قال: من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالأعمى أو

---

(١) هو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني، تابعي قدم المدينة بعد وفاة النبي ﷺ، كان قاضياً فقيهاً ثقة، توفي بالكوفة (٦٢هـ) انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ٣/ ٤٩٢- وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٦٣.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٨١.

(٣) هو شقيق بن سَلَمَة الأسدي، شيخ الكوفة، أدرك النبي ﷺ ولم يره، وحدَّث عن الصحابة، ثقة كثير الحديث، توفي (٨٢هـ). انظر: تهذيب الكمال للمزي: ١٢/ ٥٤٨ - وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ١٦١.

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٨١ - وقد ذكرهما الحافظ ابن حجر في الإصابة: ٤/ ٩٣.

(٥) المراجع السابقة.

كالأعرابي.(١)

كما تكلم عدد من التابعين في التفسير كالحسن البصري والضحاك بن مزاحم والسدي وغيرهم، ثم تتابع الناس وألفوا في التفسير التآليف، خاصة حين فسد اللسان، وكثرت العجمة بدخول الناس في الدين، واحتاج الناس إلى فهم النص القرآني، وإلى البيان والتوضيح، وشرح الألفاظه والمفردات.

٣- أن الرسول ﷺ وصحابته لم يفسروا القرآن كله، بل الثابت أن الرسول ﷺ لم يفسر من القرآن إلا اليسير، أخرج ابن جرير وغيره عن عائشة - رضي اللّه عنها - قالت: ما كان رسول اللّه ﷺ يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعدد علمهن إياه جبريل.(٢) وقد سئل علي بن أبي طالب - كرم اللّه وجهه -: هل خصكم رسول اللّه ﷺ بشيء؟ فقال: ما عندناغير هذه الصحيفة، أو فهم يؤتاه الرجل في كتابه.(٣) فكيف يفهم ما لم يرد فيه نص.

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٨٠.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٨٤ وقال في: ٨٩: الخبر معلول في إسناده، وفيه جعفر بن محمد الزبيري، وهو غير معروف عند أهل الأثر. وقال ابن كثير ١/ ١٨: حديث منكر. وأخرجه أبو يعلى في مسنده: ٨/ ٢٣ - وأورده الهيثمي في المجمع: ٦/ ٣٠٣.

(٣) أورده أبو حيان في تفسيره: ١/ ١٣ - والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم: ١/ ٣٦.

٤- الاختلاف والتباين في التفسير المنقول عن كثير من الصحابة والتابعين للآية الواحدة، فالناظر فيها يرى أقوالاً كثيرة متباينة الأوصاف، بل قد تكون متعارضة، وذلك دليل على أنهم كانوا يقولون في القرآن بالرأي، وكتب التفسير تزخر بكَمٍّ من تلك الأقوال، وإن كان بعض الأئمة كشيخ الإسلام ابن تيمية يرى أن التباين هو تباين في الألفاظ وليس اختلافاً في المعاني.(١) ويرى غيره من أهل العلم أن التفسير متفق عليه ومختلف فيه، وهو - أي المختلف - ثلاثة أنواع:

الأول: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعاني، وهذا الذي عناه ابن تيمية.

الثاني: اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد.

الثالث: اختلاف في المعنى. وهو الذي عنيناه هنا.(٢)

يقول القرطبي: إن الصحابة قد قرأوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي ﷺ، فإن النبي دعا لابن عباس وقال: اللّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.(٣) فإن كان التأويل مسموعاً

---

(١) انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٤ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٥.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١١.

(٣) انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٩٦ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٣ - وأورده الهيثمي في المجمع: ٩/ ٢٧٦ وقال: هو في الصحيح غير قوله: وعلمه التأويل. ورواه=

كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك.(١)

٥- أن منع التفسير بالرأي يفضي - كما يقول أبو حيان - إلى أنَّ ما استخرجه الناس بعد التابعين من علوم التفسير ومعانيه ودقائقه، وإظهار ما احتوى عليه من علم الفصاحة والبيان والإعجاز لا يكون تفسيراً حتى يُنقَلَ بالسند إلى مجاهد ونحوه، قال: وهذا كلام ساقط.(٢)

وقد وجه المجيزون الصحيح من أدلة المانعين، كما ردوا بعضها، فقالوا:

إن الآيات والأخبار التي أوردوها والتي يفيد ظاهرها المنع إنما هي من الوجه الذي لا يُعلم إلا بنص بيان رسول اللّه ﷺ، أو نصبه الدلالة عليه(٣).

وعن الآثار التي تفيد تحرج بعض السلف من تفسير القرآن، يبين ابن

=أحمد والطبراني بأسانيد. وهو عند البزار والطبراني: اللّهم علمه تأويل القرآن. ولأحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح.

وهو عند البخاري، كتاب: الوضوء، باب: وضع الماء عند الخلاء: ١/ ٤٥ - وفي صحيح مسلم بلفظ: اللّهم فقهه. كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل عبد اللّه بن عباس: ٤/ ١٩٢٧ - وفي مسند الإمام أحمد: ١/ ٢٦٦ و٣١٤.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٣.

(٢) انظر: تفسير أبي حيان: ١/ ١٤.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٧٤.

الأنباري أنهم إنما كانوا يتورعون عن تفسير المشكل من القرآن، فبعضهم يقدر أن الذي يفسره لا يوافق مراد اللَّه عزَّ وجلَّ فيُحجِمُ عن القول، وبعضهم يُشْفِقُ من أن يجعل في التفسير إماماً يبنى على مذهبه، ويقتضى طريقه، فلعلَّ متأخراً أن يفسر حرفاً برأيه ويخطئ فيه ويقول: إمامي في التفسير بالرأي فلان، الإمام من السلف.[١]

ويَحمل ابن تيمية هذا التحرج عن الكلام فيما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعاً فلا حرج عليه؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه. قال: وهذا هو الواجب على كل أحد؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].[٢]

وقالوا: في حديث جندب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من قال: في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»: في سنده سهيل بن أبي حزم القُطعي، تكلم بعض أهل العلم فيه، وقال الترمذي: حديث غريب.[٣]، وعلى فرض صحته يقول ابن الأنباري: إن أهل العلم حملوه على أن الرأي معنيٌّ به الهوى، أي من قال في القرآن قولاً يوافق هواه، لم يأخذه عن أئمة السلف

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٤.

(٢) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١١٤ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٨.

(٣) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٦ - وتفسير ابن كثير: ١/ ١٦.

فأصاب فقد أخطأ، لحكْمِه على القرآن بما لا يعرف أصله، ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه.[(١)]، كمن يحتج ببعض الآيات على تصحيح بدعته، وهو يعلم أن ليس المراد بالآية ذلك، أو كمن يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أُريد به، مثل الذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي بقوله: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٤٢].

قال الماوردي: تمسك فيه - في الحديث - بعض المتورعة واستعمل الحديث على ظاهره، وامتنع أن يستبط معاني القرآن باجتهاده عند وضوح شواهده، إلا أن يرد بها نقل صحيح، ويدل عليها نص صريح، فقال: هذا عدول عما تعبد اللّه تعالى به خلقه في خطابهم بلسان عربي مبين، حيث جعل لهم سبيلاً إلى استنباط أحكامه، قال تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] قال: لو كان ما قالوه صحيحاً لكان كلام اللّه تعالى غير مفهوم، ومراده بخطابه غير معلوم.، وتأوّل الأثر على فرض صحته على أن من حمل القرآن على رأيه ولم يعمل على شواهد ألفاظه فأصاب الحق فقد أخطأ الدليل.[(٢)]

ومعنى الحديث عند ابن عطية أن يُسألَ الرجل عن معنًى في كتاب اللّه فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قاله العلماء، واقتضته قوانين العلوم

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٢.

(٢) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٣.

كالنحو والأصول، وليس يدخل فيه أن يفسر اللغويون لغته، والنحاة نحوه، والفقهاء معانيه، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر.(١)

وعن قوله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»: قال ابن الأنباري: فسر هذا الحديث تفسيرين:

أحدهما: من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو معرض لسخط اللَّه.

والجواب الآخر - وهو أثبت القولين وأصحهما معنى -: من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار.(٢)

قال ابن جزي: تأويله فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات، لا فيمن تكلم فيما تقتضيه أدوات العلوم ونظر في أقوال العلماء المتقدمين فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه.(٣)

وهكذا يظهر لنا أن اللَّه تعالى قد جعل إلى العلماء بعد رسول اللَّه ﷺ استنباط ما نبه على معانيه، وأشار إلى أصوله، ليتوصلوا بالاجتهاد فيه إلى علم المراد، فيمتازوا بذلك عن غيرهم، ويختصوا بثواب اجتهادهم، قال

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٢٨.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٣٢.

(٣) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١٦.

تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١] فصار الكتاب أصلاً، والسنة له بياناً، واستنباط العلماء له إيضاحاً وتبياناً.[١]

المسألة الثالثة: أنواع التفسير:

لم يتطرق المفسرون لأنواع التفسير في مقدماتهم عدا ابن عطية وابن جزي وأبي حيان، فقد ذكروا شيئاً عن تفاسير الباطنية بإيجاز، فنبه ابن عطية إلى انحراف هذا الاتجاه، وأفاد أنه جعل تفسيره سالماً من إلحاد أهل القول بالرموز، وأهل القول بالباطن، ونبه القارئ إلى ما يكون قد وقع فيه، من نقله لأقوال بعض العلماء الذين حازوا حسن الظن عنده، ويكونوا قد اعتمدوا آراء من هذا النوع.[٢]

وذكر ابن جزي أن المتصوفة تكلمت في تفسير القرآن، فكان منهم من أحسن وأجاد، ووصل بنور بصيرته - كما قال - إلى دقائق المعاني، ووقف على حقيقة المراد[٣] ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على ما لا

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٢.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ١٠.

(٣) قلت: حقيقة مراد الله لا يجزم به، وأهل العلم والمفسرون منهم يسعون للوقوف على مراد الله ولا يجزمون بأن ما توصلوا إليه هو عين مراد الله، فلا يسلم لابن جزي مقولته، والله أعلم.

وقد اختلف العلماء في قبول تفسير الصوفية، وهو التفسير الإشاري، فمنهم من قبله،=

تقتضيه اللغة العربية، كما فعل عبد الرحمن السلمي الذي جمع تفسيراً سماه (الحقائق)، وقال فيه بعض العلماء: بل هي بواطل. قال ابن جزي: فإذا انتصفنا قلنا: فيه حقائق وبواطل.[١] كما أشار أبو حيان إلى هذا اللون المنحرف، وصرح بأنه لا يلتفت إلى مثل هذه الطائفة، لكونهم يخرجون الألفاظ عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على اللّه تعالى.[٢]

=ومنهم من رده، وآخرون توسطوا، فقبلوه بشروط، ومن هؤلاء ابن جزي كما يظهر من قوله. وقد وضع العلماء شروطاً عديدة لقبول هذا اللون من التفسير تتلخص في شرطين:

الأول: أن يصح على مقتضى الظاهر في لسان العرب، ويكون على أساليب كلامهم.

الثاني: أن يكون له شاهد، نصاً أو ظاهراً في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض.

انظر: الموافقات للشاطبي: ٣/ ٣٩٤ - والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم: ٥٠ - ومناهل العرفان للأستاذ الزرقاني: ٢/ ٨١ - وابن جزي ومنهجه في التفسير لعلي الزبيري: ٢/ ٦٠٢.

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١٣.

(٢) انظر: تفسير أبي حيان: ١/ ١٣.

وقد بحث هذا الموضوع السيوطي في الإتقان: ٤/ ١٨٠ - وابن عقيلة في الزيادة والإحسان: ٣/ ٩٥٤ تحقيق الشيخ / مصلح السامدي.

الموضوع الحادي عشر

العلوم التي يحتاجها المفسر

بحث هذا الموضوع في مقدمة تفسيره ابن جزي[١]، وأبو حيان[٢]، وتعرض لجانب منه ابن عطية.[٣]

والعلوم التي يحتاجها المفسر حتى يقدم على تفسير كتاب اللّه عديدة، أوصلها ابن جزي إلى اثني عشر فناً من العلوم، واكتفى أبو حيان بسبعة فنون على الاختصار وهي:

الفن الأول: التفسير: وهو المقصود بنفسه من بين الفنون، وسائر الفنون أدوات تعين عليه أو تتعلق به أو تتفرع منه، ويقصد بالتفسير: شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه.

والتفسير متفق عليه ومختلف فيه، أما المختلف فيه فهو ثلاثة أنواع:

الأول: اختلاف في العبارة، واتفاق في المعنى، وهو ليس بخلاف.

الثاني: اختلاف في التمثيل، مع الاتفاق في المعنى، وهو الآخر ليس

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ١٠- ١٤.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ١٤- ١٧.

(٣) انظر تفسيره: ١/ ٦٣.

بخلاف.

الثالث: اختلاف المعنى، يحتاج إلى ترجيح بينها.[١]

الفن الثاني: القراءات: ويتعلق ذلك باختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إتيان بلفظ بدل لفظ، وذلك بتواتر وآحاد.

وأهمية القراءات بمنزلة الرواية في الحديث، فلا بد من ضبطها إذ بها يُعرف كيفية النطق بالقرآن[٢]، وهي نوعان:

النوع الأول: **القراءات المشهورة:** وهي القراءات السبع، وهي حرف نافع المدني وابن كثير المكي، وأبي عمرو بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، وعاصم، وحمزة، والكسائي الكوفيَّيْن، وما جرى مجراهم في الصحة والشهرة، كقراءة يعقوب الحضرمي[٣]، ويزيد بن القعقاع[٤]، ومن

---

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١١. وقد عد ابن جزي التفسير قسيماً للعلوم التي يحتاجها المفسر وهو في الحقيقة نتيجة الإلمام بتلك العلوم وحصيلة ذلك، ولهذا لم يعتبره أبو حيان ولا غيره فناً مستقلاً من تلك الفنون، بل عدُّوه نتيجة تلك العلوم وحصيلتها.

(٢) وبها يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض. انظر: الإتقان للسيوطي: ٤/ ١٨٧.

(٣) هو يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي، أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة في القراءة، يقول أبو حاتم: كان أعلم من أدركنا ورأينا بالحروف والاختلاف في القرآن، توفي (٢٠٥ هـ). انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ١٥٧ - وغاية النهاية لابن الجزري: ٢/ ٣٨٦.

(٤) هو يزيد بن القعقاع، أبو جعفر المدني المخزومي، تابعي جليل، وأحد القراء العشرة،=

أحسن المصنفات فيه «الإقناع» لأبي جعفر بن الباذش[١]، وفي القراءات العشر كتاب «المصباح»[٢] لأبي كرم الشهرزوري.[٣][٤]

والنوع الثاني: **القراءات الشاذة**: وهي ما سوى ذلك، وسميت شاذة لعدم لستقامتها في اللفظ، وقد تكون فصيحة اللفظ، أو قوية المعنى.

شروط القراءة الصحيحة: وللقراءة الصحيحة ثلاثة شروط:

الأول: أن تكون موافقة لمصحف عثمان ﷺ.[٥]

=تصدَّر لإقراء القرآن دهراً، وثقه ابن معين وغيره، توفي (١٢٧ هـ). انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٧٢- وغاية النهاية لابن الجزري: ٢/ ٣٨٢.

ويعقوب الحضرمي ويزيد بن القعقاع هما من الثلاثة المكملين للعشرة، والثالث هو خلف البزار.

(١) هو أحمد بن علي بن أحمد بن خلف، أبو جعفر الباذش، محدث محقق ثقة، ألف كتاب الإقناع في القراءات، قيل: من أحسن الكتب في السبعة، توفي (٥٤٠ هـ). انظر: غاية النهاية لابن الجزري: ١/ ٨٣.

(٢) كتاب الإقناع مطبوع، أما كتاب المصباح فقد حقق الأخ إبراهيم الدوسري الأصول منه، وتقدم به إلى كلية أصول الدين بالرياض لنيل درجة الدكتوراه في القرآن وعلومه.

(٣) هو المبارك بن الحسن بن أحمد، أبو الكرم الشهرزوري البغدادي، إمام في القراءة، ثقة خيِّر، توفي (٥٥٠ هـ). انظر: معرفة القراء الكبار للذهبي: ١/ ٥٠٦ - غاية النهاية لابن الجزري: ٢/ ٣٨.

(٤) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١١ و١/ ١٩ - وتفسير أبي حيان: ١/ ١٦.

(٥) المقصود المصحف الإمام، وقد ذكر ابن الجزري في طيبة النشر شروط القراءة=

الثاني: أن تكون موافقة لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو في بعض اللغات.

الثالث: النقل المتواتر أو المستفيض.[(١)]

اختلاف القراء: والاختلاف بين القراء يكون في أحد أمرين:

الأول: في الأصول: وهو ما كان الاختلاف فيه لا يغير المعنى[(٢)]، ولها ثمانية قواعد:

الأولى: الهمزة، وهي في حروف المد الثلاثة، ويزاد فيها على المد

=الصحيحة، فذكر منها أن تكون القراءة موافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً. وهذا أدق لأن المصاحف العثمانية مختلفة فيما بينها، كما وقع الاختلاف في عددها. انظر: طيبة النشر لابن الجزري: ص ١٦٩ ضمن مجموع إتحاف البررة بالمتون العشرة.

(١) وهو المعبر عنه عند ابن الجزري بصحة السند، وإلى ذلك يشير في طيبة النشر له بقوله:

فكلُّ ما وافقَ وَجْهَ نَحْوِ ... وكان للرَّسْمِ احتِمَالاً يَحْوِي
وَصَحَّ إسناداً هو القُرآنُ ... فهذِهِ الثلاثةُ الأركانُ
وحَيثُما يَختَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتِ ... شُذُوذَهُ لو أنَّه في السَّبْعَةِ

انظر: طيبة النشر لابن الجزري: ص ١٦٩ ضمن مجموع إتحاف البررة بالمتون العشرة.

(٢) المراد بالأصول عند علماء القراءات، القواعد الكلية المطردة غالباً، يقول الإمام الشاطبي (قاسم بن فرو):

فهذي أُصولُ القَوْمِ حالَ اطِّرادِهَا ... أجابَتْ بعَوْنِ اللّهِ فانْتَظَمَتْ حُلا

انظر: حرز الأماني للشاطبي: ص ٣٨ ضمن مجموع إتحاف البررة بالمتون العشرة.

الطبيعي بسبب الهمزة والتقاء الساكنين.

الثانية: وأصلها التحقيق، ثم قد يخفف على سبعة أوجه: إبدال واو أو ياء أو ألف[١] وتسهيل بين الهمزة والواو، وبين الهمزة والياء، وبين الهمزة والألف، وإسقاط.[٢]

الثالثة: الإدغام، والإظهار، والإظهار هو الأصل.

والإدغام: يكون إما مثلين أو[٣] متقاربين، في كلمة أو كلمتين[٤]. وهو نوعان:

النوع الأول: إدغام كبير ويسمى الإدغام المتحرك، انفرد به أبو عمرو[٥].

---

(١) مثال الواو قوله تعالى ﴿يومنون﴾ [البقرة: ٣]، ومثال الياء ﴿بير﴾ [الحج: ٤٥]، ومثال الألف ﴿يالمون﴾ [النساء: ١٠٤].

(٢) أي إسقاط إحدى الهمزتين من كلمتين مثل ﴿جاء أمرنا﴾ [هود: ٤٠] و﴿من السماء أو﴾ [الأنفال: ٣٢].

(٣) الأولى أن يقال: وإما متقاربين، قال تعالى ﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾ [الإنسان: ٣].

(٤) في كلمة مثل ﴿يدرككم﴾ [النساء: ٦٨]، وفي كلمتين مثل ﴿اضرب بعصاك﴾ [الحجر:٦٠].

(٥) قيل سمي كبيراً لكثرة وقوعه وقيل غير ذلك، وهو أن يكون الحرف الأول منه متحركاً مثل قوله تعالى ﴿فيه هدى﴾[البقرة: ٢] و﴿طبع على﴾ [التوبة: ٨٧] النشر لابن الجزري: ١/ ٢٧٤- والإتقان للسيوطي: ١/ ٢٦٣.

النوع الثاني: إدغام صغير ويسمى إدغام الساكن، وهو لجميع القراء[١].

الرابعة: **الإمالة**، وهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء، والأصل الفتح، ويوجبها الكسرة والياء.

الخامسة: **الترقيق والتفخيم**، والحروف ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تفخم على كل حال، وهي حروف الاستعلاء السبعة[٢].

القسم الثاني: تفخم تارة وترقق تارة، وهي (الراء) أصلها التفخيم وترقق للكسر والياء،[٣] و (اللام) وأصلها الترقيق وتفخم لحروف

---

(١) وهو أن يكون الحرف الأول ساكناً. وانظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ٢٦٧.

(٢) وهي مجموعة في قولهم: خص ضغط قظ.

(٣) ترقق إذا كان قبلها ياء ساكنة ووقف عليها مثل ﴿قدير﴾ عند كل القراء، او كان قبلها ياء وهي مفتوحة فإنها ترقق عند ورش نحو ﴿قديراً﴾و ﴿بصيراً﴾ يقول ابن الجزري:

ورَقِّقِ الرَّاءَ إذا ما كُسِرتْ ... كذاك بَعْدَ الكسرِ حيثُ سَكَنْتَ

إنْ لم تَكُنْ من قَبلِ حرفِ استِعلا ... أو كانتِ الكسرةُ ليستْ أَصْلا

والخُلْفُ في ﴿فِرْقٍ﴾ لكَسْرٍ يوجَدُ ... وأَخْفِ تَكْرِيراً إذا تُشَدَّدُ

انظر: القصيدة الجزرية: ص ٣٧٣ ضمن مجموع إتحاف البررة بالمتون العشرة.

الإطباق[١]، و(الألف) وهي تابعة للترقيق والتفخيم لما قبلها.

القسم الثالث: ترقق على كل حال وهي سائر الحروف.

السادسة: الوقف، وهو على ثلاثة أنواع:

الأول: سكون جائز في الحركات الثلاثة.

الثاني: روم في المضموم والمكسور[٢].

الثالث: إشمام في المضموم خاصة[٣].

السابعة: مراعاة الخط في الوقف.

الثامنة: إثبات الياءات وحذفها.

---

(١) حروف الإطباق أربعة، يقول ابن الجزري: وصادُ ضادٌ وطاءُ وظاءٌ مُطْبَقَةٌ.....

انظر: القصيدة الجزرية: ص ٣٧٤.

(٢) الروم: هي حركة مختلسة مختفاة لضرب من التخفيف، وهي أكثر من الإشمام لأنها تسمع. انظر: الصحاح للجوهري (روم): ٥/١٩٣٨، ومثال الروم مع المضموم ﴿نستعين﴾، ومثاله مع المكسور ﴿الرحيم﴾.

(٣) الإشمام: ضمك شفتيك بعد سكون الحرف أصلاً، ولا يدرك معرفة ذلك الأعمى لأنه لرؤية العين لا غير. انظر: التيسير للداني: ٥٩، ومثاله: ﴿نستعين﴾.

الثاني في فرش الحروف:

وهو ما لا يرجع إلى أصل مطرد، ولا قانون كلي، وهو على وجهين:

اختلاف في القراءة باختلاف المعنى، واختلاف في القراءة باتفاق المعنى.[١]

الفن الثالث: أصول الفقه وما يتعلق به من معرفة الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، ودلالة الأمر والنهي، وفحوى الخطاب ولحن الخطاب، ووجوه التعرض، وأسباب الخلاف، وما أشبه ذلك مما هو من أصول الفقه ومن أدوات التفسير التي تعين على فهم المعاني، وترجيح الأقوال، إذ بأصول الفقه يعرف المفسر وجه الاستدلال والاستنباط، فهو إذاً نعم العون له.

الفن الرابع: النسخ:

وهو في اللغة: الإزالة والنقل[٢].

وفي الاصطلاح: رفع الحكم الشرعي بعد ما نزل[٣].

---

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١١ و١/ ١٩.

(٢) انظر: أساس البلاغة للزمخشري: ٦٢٩- ولسان العرب لابن منظور: ٣/ ٦١.

(٣) اختلف أهل العلم في تعريف النسخ اصطلاحاً والذي اختاره الأكثر واشتهر، هو التعريف الذي أطلقه ابن الحاجب بقوله: النسخ رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي=

وبه يعرف المفسر المحكم من غيره، وهو يتعلق بالأحكام لأنها محل النسخ إذ الأخبار لا تنسخ، ثم إن النسخ واقع في مواضع عديدة من القرآن على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: نسخ اللفظ والمعنى، كقوله: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم»[(١)].

الوجه الثاني: نسخ اللفظ دون المعنى، كقوله (الشيخ والشيخة إذا زنيا

=متأخر. انظر مختصر المنتهى مع شرحه للعضد: ٢/ ١٨٥. وعرفه فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين بقوله: هو رفع حكم دليل شرعي، أو لفظه بدليل من الكتاب والسنة. انظر: الأصول في علم الأصول لابن عثيمين: ٣٥- وانظر ما كتبه الدكتور سليمان اللاحم في مقدمته التي قدم بها تحقيق كتاب الناسخ والمنسوخ للنحاس: ١/ ١١١.

(١) رواه أحمد في المسند: ١/ ٤٧ بسند صحيح عن عمر - وانظر فواتح الرحموت: ٢/ ٧٣.

وهذا المثال فيه نظر، فلا زال من المقرر في الشريعة أن لا ينتسب الابن إلى غير أبيه، ولهذا ضرب ابن حزم في كتابه معرفة الناسخ والمنسوخ: ١٥٥ هذا المثال على النوع الثاني الذي هو نسخ الخط دون الحكم.

والمثال الذي يمكن ضربه لهذا النوع ما ذكرته عائشة رضي اللّه عنها: كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات، فنسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول اللّه ﷺ وهن مما يقرأ في القرآن. يعني وبعض الناس لا زال يقرؤها، ولم يعلم بنسخها. صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الرضاع، باب: التحريم بخمس رضعات: ١٠/ ٢٩ - وقد قال مكي: ولا أعلم له - أي لهذا المثال - نظيراً. الإتقان: ٢/ ٧٠٦ ط البغا - وانظر: ابن جزي ومنهجه في التفسير لمحمد علي الزبيري: ٢/ ٧٧٥ حاشية (٥).

فارجموهما البتة نكالاً من اللّه واللّه عزيز حكيم)[١].

الوجه الثالث: نسخ المعنى دون اللفظ. قال ابن جزي: وهو كثير منه في القرآن على ما عد بعض العلماء مائتا موضع وثنتا عشرة مواضع منسوخة، إلا أنهم عدوا التخصيص والتقييد نسخاً، والاستثناء نسخاً.

قال: وبين هذه الأشياء وبين النسخ فروق معروفة[٢].

وقد صنف الناس في الناسخ والمنسوخ تآليف يعد من أحسنها تأليف

---

(١) روى الزهري عن عبد اللّه عن ابن عباس قال: خطبنا عمر بن الخطاب - ﷺ - قال: كنا نقرأ: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة... الحديث، وروي ذلك عن غيره من الصحابة، وهي بألفاظ متفاوتة، أخرجها أحمد في المسند: ٥/ ١٨٣ - ومالك في الموطأ: كتاب الحدود، باب: ما جاء في الرجم: ٦٢٩، ط فؤاد عبد الباقي - وأوردها ابن حجر في الفتح: ٩/ ٦٥ - والهيثمي في المجمع: ٦/ ٢٦٥ عن العجماء، وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. وهي في الناسخ والمنسوخ للنحاس: ١/ ٤٣٥ تحقيق اللاحم. - وانظر الإتقان للسيوطي: ٢/ ٧١٨ ط البغا.

(٢) وقد اختلف القائلون بالنسخ في عدد المواضع التي وقع فيها النسخ بين مكثر ومقل، ويعد ابن جزي رغم هذا القيد الذي وضعه من المكثرين، فقد ذكر أن ما نسخ بآية السيف فقط بلغت مائة آية وأربع عشرة آية، وهو لا شك رقم عظيم إذا ما قورن بالسيوطي القائل بأنها على الأكثر إحدى وعشرون آية وقال: لا يصح دعوى النسخ في غيرها. وقد كتب الأستاذ مصطفى زيد كتابه القيم: النسخ في القرآن الكريم، فحرر القول في كل آية قيل إنها منسوخة. انظر: الإتقان: ٢/ ٧١٢.

القاضي أبي بكر ابن العربي.[(١)]

الفن الخامس: الحديث، وما هو منه من تعيين المبهم، وتبيين المجمل، وسبب النزول، والنسخ وغير ذلك، ويؤخذ ذلك من النقل الصحيح عن رسول اللّه ﷺ.

ويحتاج المفسر إلى رواية الحديث وحفظه لوجهين:

الأول: إن كثيراً من الآيات نزلت في قوم مخصوصين وبأسباب مخصوصة، كالتي نزلت في شأن حادثة أو نتيجة سؤال، ولهذا لا بد للمفسر من معرفة فيمن نزلت الآيات، وفيما نزلت، ومتى نزلت.

الثاني: أنه ثبت عن النبي ﷺ تفسير بعض القرآن، فلا يجوز تجاوز ذلك إلى قول غيره، لهذا لزم المفسر معرفة ذلك.

الفن السادس: القصص القرآني، وأخبار الأنبياء والسابقين التي ذكرها القرآن، كقصة موسى وفرعون، وقصة أصحاب الكهف، وذي القرنين وغيرهم.

فقد قرر العلماء أنه لا بد للمفسر من معرفة ما يتوقف عليه التفسير مما ثبت في الصحيح من تفاصيل تلك القصص، فهي إنما ضربت لما فيها من

---

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١٨ - وكتاب ابن العربي في النسخ مطبوع بتحقيق الدكتور عبد الكبير المعري.

الدروس والعبر والحكم، أما تلك التي يكون فيها إنقاص بمكانة الأنبياء عليهم السلام، مما هو من رواية بني إسرائيل فينبغي الإعراض عنها صفحاً.

ويلاحظ أن كثيراً من القصص والأخبار قد تكررت، وذلك لحكم منها:

الأول: أن في التكرار إضافات زائدة في مواطن لم توجد في غيرها(١).

الثاني: أن تلك الأخبار جاءت في مواطن على طريقة الإطناب، وفي مواطن على طريقة الإيجاز؛ وذلك لإظهار فصاحة القرآن(٢).

الثالث: أنه أريد من ذكر الأخبار مقاصد معينة، وتعددت القصص بتعدد تلك المقاصد، ومن المقاصد إثبات نبوة الأنبياء المتقدمين بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات، وذكر إهلاك من كذبهم، ومنها إثبات النبوة لمحمد ﷺ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا﴾[هود: ٤٩]، ومنها تسلية النبي ﷺ عن تكذيب قومه له بالتأسي بمن تقدم من الأنبياء ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن

(١) مثل قوله تعالى: ﴿فألقاها فإذا هي حية تسعى﴾ [طه: ٢٠]، وقال ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين﴾ [الشعراء: ٣٢] فالآيتان في عصا موسى، وذكر في الأولى أنها حية، وفي الثانية أنها ثعبان، يقول الزركشي: فائدته أن ليس كل حية ثعبان، وهذه عادة العرب. البرهان: ٣/ ٢٦.

(٢) انظر: البرهان للزركشي: ٣/ ٢٦.

قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ٣٤] ومنها تسليته ﷺ ووعده بالنصر كما نصر الأنبياء من قبله، وغير ذلك من أخبار الأنبياء التي حوت كثيراً من العجائب والمواعظ، ولكون هذه الأخبار تفيد فوائد عديدة ذكرت في مواطن كثيرة.(١)

الفن السابع: أصول الدين، والكلام على ما يجوز على اللّه، وما يجب له، وما يستحيل عليه، والنظر في النبوات وغيرها من أصول الدين، ويتعلق هذا الفن بالقرآن من جانبين:

الأول: ما ورد في القرآن من إثبات العقائد، وإقامة البراهين عليها، والرد على أصناف الكفار.

والثاني: أن طوائف المسلمين تحتج بالقرآن لمذهبها، وترد على مخالفيها، فمعرفة المفسر بهم توصله إلى التحقق والتثبت في القول.

وقد صنف العلماء من سائر الطوائف في هذا الفن كتباً عديدة، زلت فيها أقدام كثيرة.

الفن الثامن: علم اللغة، وهو من ألزم الفنون لطالب التفسير؛ يقول مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن باللّه واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب اللّه إذا لم

---

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١٠ - وينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣/ ٢٦-٣٠ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ١/ ٢١٥ (النوع الخامس والعشرون بعد المائة) تحقيق مصلح السامدي.

يكن عالماً بلغات العرب. وقال الإمام مالك: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب اللّه إلا جعلته نكالاً.[(١)]، فبها يعرف شرح الألفاظ ومدلولاتها، وفي كتاب اللّه مفردات عظيمة منها الغريب وغيره ما يلزم المفسر حفظه ومعرفته، من أفضل المصنفات التي اهتمت بهذا الفن كتاب ابن سيده[(٢)]، وكتاب «تهذيب اللغة» للأزهري[(٣)] و«الصحاح» للجوهري[(٤)]، وغيرها[(٥)].

الفن التاسع: أحكام القرآن، وما ورد فيها من الأوامر والنواهي،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية بنحوه: ٦/ ٣٢٢- والبيهقي في الشعب (ح ٣١٣-٢/ ٥٦٥)- وانظر الإتقان للسيوطي: ٤/ ١٨٢.

(٢) هو علي بن إسماعيل المرسي الضرير، المعروف بابن سيده، إمام في اللغة حافظ لها، وأحد من يضرب بذكائه المثل، له (المحكم والمحيط الأعظم) في اللغة، توفي (٤٥٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٨/ ١٤٤- ومرآة الجنان لليافعي: ٣/ ٨٣.

(٣) هو العلامة أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي، كان رأساً في اللغة والفقه، له تهذيب اللغة، وآخر في التفسير، توفي (٣٧٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٦/ ٣١٥ - ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٤/ ٣٣٤.

(٤) هو إسماعيل بن حماد التركي، إمام اللغة، وأحد من يضرب به المثل في ضبط اللغة، له كتاب الصحاح في اللغة، توفي (٣٩٣هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ٨٠ - ومرآة الجنان لليافعي: ٢/ ٤٤٦.

(٥) ومن المؤلفات فيه (الموعب في اللغة لأبي غالب تمام بن غالب القرطبي ت (٤٣٦هـ)، و(الجامع في اللغة) لمحمد بن جعفر القيرواني المعروف بالقزاز، ت (٤١٢هـ) وغير ذلك.

والمسائل الفقهية، قال بعض العلماء: آيات الأحكام في القرآن خمسمائة آية، وقد تزيد، وأشهر من صنف فيها تصنيفاً القاضي أبو بكر بن العربي، وأبو محمد بن الفرس(١).

الفن العاشر: علم النحو، ومعرفة الأحكام التي للكلم العربية، من جهة إفرادها ومن جهة تركيبها: نزل القرآن بلسان العرب فكان تعلُّم لسانها - الذي هو النحو - من آكد الضروريات للمفسر، لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، روي عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه.(٢)

---

(١) هو أبو محمد بن الفرس، واسمه عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الأنصاري، شيخ المالكية بغرناطة في زمانه، قيل أن كتابه من أفضل ما وضع في أحكام القرآن، توفي (٥٩٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٢١/ ٣٦٤- والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ٦/ ١٨٠.

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن: (ح ٧٤٣- ٣١٨) - وابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/ ٤٥٦- والبيهقي في الشعب: ٢/ ٥٧٣، وفي رواية عنده: «والتمسوا إعرابه»، وهي التي أوردها الماوردي في تفسيره: ١/ ١٩٢ تحقيق الدكتور محمد الشايع. - والخطيب البغدادي في تاريخه: ٨/ ٧٧- وابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء: ١/ ١٥- وأورده السيوطي في الجامع الصغير، ورمز لضعفه، وقال المناوي: ١/ ٥٥٨ قال الحاكم: ٢/ ٤٣٩: صحيح عند جماعة. فرده الذهبي فقال: مجمع على ضعفه، وتبعه العراقي فقال: سنده ضعيف. وقال الهيثمي: فيه متروك. وقال المناوي: فيه ضعيفان.

ومعنى إعرابه كما قال المناوي في الفيض القدير: ١/ ٥٥٨: أي تعرفوا ما فيه من بدائع=

روى ابن الأنباري عن أبي مُليكة قال: قدم إعرابي في زمان النبي ﷺ قال: فأقرأه رجل (براءة) فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣] بالجر [رسولِه]، فقال الأعرابي: أو قد برئ اللّه من رسوله؟ فإن يكن اللّه برئ من رسوله فأنا أبرأ منه.

فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال: يا أعرابي، أتبرأ من رسول اللّه ﷺ؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني، فأقرأني هذا سورة (براءة) فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾، فقلت: أو قد برئ اللّه من رسوله، إن يكن اللّه برئ من رسوله فأنا أبرأ منه؛ فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي؛ قال: فكيف يا أمير المؤمنين؟ قال ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ فقال الأعرابي: وأنا واللّه أبرأ مما برئ اللّه ورسوله.(١)

=العربية ودقائقها وأسرارها، وليس المراد الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، لأن القراءة مع اللحن ليست قراءة ولا ثواب له فيها. قال: والتمسوا غرائبه: أي ألفاظه التي يحتاج البحث عنها في اللغة. اهـ.

ويقول أستاذي الدكتور محمد الشايع: المراد بالإعراب هنا تبيين المعاني وإظهارها، وليس الإعراب بمفهوم النحاة كما استشهد به الماوردي، لأن الإعراب بهذا المفهوم لم يعرف إلا بعد زمن النبوة، فهو اصطلاح حادث. انظر: النكت والعيون للماوردي: ١/ ١٩٢ حاشية (٥) بتحقيق فضيلته.

(١) أورده القرطبي في تفسيره: ١/ ٢٤- وذكره أبو حيان: ١/ ٣٦٧ - وأورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه لابن الأنباري وابن عساكر: ٤/ ١٢٧ ط دار الفكر.

والنحو قسمان:

أحدهما عوامل الإعراب: وهي أحكام الكلام المركب.

والآخر التصريف: وهي أحكام الكلمات قبل التركيب.

ومن أحسن التصانيف في هذا العلم «الكتاب» لسيبويه، «وتسهيل الفوائد» لأبي محمد بن مالك الطائي، وأحسن التصانيف في التصريف كتاب «الممتع» لابن عصفور[1].

الفن الحادي عشر: الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان[2]، وكون

---

(١) هو علي بن مؤمن بن محمد النحوي، المعروف بابن عصفور، حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس، أقبل عليه الطلبة لتلقي النحو، وتصدر للتدريس في عدة بلاد، توفي (٦٦٥هـ) انظر: فوات الوفيات للكتبي: ٢/ ٩٣ - وشذرات الذهب لابن العماد: ٥/ ٣٣٠.

(٢) هذا الفن هو من أهم الفنون التي يحتاجها المفسر، وهو أعظم أركانه كما يقول الزركشي، فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز، وتأليف النظم، وغير ذلك.. ويقول في ذلك: واعلم أن معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة. البرهان في علوم القرآن: ١/ ٣١١. ويقول ابن خلدون: وأحوج ما يكون إلى هذا الفن المفسرون. المقدمة: ٥٥٢، وأكد أهل البلاغة أن إعجاز القرآن لا يدرك إلا به، فقال السكاكي في مفتاح العلوم: ٦٥٣: اعلم أن شأن الإعجاز عجيب، يدرك ولا يمكن وصفه. كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحة ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة، إلا التمرن في علمي المعاني والبيان. اهـ. وما يذكره المصنفون من=

اللفظ أو التركيب أحسن وفصح:

أما الفصاحة فلها خمسة شروط:

الأول: كون الألفاظ عربية أصيلة.

الثاني: كونها مستعملة متداولة غير مستثقلة.

الثالث: وفاء العبارة للمعنى، وأن لا تكون قاصرة عن البيان.

الرابع: سهولة العبارة، وخلوها من التعقيد(١).

الخامس: سلامة العبارة من حشو الكلام وفضول القول.

وأما البلاغة: فقد عرفها ابن جزي بقوله: هي سياق الكلام على ما يقتضيه الحال والمقال من الإيجاز والإطناب، ومن التهويل، والتعظيم، والتحقير، ومن التصريح والكناية والإشارة وشبه ذلك، بحيث يهز النفوس ويؤثر في القلوب، ويقود السامع إلى المراد أو يكاد(٢).

=ضرورة إلمام المفسر بأدوات البيان كلها - والتي ستمر بنا بعد قليل - أمر فيه تكلف واضح، ومبالغة ظاهرة، فليست كل تلك الأدوات والفنون من لوازم عمل المفسر، ولا أنه يتعين عليه معرفتها والإلمام بها. والله أعلم.

(١) التعقيد أن يشبك المتكلم طريقك إلى المعنى، ويوعر مذاهبك نحوه حتى يقسم فكرك ويشعب قلبك. قاله البرقوقي. انظر شرح البرقوقي على التلخيص للقزويني: ٣٢.

(٢) وبمثل تعريف ابن جزي عرفه القزويني غير أنه أضاف قيد الفصاحة فقال: البلاغة في=

وأما **أدوات البيان**، فهي صناعة البديع، وهو تزيين الكلام كما يزين القلم الثوب. قال ابن جزي: وجدنا منها في القرآن اثنين وعشرين نوعاً وهي[(١)]:

الأول: المجاز، وهو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة بينهما[(٢)]، وهو اثنا عشر نوعاً: التشبيه[(٣)]، والاستعارة[(٤)]، والزيادة، والنقصان، وتشبيه المجاور باسم مجاوره، والملابس باسم ملابسه، والكل،

=الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته. التلخيص في علوم البلاغة للقزويني: ٣٣.

(١) الأنواع التي ذكرها ابن جزي تشمل الفنون الثلاثة، فمنها ما يتعلق بعلم المعاني كالتتميم والتكرار والاستطراد، ومنها ما يتعلق بعلم البيان كالمجاز بأنواعه، ومنها ما يتعلق بعلم البديع كالتجنيس والمطابقة.

(٢) عرف الجرجاني المجاز بقوله: كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول.

ويقول القزويني: هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته. أسرار البلاغة للجرجاني: ٢٨٥ ط المنار - والتلخيص لعلوم البلاغة للقزويني: ٢٩٤.

(٣) التشبيه: الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى، والمراد هنا ما لم تكن على وجه الاستعارة بالكناية والتجريد. انظر: التلخيص في علوم البلاغة للقزويني: ٢٣٨ - والإتقان للسيوطي: ٢/ ٧٧٣ وفيه تعريفات أخرى.

(٤) عرفها ابن أبي الأصبع بقوله: الاستعارة تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح الجلي. بديع القرآن: ١٨.

وإطلاق اسم الكل على البعض، وإطلاق اسم البعض على الكل، والتسمية باعتبار ما يستقبل، والتسمية باعتبار ما مضى.

حكم المجاز، اختلف العلماء في وقوع المجاز في القرآن، فمنعه فريق، وأباحه أهل اللغة والأصول، وقالوا: إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليبهم، ومن عادة فصحاء العرب، وبلغائهم استعمال المجاز في بيانهم[1].

قال ابن جزي: ولا وجه لمن منعه، لأن الواقع منه في القرآن أكثر من

---

(١) ذهب كثير من العلماء إلى وقوع المجاز في اللغة والقرآن، وأنكره آخرون، وأشهر من قال بعدم وقوع المجاز في القرآن شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، ومن المعاصرين الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وألف رسالة أسماها (منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز)، وحجتهم أن المجاز أخو الكذب، والقرآن منزه عنه، وأن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز تقسيم حادث لم يتكلم به الصحابة ولا التابعون، ولا أئمة اللغة المشهورون كمالك والشافعي والثوري وأبي حنيفة وسيبويه والخليل. كما أشار الشنقيطي في رسالته السابقة إلى أن القائلين بالمجاز يجمعون على أن كل مجاز يجوز نفيه، قال: ولا شك أنه لا يجوز نفي شيء من القرآن. كما بين أن المعطلة إنما تصل إلى أغراضها عن طريق المجاز، فتقول: لا يد ولا استواء ولا نزول.. وهي عندهم مجازات. وردَّ بعض الشواهد التي قيل إنها مجاز إلى أنها أسلوب من أساليب العرب.

قال ابن قدامة: ومن منع كابر، ومن سلَّم وقال: لا أسميه مجازاً فهو نزاع في عبارة لا فائدة في المشاحة فيه.

انظر: روضة الناظر: ٦٣ - والإتقان للسيوطي: ٢/ ٧٥٣ - ومنع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز للشنقيطي: ٧ في آخر أضواء البيان - وأسباب اختلاف المفسرين للدكتور محمد الشايع: ٥٩ نقلاً عن اختلاف المفسرين للدكتور سعود الفنيسان..

أن يحصى.

الثاني: الكناية، وهي العبارة عن الشيء بما يلازمه من غير تصريح[(١)].

الثالث: الالتفات[(٢)]، وهو على ستة أنواع: خروج من التكلم إلى

---

(١) وعرفها القزويني: بأنها لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادته معه. التلخيص في علوم البلاغة: ٣٣٧ وعرفها ابن أبي الأصبع بقوله: الكناية عبارة عن تعبير المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن. بديع القرآن: ٥٣

والكناية نوع من أنواع المجاز عند بعض العلماء، كالتشبيه والاستعارة وغيرها من أنواع المجاز. انظر شرح البرقوقي على التلخيص: ٣٣٨، وانظر الإتقان للسيوطي: ٢/ ٧٧٠ و٧٨٩

(٢) وهو نقل الكلام من أسلوب لآخر. ومن فوائده كما يقول السيوطي في الإتقان: ٢/ ٩٠٢ - ٩٠٥: تطرية الكلام، وصيانة السمع من الضَّجر والمَلال لما جُبِلَت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد. وأمثلته من التكلم إلى الخطاب قوله تعالى: ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون﴾ [يس: ٢٢]، ومثال الخروج من التكلم إلى الغيبة قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك اللّه﴾ [الفتح: ١-٢]، والأصل (لنغفر لك). ومثال من الخطاب إلى التكلم، قال السيوطي: لم يقع ذلك في القرآن ثم قال: وقد مثل له بعضهم بقوله ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ [طه: ٧٢] قال: وهذا لا يصح لأن شرط الالتفات أن يكون المراد به واحداً. ومثاله من الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وَجَرَيْنَ بهم﴾ [يونس: ٢٢]، والأصل «بكم». ومثاله في الغيبة إلى التكلم قوله ﴿واللّه الذي أرسل الرياح فتُثِيرُ سحاباً فسُقْناه﴾ [فاطر: ٩]. ومثاله من الغيبة إلى الخطاب قوله تعالى:=

الخطاب، وخروج من التكلم إلى الغيبة، وخروج من الخطاب إلى التكلم، وخروج من الخطاب إلى الغيبة، وخروج من الغيبة إلى التكلم، وخروج من الغيبة إلى الخطاب.

الرابع: **التجديد**، وهو ذكر شيء بعد اندراجه في لفظ عام متقدم. ويقصد منه تعظيم المجدد ذكره أو تحقيره، أو رفع الاحتمال.

الخامس: **الاعتراض**، وهو إدراج كلام بين شيئين متلازمين، وإدخاله في أثناء كلام متصل، كالخبر والمخبر عنه، والصفة والموصوف، والمعطوف والمعطوف عليه. ويقصد منه تأكيد الكلام الذي أدرج فيه.

السادس: **التجنيس**، وهو اتفاق اللفظ مع اختلاف المعنى. والاختلاف قد يكون في الحروف والصيغة، أو في الحروف خاصة، أو في أكثر الحروف لا في جميعها، أو في الخط لا في اللفظ، وهو جناس التصحيف.

السابع: **الطباق**، وهو ذكر الأشياء المتضادة، كالسواد والبياض، والحياة والموت، والليل والنهار،(١) وغير ذلك.

الثامن: **المقابلة**، وهو أن يجمع بين شيئين فصاعداً، ثم يقابلهما بأشياء أخر.

=﴿وقالوا اتخذ الله ولداً لقد جئتم شيئاً إدّاً﴾ [مريم: ٨٨-٨٩].

(١) وتسمى المطابقة، وعرفه القزويني بقوله: الجمع بين متضادين أي معنيين متقابلين في الجملة، كقوله تعالى ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود﴾ [الكهف: ١٨]. التلخيص: ٣٤٨ - وانظر الإتقان للسيوطي: ٢/ ٩٣٣.

التاسع: المشاكلة، وهي أن تذكر الشيء بلفظ آخر لوقوعه في صحبته[١].

العاشر: الترديد، وهو رد الكلام على آخره، ويسمى في الشعر رد العجز على الصدر.[٢]

الحادي عشر: لزوم ما لا يلزم، وهو أن تلتزم قبل حروف الرويّ حرفاً آخر، وكذلك عند رؤوس الآيات.

الثاني عشر: القلب، وهو أن يكون الكلام يصلح ابتداء قراءته من أوله وآخره، نحو «دعد»، أو تعكس كلماته فتقدم المؤخر، وتؤخر المقدم[٣].

الثالث عشر: التقسيم، وهو أن تقسم المذكور إلى أنواعه وأجزائه[٤].

---

(١) وبمثله عرفه القزويني في التلخيص: ٣٥٦ ومثال المشاكلة قول الشاعر:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه   قلت اطبخوا لي جُبَّة وقميصا

(٢) ذكر القزويني أن رد العجز على الصدر يكون في الشعر والنثر. وعرف الترديد بقوله: أن تجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها. انظر: التلخيص للقزويني: ٣٩٣.

(٣) وقد عرفه البرقوقي في شرحه على التلخيص: ٤٠٤، فقال: هو أن يكون الكلام بحيث إذا قلبت حروفه لم تتغير قراءته، كقول القائل:

مودته تدوم لكل هول   وهل كل مودته تدوم

(٤) ومثاله قوله تعالى ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل=

الرابع عشر: التتميم، وهو أن تزيد في الكلام ما يوضحه ويؤكده وإن كان مستقلاً دون هذه الزيادة.

الخامس عشر: التكرار، وهو أن تضع الظاهر موضع المضمر، فتكرر الكلمة على وجه التعظيم أو التهويل، أو مدح المذكور أو ذمه أو للبيان.

السادس عشر: التهكم، وهو إخراج الكلام عن مقتضاه إستهزاء بالمخاطب أو بالخبر، وكذلك بالبشارة في موضع النذارة.

السابع عشر: اللف والنشر، وهو أن تلف في الذكر شيئين فأكثر، ثم تذكر متعلقات بها، وفيه طريقتان:

الأول: أن تبدأ في ذكر المتعلقات بالأول.

الثاني: أن تبدأ بالآخر، وتؤخر المتعلقات(١).

=وسارب بالنهار﴾ [الرعد: ١٠]، وقد عرفه القزويني بقوله: التقسيم ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين. التلخيص: ٣٦٤ وقال ابن أبي الأصبع: إنه عبارة عن استيفاء المتكلم جميع أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئاً. بديع القرآن: ٦٥.

(١) قال القزويني: اللف والنشر: هو ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال، ثم ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه. التلخيص: ٣٦١- وانظر الإتقان للسيوطي: ٢/ ٩٢٩ ومثاله قوله تعالى: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ [القصص: ٧٣] أي لتسكنوا في الليل وتبتغوا من فضله أي في النهار.

الثامن عشر: الجمع، وهو أن تجمع بين شيئين فأكثر في خبر واحد، وفي وصف واحد.

التاسع عشر: الترصيع، وهو أن تكون الألفاظ في آخر الكلام مستوفية الوزن، أو متقاربة مع الألفاظ التي في أوله.

العشرون: التسجيع، هو أن تكون كلمات الآي على رويٍّ واحد.

الحادي والعشرون: الاستطراد، وهو أن يتطرق من كلام إلى كلام آخر بوجه يصل ما بينهما، ويكون الكلام الثاني هو المقصود، كخروج الشاعر من السب إلى المدح، بمعنى يتعلق بالطرفين، مع أنه قصد المدح.

الثاني والعشرون: المبالغة، وقد تكون بصيغة الكلمة نحو صيغة (فعّال) (ومفعال)، وقد تكون بالمبالغة في الأخبار أو الوصف، فإن اشتدت المبالغة فهو غلوٌّ وإغراب، وذلك مستكره عند أهل الشأن.(١)

وأجمع الكتب في هذا الفن هو كتاب «منهاج البلغاء وسراج الأدباء»

---

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٢١- وعرَّف السيوطي المبالغة أن يذكر المتكلم وصفاً فيزيد فيه حتى يكون أبلغ في المعنى الذي قصده وهي ضربان، مبالغة بالوصف يخرج إلى حد الاستحالة ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ [النور: ٣٥]، ومبالغة بالصيغة بشتى صيغ المبالغة «فعلان» و«فعيل» و«فعَّال» و«فَعُول» و«فَعِل». الإتقان للسيوطي: ٢/ ٩٣١.

لأبي حسن حازم بن محمد الأندلسي الأنصاري[١].

الفن الثاني عشر: التصوف[٢]: يقول ابن جزي: له تعلق بالقرآن لما ورد فيه من المعارف الإلهية ورياضة النفوس وتنوير القلوب، وتطهيرها باكتساب الأخلاق الحميدة، واجتناب الأخلاق الذميمة.[٣]

---

(١) هو حازم بن محمد بن حسن بن حازم القرطاجي، أديب عالم في البلاغة واللغة والعروض، قيل: لم يجمع أحد من علم اللسان ما جمع، توفي (٦٨٤هـ) انظر: بغية الوعاة للسيوطي: ١/ ٤٩١ تحقيق أبو الفضل- شذرات الذهب لابن العماد: ٥/ ٣٨٧.

(٢) لم أجد من سماه هذه التسمية عدا ابن جزي، والأفضل تسميته بعلم الموهبة كما فعل الزركشي والسيوطي، فإن التصوف أصبح علماً على طائفة عليها الكثير من المآخذ، يقول الزركشي: اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره، وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حبُّ الدنيا، أو هو مصرٌّ على ذنب، أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق... البرهان: والإتقان: ٢/ ١٢١٢.

(٣) هذا الباب مأخوذ برمته من مقدمة ابن جزي: ١/ ١٠ - ١٤، مع إضافات قليلة من مقدمة البحر لأبي حيان: ١/ ١٤-١٧- وقد بحثه السيوطي في الإتقان: ٢/ ١٢٠٩.

وقد تحدث الزمخشري في مقدمته عن جملة من نعوت متعاطي التفسير، وهو الموضوع الوحيد الذي تعرض له، ولم أفصل الحديث عنه كباقي المفسرين لكون غالب ما ذكره من الصفات والنعوت عام يشمل كل علم وليست نعوتاً يختص بها المفسر، لقد بين الزمخشري أنه لا يجوز لكل واحد تعاطي علم التفسير (إلا رجل برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقيب عنهما أزمنة، وبعثه على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة اللّه، وحرص على استيضاح معجزة رسول اللّه ﷺ بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعاً بين أمرين تحقيق وحفظ، كثير المطالعات طويل المراجعات، قد رجع زماناً ورُجِعَ إليه،=

الفن الثالث عشر: معرفة الألفاظ التي يقتضي الإيجاز استعمالها في تفسير كتاب اللّه:

وهذا الفن ذكره ابن عطية، وهو حقيق بذكره، فقصد الإيجاز قد يسوق المفسر إلى أن يقول: خاطب اللّه بهذه الآية المؤمنين. وشرف اللّه بالذكر الرجل المؤمن من آل فرعون، وحكى اللّه عن أم موسى أنها قالت ﴿قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١] ونحو ذلك من إسناد أفعال إلى اللّه تعالى لم يأت إسنادها بتوقيف من الشرع.

وفي هذه المسألة خلاف، حيث ذهب الأصوليون إلى عدم جواز استعمال ذلك، ولا ما جرى مجراها.

واستعملها المفسرون والمحدثون والفقهاء، كما استعملها أبو المعالي الجويني في كتابه الإرشاد.[(١)]

=وردّ وردّ عليه، فارساً في علم الإعراب، مقدّماً في حملة الكتاب [قيل لعله كتاب سيبويه]، وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها، مشتعل القريحة وقادها، دراً [مشرقاً] كاللمحة وإن لطف شأنها، منتبهاً على الرمزة [الإشارة] وإن خفي مكانها، لا كزاً جاسياً[صلباً]، ولا غليظاً جافياً، متصرفاً ذا دربة بأساليب النظم والنثر، مرتاضاً [ليناً]غير ريض [صعب] بتلقيح بنات الفكر، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف، وكيف ينظم الكلام ويرصف، طالما دفع إلى مضايقة، ووقع في مضاحضة ومزلقة. الكشاف للزمخشري: ١/ ١٧ - ١٨.

(١) قال محمد بن عباد في رسائله الكبرى: وقد رأيت في مواضع من كتبكم شيئاً أريد أن=

وقد ذهب ابن عطية إلى جواز استعمالها، لكونها مستعملة في لسان العرب، غير أنه تحفَّظ من ذلك في تفسيره قدر جهده.

والعرب تستعمل ذلك وتحمله على المجاز، ومن ذلك قول أم سلمة - رضي الله عنها -: (فعزم الله لي)[1] في حديث موت أبي سلمة، وإبدال الله لها منه برسول الله ﷺ .

=أنبهكم عليه وهو أنكم تقولون فيها: حكى الله عن فلان، وحكى عن فلان كذا، وقد يقع مثل هذا في كلام الأئمة، وهذا عندي ليس بصواب من القول: لأن كلام الله تعالى صفة من صفاته، وصفات الله قديمة، فإذا سمعنا الله يقول كلاماً عن موسى عليه السلام مثلاً، وعن فرعون أو أمة من الأمم فلا يقال: حكى الله عنهم؛ لأن الحكاية تؤذن بتأخرها عن المحكي، وإنما يقال في مثل هذا: أخبر الله تعالى، أو أنبأ، أو كلام معناه هذا مما لا يفهم من مقتضاه تقدم ولا تأخر. انظر تفسير ابن عطية، ١/ ٦٣ حاشية(١)

(١) إشارة إلى الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه: ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللّهم أجرني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها. صحيح مسلم، كتاب: الجنائز، باب: ما يقال عند المصيبة: ٢/ ٦٣٣.

الموضوع الثاني عشر

مراتب المفسرين

بحث هذا الموضوع في مقدمة تفسيره ابن جرير الطبري[(١)]، والبغوي[(٢)]، وابن عطية[(٣)]، والقرطبي[(٤)]، والخازن[(٥)]، وابن جزي[(٦)]، وأبو حيان[(٧)]، وابن كثير[(٨)].

لقد نزل القرآن الكريم بلسان العرب، وعلى أساليب لغتهم، وفنون كلامهم، ففهموه في الجملة، وما استعصى على بعضهم فهمه منه أو استشكل، اهتدوا إليه بمعرفتهم بأحوال التنزيل وأسبابه وظروفه، فإن تعذر فهمه رجعوا إلى رسول الله ﷺ الذي أوتي القرآن وبيانه يستوضحون المشكل، فيبين لهم ﷺ ما استشكل عليهم فهمه.

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٨٠.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٣٤.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ٢٩.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٣٥.

(٥) انظر: تفسيره: ١/ ٦.

(٦) انظر: تفسيره: ١/ ١٦.

(٧) انظر: تفسيره: ١/ ٢٥.

(٨) انظر: تفسيره: ١/ ١٣.

وقد تباين الصحابة - رضوان اللّه عليهم - في قدراتهم العلمية، وميولهم المعرفية، كما تفاوتوا في اهتماماتهم، فكان منهم الملازم لرسول اللّه ﷺ في حلّه وترحاله، كأبي هريرة وابن عباس، وغيرهما - رضي اللّه عنهم - ممن أعطى جُلَّ اهتمامه لتلقف ما ينطق به متلقي الوحي ﷺ، وكان منهم من هو دون ذلك. ولهذا تباينوا - رضي اللّه عنهم- في معرفتهم، فاشتهر منهم ثلة بالعلم وسلامة الفهم مع كثرة الرواية، حفظوا للأمة دينها وحديث رسولها، وكانوا كالإخاذ، يروي الواحد ويروي الاثنين، ولو ورد عليه الناس أجمعون لأصدرهم، كما قال مسروق(١).

والناظر في الآثار المروية عنهم يدرك عظيم حرصهم على التلقي والتعلم، وترجمة ذلك إلى العمل، روى الطبري بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كان الرجل منا إذا تعلَّم عشر آيات لم يجاوزهنَّ حتى يعرف معانيهنَّ، والعمل بهنَّ.(٢)

وروى أبو عبد الرحمن السلمي، قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم

---

(١) أورده القرطبي في تفسيره: ١/ ٣٥ وقال: ذكره ابن الأنباري في الرد على من خالف مصحف عثمان.

والإخاذ عند العرب: الموضع الذي يحبس الماء كالغدير. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ١/ ٢٨.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٨٠، وقال أحمد شاكر: صحيح موقوف على ابن مسعود - وأورده ابن كثير في تفسيره: ١/ ١٣.

كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلّفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً.(١)

وكان الرجل منهم إذا سعى في طلب العلم وتعلم، جدّ فيهم وسما، ونال المراتب العليا، وقد روي أن عليَّ بن أبي طالب ذَكَر جابر بن عبد اللّه ووصفه بالعلم، فقال رجل: جُعلت فداك تصف جابراً بالعلم وأنت أنت؟ فقال: إنه كان يعلم تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥].(٢)

ومن الصحابة الذين اشتهروا في التفسير خاصة ثلة حرصت على فهم كتاب اللّه، وتكلمت فيه بما سمعته من رسول اللّه ﷺ أو اهتدت إليه من إعمال الفكر على ضوء اللغة وأحوال التنزيل، كالخلفاء الأربعة(٣) وعبد اللّه بن عباس، وعبد اللّه بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد اللّه بن عمرو بن العاص، وغيرهم.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٨٠، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح متصل. - وأورده ابن كثير في تفسيره: ١/ ١٣ - وهو في سير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ٤٩٠.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٢٦ - وتفسير أبي حيان: ١/ ٥٧ تحقيق د/ عبد السميع حسنين.

(٣) ذكر أهل العلم أن سبب قلة الرواية عن الخلفاء في التفسير يعود إلى تقدم وفاتهم، وعظيم انشغالهم بأمور المسلمين، ومتطلبات الولايات، وأمور الجهاد والفتوحات وغيرها. وانظر الإتقان: ١/ ١٢٢٧.

وأكثر من نقل كلامه في التفسير من الخلفاء علي بن أبي طالب ﷺ فهو صدر المفسرين كما يقول ابن عطية، والمؤيد فيهم، عن عامر بن واثلة[1] قال: شهدت علي بن أبي طالب - ﷺ- يخطب فسمعته يقول في خطبته: سلوني فواللّه لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثتكم به، سلوني عن كتاب اللّه، فواللّه مامن آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل نزلت أم في جبل.[2]

ولهذا ما كان عبد اللّه بن عباس يفتأ يرجع إلى علي يتلقى عنه التفسير ويقول: ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب[3].

ويلي علياً في الرتبة عبد اللّه بن عباس، حبر الأمة وترجمان القرآن الذي كان لدعاء الرسول ﷺ له بالفقه في الدين أبلغ الأثر، فقد قال فيه ﷺ يوماً: اللّهم علّمه الكتاب.[4] وقال فيه: اللّهم فقهه في الدين.[5]

---

(١) هو عامر بن واثلة بن عبد اللّه الليثي الكناني، يكنى أبا الطفيل، كان عالماً فارساً صادقاً شاعراً، وهو آخر من رأى رسول اللّه ﷺ وفاةً، عمر طويلاً، توفي (١٠٧ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣/ ٤٦٧- و٤/ ٤٦٧- وتاريخ بغداد للخطيب: ١/ ١٩٨

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٢/ ٢٤١ - وأبو نعيم في الحلية: ١/ ٦٧ - وذكره القرطبي: ١/ ٣٥ - وهو في الإتقان للسيوطي: ٢/ ١٢٢٧.

(٣) أورده ابن عطية في تفسيره: ١/ ٣٠ - وابن جزي في تفسيره: ١/ ١٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، باب: قول النبي ﷺ: اللّهم علمه الكتاب: ١/ ٢٧.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الوضوء، باب: وضع الماء عند الخلاء: ١/ ٤٥ ==

وحسبك من هذه دعوة.

لقد تجرد ابن عباس لتفسير كتاب اللّـه، وأخـذ للأمـر عدّتـه، وكملـه وتتبعه، وتبعه العلماء عليه، كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما، فكان المحفوظ عنه ﷺ أكثر من غيره، والناظر في الآثار المروية فيه يعلم عظيم قدره عند أصحاب النبي ﷺ خاصة، وعند التابعين عامة، حتى أولئك الذين تلقى ابن عباس العلم عنهم شهدوا له بعلوّ الكعب، والرسوخ في العلم، وأثنوا على علمه وفضله، وحضوا الصحابة والتابعين على الأخذ عنه،[1] كعلي بن أبي طالب ﷺ الذي كان يقول: ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق.[2]

وقد كان ابن عباس حريصاً على الاستفادة من أصحاب محمد ﷺ، لإدراك ما فاته من العلم أيام صغره، فما منعه تحرجه أو خشيته يوماً من

=وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل عبد اللّه بن عباس: ٤/ ١٩٢٧ بلفظ: اللّهم فقّهه.

وأخرجه الإمام أحمد بلفظ: اللّهم فقّهه في الدين وعلّمه التأويل. المسند: ١/ ٢٦٦- ٣١٤- ٣٢٨

وما ورد من دعاء رسول اللّه ﷺ لابن عباس بالحكمة ونشر العلم والبركة كثير جداً، ينظر في ذلك حلية الأولياء لأبي نعيم: ١/ ٣١٥ وما بعده – وسير أعلام النبلاء للذهبي: ٣/ ٣٣٤ – ٣٣٩ – والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٣/ ١٢٨٧ تحقيق خالد اللاحم.

(١) انظر: تفسير البغوي: ١/ ٣٤ – وابن عطية: ١/ ٣٠ – وابن كثير: / ١٣.

(٢) أورده ابن عطية في تفسيره: ١/ ٢٩ – والقرطبي: ١/ ٣٥ – وابن جزي: ١/ ١٦.

لقاء من عنده شيء من العلم عن رسول اللّه ﷺ، سمع أن عمر بن الخطاب يعلم شيئاً لا يعلمه هو، وهو الحريص على المعرفة، غير أن الخشية والرهبة من خليفة رسول اللّه ﷺ كانت تمنعه من السؤال، إلى أن انتهز الفرصة يوماً وسأل حتى عرف الجواب، يقول ﷺ في ذلك: مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين تظاهرا على رسول اللّه ﷺ ما يمنعني إلا مهابته، فسألته فقال: هي حفصة وعائشة.(١)

ولإدراك الخلفاء مكانة ابن عباس العلمية فقد كانوا يسندون إليه المهام العلمية، وكان حريصاً على أدائها بأفضل صورة، روى الطبري بسنده عن شقيق بن سلمة قال: استعمل عليٌّ ابنَ عباس على الحج، قال: فخطب الناس خطبة لو سمعها الترك والروم لأسلموا، ثم قرأ عليهم سورة (النور) فجعل يفسرها.(٢)

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٢٦ - والأثر أخرجه الإمام أحمد في المسند: ١/ ٣٤٠ ط شاكر، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.- وهو في البخاري ومسلم، بلفظ (سنة) مطولاً في عدة مواضع.

صحيح البخاري، كتاب: التفسير (سورة التحريم)، باب: تبتغي مرضاة أزواجك: ٦/ ٩٦ - وباب: وإذ أسر: ٦/ ٧٠ - ٦/ ٧١ - وفي اللباس، باب: ما كان النبي ﷺ يتجوزه من اللباس: ٧/ ٤٦ - ومسلم في صحيحه، كتاب: الطلاق، باب: في الإيلاء واعتزال النساء: ٢/ ١١١٠ • - وأورده ابن كثير في تفسيره: ٨/ ١٩١.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٨١ - وانظر الدر المنثور للسيوطي: / ١٢٤ ط دار الفكر.

وعنه قال: قرأ ابن عباس سورة البقرة فجعل يفسرها، فقال رجل: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت.(١)

ولهذا كان ابن مسعود ومسروق يقولان: نعم ترجمان القرآن ابن عباس.(٢)

قال ابن تيمية: هذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود أنه قال هذه العبارة، وقد مات ابن مسعود ﷺ سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح، وعمر بعده ابن عباس ستاً وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود؟!(٣)

ويتلو رتبة ابن عباس عبد الله بن مسعود، الذي قال عنه تلميذه مسروق: وجدت أصحاب رسول الله ﷺ كالإخاذ وإن عبد الله بن مسعود من تلك الإخاذ(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٨١ و١/ ٨٢ بنحوه، والخبران ذكرهما ابن حجر في الإصابة: ٤/ ٩٣- وأوردهما ابن كثير في تفسيره: ١/ ١٣.

(٢) أخرجه الطبري بسنده عن ابن مسعود: ١/ ٩٠ - وأورده ابن عطية في تفسيره: ١/ ٣٠، وهو في حلية الأولياء لأبي نعيم: ١/ ٣١٦ - صفوة الصفوة لابن الجوزي: ١/ ٧٤٩ - وانظر كذلك مجمع الزوائد للهيثمي: ٩/ ٢٧٦- ٢٨٥.

(٣) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٩٧ - وقد أورده ابن كثير في تفسيره: ١/ ١٣.

(٤) أورده القرطبي في تفسيره: ١/ ٣٥ - وابن الجوزي في صفة الصفوة: ١/ ٤٠٣ وقد سبق قبل قليل.

وروى الطبري بسنده عن مسروق عن عبد اللّه أنه قال: والذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب اللّه إلا وأنا أعلم فيم نزلت؟ وأين نزلت؟ ولو أعلم مكان أحد أعلم مني بكتاب اللّه تناله المطايا لأتيته.

وفي رواية عن المنهال بن عمرو[1] بنحوه.[2]

وعن مسروق قال: كان عبد اللّه - يعني ابن مسعود - يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها، ويفسرها لنا عامة النهار.[3]

وتتلمذ على الصحابة رضوان اللّه عليهم نخبة من التابعين، حرصوا على ملازمة صحابة رسول اللّه ﷺ الذين شاهدوا التنزيل، ووقفوا على أحواله التي أحاطت به، فسمعوا منهم ما سمعوه من رسول اللّه ﷺ، وما توصلوا إليه باجتهادهم لما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، فبرز من التابعين جماعة كانوا صلة بين من قبلهم ومن بعدهم، بلغوا ما سمعوه من الأمانة، وما فاتهم مما لم يسمعوه، أعملوا الفكر

---

(١) هو المنهال بن عمرو الأسدي، روى عن أنس بن مالك وغيره، وثقه ابن معين وغيره، وقال ابن حزم: ليس بالقوي، توفي سنة بضع عشرة ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ١٨٤ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١٠/ ٣١٩.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٨٠ - وأورده القرطبي في تفسيره بنحوه: ١/ ٣٥- وابن تيمية في مقدمته: ٩٦ - والذهبي في السير: ١/ ٤٢٧ - وابن كثير: ١/ ١٣ - وهو في الفتح: ٩/ ٤٠.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٨١.

واجتهدوا فيه. كالحسن البصري، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعلقمة[١]، وعكرمة، وعطاء، وقتادة، وأبو العالية، وزيد بن أسلم، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، ومقاتل، وغيرهم.

وكان أحسنهم كلاماً في التفسير كما يقول ابن عطية الحسن البصري، ثم مجاهد رفيق ابن عباس وتلميذه وملازمه، والذي قرأ عليه القرآن والتفسير قراءة تفهم ووقوف عند كل آية[٢]. روى الطبري بسنده عن ابن أبي مليكة قال: رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول له ابن عباس: اكتب. قال: حتى سأله عن التفسير كله.[٣]

وعن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أُوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها.[٤]

---

(١) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي، فقيه الكوفة ومقرئها، ولد في حياة النبي ﷺ وهاجر في طلب العلم، وروى عن جمع من الصحابة، توفي (٦٢هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٥٣- والبداية والنهاية لابن كثير: ٨/ ٢١٧.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٣٠.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٩٠ – وانظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ١٠٣ – وأورده ابن كثير في مقدمته: ١/ ١٥.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٩٠ – وأبو نعيم في الحلية: ٣/ ٢٧٩ – وهو في سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٤٥٠ – وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١٠/ ٤٣ – وأورده ابن عقيلة في الزيادة والإحسان: ٣/ ١٣٢٩ تحقيق خالد اللاحم.

وتحقق لمجاهد بصحبته لابن عباس وملازمته له مكانة سامية عند أهل العلم من أهل زمانه ومن بعده، ولهذا يقول سفيان الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك.(١)

وقد تضمنت كتب الرواية بعض الأخبار في قلة من التابعين كأبي صالح باذان، والسدي، تظهر الطعن في تفسيرهم، ومن ذلك ما رواه الطبري عن زكريا قال: كان الشعبي يمر بأبي صالح باذان فيأخذ بأذنه فيعركها ويقول: تفسر كتاب القرآن وأنت لا تقرأ القرآن.(٢)

وعن صالح بن مسلم قال: مر الشعبي(٣) على السدي وهو يفسر

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٩١ - وذكره ابن تيمية في مقدمته: ٣٧ و١٠٣ وقال: ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري، وغيرهما من أهل العلم، وكذلك الإمام أحمد وغيره ممن صنف في التفسير، يكرر الطرق عن مجاهد أكثر من غيره.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٩١ قال أحمد شاكر: باذان تابعي ثقة، ومن تكلم فيه فإنما تكلم لكثرة كلامه في التفسير. وأحال إلى تعليقه على المسند ٣/ ٣٢٣ ح ٢٠٣٠. وفيه حديث طويل عن باذان وقد نقل كلام الأئمة فيه. وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٣٠٨ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١/ ٤١٧.

(٣) هو عامر بن شراحيل بن عبد، الشعبي الحميري، روى عن جمع من الصحابة، وأدرك خمسمائة صحابي، توفي قبل الحسن بيسير، وتوفي الحسن سنة (١١٠هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب: ١٢/ ٢٢٧ - ووفيات الأعيان لابن خلكان: ٣/ ١٢.

فقال: لأن يضرب على إستك بالطبل خير لك من مجلسك هذا.[١]

يقول ابن عطية: وأما السدي فكان عامر الشعبي يطعن عليه وعلى أبي صالح باذان لأنه كان يراهما مقصرين في النظر[٢].

وتبرير ابن عطية لم يلقَ القبول عند المهتمين بسيرة الرجال ودراسة أحوالهم، ولهذا أنكر عليه القرطبي مقولته وقال معترضاً عليه: قال يحيى بن معين: الكلبي ليس بشيء. وعن يحيى بن سعيد القطان[٣]قال: قال الكلبي: قال أبو صالح: كل ما حدثتك كذب. وقال حبيب بن أبي ثابت: كنا نسميه الدرو غزن. وهو الكذاب بلغة الفرس.[٤]

مهما يكن فقد استطاع السلف رضوان اللّه عليهم أن يجردوا الصحيح من الدخيل، ويميزوا الصحيح منه والسقيم.

وقد حمل تفسير كتاب اللّه تعالى عدول كل خلف، شهد لهم رسول

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٩٢.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٣٠.

(٣) هو يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي القطان، يكنى أبا سعيد، ولد (١٢٠هـ) سيد الحفاظ، ومن سادات أهل زمانه ورعاً وفهماً وديناً، قال ابن المديني: ما رأيت أعلم بالرجال منه. توفي (١٩٨هـ). انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي: ١/ ٢٩٨ - وتاريخ بغداد للخطيب: ١٤/ ١٥٣.

(٤) انظر تفسير القرطبي: ١/ ٣٦.

اللّه ﷺ بأنهم أئمة أعلام، حفظوا الشريعة من التحريف والانتحال «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».(١) فألف في التفسير عبد الرزاق والمفضل، وسلمة بن عاصم ت ٣٠٠هـ، وعلي بن طلحة(٢)، والبخاري وغيرهم.

وتتابع الناس، وانتشر الإسلام، وضعفت اللغة بدخول الأعاجم، وازدادت الحاجة لأهل العلم وبيانهم، فدخل عصر التصنيف، وقيض اللّه تعالى لكتابه رجالاً بالحق ناطقين، صنفوا في سائر علومه المصنفات، وجمعوا فنونه المتفرقات، كلٌّ على قدر فهمه، ومبلغ علمه،(٣) يقول أبو حيان: لما فسد اللسان، وكثرت العجم، ودخل الإسلام أنواع الأمم، المختلفو الألسنة، والناقصو الإدراك، احتاج المتأخرون إلى إظهار ما انطوى عليه كتاب اللّه تعالى من غرائب التركيب، وأنواع المعاني، وإبراز النكت البيانية، حتى يدرك ذلك من لم تكن في طبعه، ويكتسبها من لم تكن نشأته عليها، ولا عنصره يحركه إليها، بخلاف الصحابة والتابعين من العرب، فإن ذلك كان مركوزاً في طباعهم، يدركون تلك المعاني كلها، من غير موقف ولا

---

(١) تفسير القرطبي: ١/ ٣٦ - وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد من عدة طرق: ١/ ٥٩.

(٢) هو علي بن طلحة بن كردان الواسطي، تلميذ أبي علي الفارسي، عمل إعراباً للقرآن في بضعة عشر مجلداً، ثم غسله قبل موته، توفي (٤٢٤هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٧/ ٤٢٧- وبغية الوعاة للسيوطي: ٢/ ١٧٠.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٣١ - وتفسير القرطبي: ١/ ٣٥ - وتفسير الخازن: ١/ ٣.

معلم، لأن ذلك هو لسانهم وخطتهم وبيانهم، على أنهم كانوا يتفاوتون في الفصاحة والبيان.[(١)]

وكان أبرز من صنف في التفسير الإمام ابن جرير الطبري، الذي جمع أقوال المفسرين، وأحسن النظر فيها، وقرب البعيد، وشفا الإسناد.

كما صنف أبو بكر النقاش كتابه غير أنه استدرك عليه أمور، ثم مكي بن أبي طالب، ثم الماوردي، وأبو العباس المهدوي وكان متفنن التأليف، حسن الترتيب، جامع فنون علوم القرآن[(٢)].

يقول ابن جزي: ثم جاء القاضيان أبو بكر بن العربي، وأبو محمد عبد الحق بن عطية فأبدع كل واحد وأجمل، واحتفل وأكمل.

فأما ابن العربي فصنف «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن، فلما تلف تلاه بكتاب (قانون التأويل) إلا أنه اخترمته المنية قبل تخليصه وتلخيصه.

وأما ابن عطية فإنه أجلّ من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير، وكتابه من أحسن التآليف وأعدلها، فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة،

---

(١) انظر: تفسير أبي حيان: ١/ ٢٥.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٣٠ - ٣٢ - وتفسير القرطبي: ١/ ٣٥ - وتفسير ابن جزي: ١/ ١٦.

مسدد النظر، محافظ على السنة. اهـ[١].

ومن المفسرين الذين اشتهروا أيما اشتهار، وطار اسمهم وذاع صيتهم أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، فهو مسدد النظر، بارع في الإعراب، متفنن في علم البيان، إلا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشرهم، وحمل آيات القرآن على طريقهم، فتكدر صفوه وتمرر حلوه، يؤخذ منه ما صفا، ويدع ما كدر.[٢]، يقول أبو حيان عنه وعن ابن عطية بأنهما: قد اشتهرا ولا كاشتهار الشمس، وخلدا في الأحياء وإن هَمَدا في الرمس، وكلاهما فيه ما يدل على تقدمهما في علوم، من منثور ومنظوم، ومنقول ومفهوم، وتقلُّب في فنون الآداب، وتمكُّن من علمي المعاني والإعراب إلى أن قال: وكتابهما في التفسير قد أنجدا وأغارا، وأشرقا في سماء هذا العلم بدرين وأنارا، وتنزلا من الكتب التفسيرية منزلة الإنسان من العين، والذهب الإبريز من العين، ويتيمة الدر من اللآلي، وليلة القدر من الليالي، فعكف الناس شرقاً وغرباً عليهما...[٣]

---

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١٦ - ١٧.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١٧.

(٣) انظر: تفسير أبي حيان: ١/ ٢٠.

الموضوع الثالث عشر

الاختلاف بين المفسرين وقواعد الترجيح

هذا الموضوع يتكون من مسألتين:

المسألة الأولى: الاختلاف بين المفسرين، وقد بحثها ابن جزي من بين المفسرين في مقدمة تفسيره.[١]

المسألة الثانية: قواعد الترجيح عند المفسرين: وقد بحثها ابن جزي[٢]، وابن جرير الطبري[٣]، والماوردي[٤]، وابن كثير.[٥]

المسألة الأولى: أسباب الاختلاف بين المفسرين [٦]:

---

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١٥.

(٢) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ١٥.

(٣) انظر مقدمة ابن جرير: ١/ ٧٨.

(٤) انظر تفسير الماوردي: ١/ ٣٨.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ١/ ١٢.

(٦) إن الناظر في التفاسير التي بين أيدينا يلاحظ للوهلة الأولى الاختلاف والتباين بين أقوال المفسرين في بيان وتفسير اللفظة القرآنية الواحدة، وهو أمر قد يكون اعتيادياً إذا أخذنا بعين الاعتبار أن رسول الله ﷺ لم يفسر القرآن كله، وأن سعة معاني اللسان العربي الذي نزل به القرآن، تعطي للناظر فيه معاني عديدة للكلمة الواحدة، كما أن القدرات=

ذكر ابن جزي أنها اثنا عشر سبباً للاختلاف بين المفسرين[(١)]:

=العقلية لأهل العلم متفاوتة، وكذا قدراتهم العلمية، كل هذه كانت من الدواعي التي أدت إلى اختلاف المفسرين. وهو اختلاف قديم وأكثره اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، كما يقول أهل العلم. وقد كثر ذلك عند المشتغلين بالتفسير من المتأخرين حتى عدل بعضهم عن المنقول الثابت في التفسير عن سلف الأمة، بل قد تجد من يفسر شيئاً من كلام اللّه وقد سبق فيه قول الصادق المصدوق، فلم يطلع عليه، أو ربما لم تصح عنده، أو غير ذلك، - وسيأتي في قواعد الترجيح بيان ذلك - ينظر في هذا الإتقان للسيوطي: ٢/ ١٢٠٠ - هذا وقد بحث العلماء هذه المسألة وكتب فيها أناس منهم كتابات خاصة، وأشار إليها الآخرون ضمن بعض مصنفاتهم، والتأليف الخاص لبيان أسباب الاختلاف كان لدى المتأخرين أكثر من المتقدمين، ومن أولئك فضيلة الشيخ الدكتور سعود الفنيسان، الذي خصص رسالته العلمية للدكتوراه في هذا الموضوع وكان عنوانها (اختلاف المفسرين، أسبابه وآثاره)، كما كتب فضيلة الدكتور فهد الرومي كتاباً أسماه (بحوث في أصول التفسير ومناهجه) بحث فيه هذا الموضوع وكذلك ما كتبه أستاذي المشرف فضيلة الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع بعنوان (أسباب اختلاف المفسرين) وهذا الأخير رجعت إليه واعتمدته في هذه المسألة، وضربت الأمثلة على المسائل منه.

(١) أوصلها فضيلة الدكتوز الشايع في رسالته (أسباب الاختلاف) إلى عشرين سبباً بزيادة ثمانية على ابن جزي، فقد اعتبر يحفظه اللّه الدوافع أسباباً، فجعل التعصب المذهبي سبباً، وجعل الاختلاف العقدي سبباً، كما أضاف الاختلاف في الاستثناء بأنواعه، والاختلاف في معاني الحروف، وإغفال دلالة سياق الآية، والاختلاف في مفهوم عصمة الأنبياء، والاختلاف في مرجع الضمير، واحتمال وجود الحذف. انظر: أسباب اختلاف المفسرين: ٣٥ ويعنى بأسباب الاختلاف تلك الأسباب المقبولة التي يعذر القائل في التفسير بموجبها، ويكون مأجوراً عليها إذ يكون مجتهداً، ساعياً لإصابة القول، والوقوف على مراد اللّه، ولا ضير على المفسرين من الاختلاف فيها أو عدم إصابة الحق، فهي=

الأول: اختلاف القرآن(١).

الثاني: اختلاف وجوه الإعراب، وإن اتفقت القراءات(٢).

=يؤيدها إما نص من كتاب أو سنة، أو أثر عن سلف، أو قول إمام، أو أن اللغة تجوزها ولو من بعض الوجوه.

(١) والمقصود اختلاف القراءات، فالقراءتان كالآيتين يعمل بهما جميعاً إذا كانتا معتبرتين، كما يقول ابن الجزري، ويقول ابن تيمية: إن القراءتين كالآيتين، فزيادة القراءات كزيادة الآيات. [مجموع الفتاوى: ١٣/ ٤٠٠ - والنشر لابن الجزري: ١/ ٥١]، ويقصد بالقراءات هنا التي يتغير بموجبها المعنى، فتكون سبباً للاختلاف، وكثيراً ما يستعين المفسرون بالقراءة الشاذة - التفسيرية - لبيان المعاني، كقراءة السيدة عائشة في قوله تعالى ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ [البقرة: ٢٣٨]، قرأت (والصلاة الوسطى صلاة العصر) [مختصر شواذ القراءات لابن خالويه: ١٥]، يقول فضيلة الدكتور محمد الشايع: إن اختلاف القراءات من أوسع أسباب اختلاف المفسرين، وأكثرها أمثلة. اهـ. ومن الأمثلة التي ضربها لهذا السبب، قوله تعالى: ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ [التكوير: ٢٤] فقد ورد في ﴿بضنين﴾ قراءتان سبعيتان، فقرئ (بظنين) بالظاء، بمعنى: بمتهم، أي ما هو بمتهم على الوحي أنه من اللّه. وقرىء ﴿بضنين﴾ بالضاد، بمعنى: ببخيل. يقول: لا يبخل محمد ﷺ عليه بما آتاه اللّه من العلم والقرآن، ولكن يرشد بعلم، يؤدي عن اللّه عز وجل. فاختلفت الدلالة باختلاف القراءتين، وإن صح في النهاية نفي الوصفين من بخل واتهام عن رسول اللّه ﷺ [أسباب اختلاف المفسرين: ٣٩ - وانظر القراءة في حجة القراءات لابن زنجلة: ٧٥٢].

(٢) يقرر الماوردي أن اختلاف وجوه الإعراب قد يختلف بموجبه المعاني، ويقول في ذلك: إن كان اختلافه - أي الإعراب - موجباً لاختلاف حكمه، وتغيير تأويله لزم العلم به في حق المفسر والقارئ ليتوصل المفسر إلى معرفة حكمه. [النكت والعيون:١/ ٣٨]=

الثالث: اختلاف اللغويين في معنى الكلمة(١).

الرابع: اشتراك اللفظ في معنيين فأكثر(٢).

الخامس: احتمال العموم والخصوص(٣).

=والأمثلة على الاختلاف لهذا السبب كثيرة منها قوله تعالى ﴿وما يعلم تأويله إلا اللّه والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ [الأعراف: ٧]، فقد اختلف أهل العلم في الواو من قوله تعالى ﴿والراسخون في العلم﴾ فقيل: هي واو العطف فالراسخون يعلمون التأويل، وقيل: هي واو الاستئناف، فيكون من المتشابه، ومعرفة تأويله إلى اللّه. انظر: تفسير الطبري: ٦/ ٢٠٣ - والمكتفى في الوقف والابتداء لأبي عمرو الداني: ١٩٦ - وأسباب اختلاف المفسرين للدكتور محمد الشايع: ٧٢.

(١) ومثال هذا السبب قوله تعالى ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ [الفرقان: ٣٠]، فقد قيل في معنى ﴿مهجوراً﴾ أنهم هجروه بإعراضهم عنه فصار مهجوراً. وقيل: قالوا فيه هجراً، أي: قبيحاً. وقيل: إنهم جعلوه هجراً من الكلام، وهو ما لا نفع فيه من العبث والهذيان.

فقد اختلف في المعنى، والأول هو الأصح لكونه يعم المعاني الأخرى، والأقوال الأخرى وإن كانت صحيحة في دلالتها اللغوية إلا أنها بعيدة واللّه أعلم. انظر: أسباب اختلاف المفسرين للشايع: ٦٦.

(٢) والاشتراك أن يتحد اللفظ ويختلف المعنى، وهو واقع في الاسم والحرف والفعل، وقد ضرب الدكتور محمد الشايع أمثلة على كل حالة من الحالات الثلاثة، وأكتفي هنا بالمثال التالي، في قوله تعالى ﴿فرَّت من قسورة﴾ [المدثر: ٥١] فالقسورة في اللغة يراد به الرامي. وقيل: الأسد. وقيل: النبل. انظر: أسباب اختلاف المفسرين: ٢٢ و٧٨.

(٣) يقول فضيلة الدكتور محمد الشايع: وهذا النوع من الأسباب غالباً لا يكون الخلاف فيه في فهم معنى الآية، وإنما في الاستدلال بها، وتنزيلها على الأحداث والأشخاص. اهـ=

السادس: احتمال الإطلاق والتقييد(١).

السابع: احتمال الحقيقة والمجاز(٢).

=ثم ضرب لذلك أمثلة، منها قوله تعالى ﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب﴾ [آل عمران: ٣٩] اختلف في المراد بالملائكة، فقيل: جبريل وحده، فيكون عاماً مراداً به الخصوص. ويشهد لهذا قراءة علي وابن عباس وابن مسعود: «فناداه» بالإفراد، وهي قراءة حمزة والكسائي. [حجة القراءات لابن زنجلة: ١٦٢] وقيل: إن المنادي جماعة من الملائكة، فيبقى على عمومه. انظر: أسباب اختلاف المفسرين: ٥٠-٥١.

(١) يقول الزركشي: إن وجد دليل على تقييد المطلق صيِّر إليه، وإلا فلا، والمطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده.[البرهان: ٢/ ١٥] وأثر الإطلاق والتقييد يكون على الأحكام الفقهية غالباً كما يقرر الدكتور الشايع ذلك بقوله: الاختلاف في مثل هذا السبب غالباً يعود أثره على الأحكام الفقهية في الإطلاق والتقييد لا على معنى النص. اهـ، ومثاله قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾ [المائدة: ٦]، فقد قيدت الآية غسل الأيدي في الوضوء إلى المرافق، وأطلق المسح في التيمم ﴿فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ قيل: يحمل المطلق على المقيد هنا لاتحاد السبب، وإن اختلف الحكم. وذهب آخرون إلى أنه لا يحمل المطلق على المقيد لاختلاف الحكم وإن اتحد السبب فذاك غسل وهذا مسح. انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ٥٦.

(٢) ويعنى بالمجاز: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، لوجود قرينة تدل عليه. والحقيقة هو اللفظ المستعمل فيما وضع له. تفسير ابن جزي: ١/ وانظر: إرشاد الفحول للشوكاني: ٢١.

ومثال الاختلاف هنا قوله تعالى ﴿ والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في =

الثامن: احتمال الإضمار أو الاستقلال(١).

التاسع: احتمال الكلمة الزائدة(٢).

=الميزان﴾ [الرحمن: ٧] فقيل: عن الميزان: الآلة المعروفة. وقيل: إن المراد به العدل. وقيل: الميزان هو الحكم. وقيل: هو القرآن. فتفسير الميزان بالآلة المعروفة هو تفسير على الحقيقة، وغيرها من التفاسير هي تفاسير حملت المعنى على المجاز. انظر: تفسير الطبري: ٢٧/ ١١٨، وتفسير ابن كثير: ٥/ ٢٧١ - وأسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ٦٢.

(١) الإضمار: أن يخفي المتكلم في نفسه معنى ويريد من المخاطب أن يفهمه.

والاستقلال: إفادة المعنى المراد الملفوظ به منفرداً دون حاجة إلى تقدير. انظر: قواعد الترجيح للحربي: ١/ ٤٢٤، وأمثلة هذا السبب الآيات التي تضمنت أسماء اللّه وصفاته، فمذهب أهل السنة والجماعة إثبات صفات اللّه تعالى على ما يليق به سبحانه، من غير تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل، غير أن ثلة من المفسرين يؤولونها فيضمرون ويقدرون للكلام مضافاً محذوفاً، كما فعل القرطبي في قوله تعالى ﴿وجاء ربك﴾ [الفجر: ٢٢] قال: أي: أمره وقضاؤه، وهو من باب حذف المضاف. [تفسير القرطبي: ٢٠/ ٥٥]. والصحيح كما ذكرت إثبات صفة المجيء للّه، ولهذا قال ابن جرير في بيان تفسير الآية: وإذا جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفاً صفاً بعد صف. [تفسير الطبري: ٣٠/ ١٨٥.

(٢) وصورته أن ثلة من المفسرين يقولون عن بعض الحروف في القرآن أنها صلة - زائدة - في حين أن آخرين لا يرون ذلك، وعليه يكون الاختلاف، ومثاله قوله تعالى ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٧٦] قيل: (لا) هنا زائدة، وقيل: بل هي غير زائدة والمراد هنا نفي القسم، والمعنى: لست أقسم على ما ذكر لظهوره ووضوحه. انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ٩٠.

العاشر: احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير[١].

الحادي عشر: احتمال أن يكون الحكم منسوخاً أو محكماً[٢].

الثاني عشر: اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ وعن السلف

---

(١) الأصل في الكلام أن يبقى على ترتيبه ما لم يكن هناك داع لذلك. يقول النحاس: التقديم والتأخير إنما يكون إذا لم يجز غيرهما. اهـ. ويقول الرازي: إن الكلام إذا استقام من غير تغيير النظم لم يجز المصير إلى التقديم والتأخير. اهـ. انظر: القطع والإئتناف للنحاس: ١٧٥ - وتفسير الرازي: ١٢/ ١١٤.

وعليه فلا يلجأ إلى هذا الأسلوب إلا لضرورة، والضرورة قد يختلف في لزومها بعض المفسرين فيحملون الكلام على التقديم أو التأخير ويحدث الخلاف في بيان المعنى. ومثال ذلك قوله تعالى ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين..﴾ [البقرة: ١٨]. قدره بعضهم: كتب عليكم الوصية إذا حضر أحدكم الموت. والصحيح أن المراد قبل حضور الموت فلا حاجة للتقدير. انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ٨٥.

(٢) يقول فضيلة الدكتور محمد الشايع: الخلاف في هذا السبب أثره ظاهر في الأحكام. اهـ. أي: الأحكام القرآنية، ففي الوقت الذي يحكم فيه البعض بإحكام الآية تجد من يقول بأنها منسوخة، ولهذا يحدث خلاف كبير، ومثال هذا النوع قوله تعالى ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ [البقرة: ٢١٩] قيل: إنها محكمة غير منسوخة، وهي باقية في صدقة التطوع، أو أن المراد بالعفو الزكاة بعينها. وقيل: بل هي منسوخة بآية الزكاة. والأولى القول بإحكامها إذ لا تعارض. انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٢٠٠ - وأسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ٤٨.

رضي اللّه عنهم[١].

المسألة الثانية: قواعد الترجيح عند المفسرين[٢]:

ذكر ابن جزي اثنا عشر وجهاً - قاعدة - للترجيح بين أقوال المفسرين وهي:

الأولى: تفسير القرآن ببعض، فإذا دل موضع من القرآن على المراد

---

(١) لا يعدل عن الثابت من تفسير رسول اللّه ﷺ وتفسير أصحابه إلا صاحب بدعة أو هوى، أو عالم لم يبلغه الحديث، أو لم يثبت عنده، أو أنه فهم نصه فهماً خاصاً. ولهذه الأسباب قد يختلف المفسرون في تفسير شيء من كتاب اللّه، والمعول عليه هنا هو الثابت الذي صح نسبته.

وقد ضرب فضيلة الدكتور محمد الشايع مثال هذا السبب قوله تعالى ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ [الأنعام: ٨٢]، فالثابت عن السلف تفسير الظلم بالشرك، وقد ورد فيه نص عن رسول اللّه ﷺ عند البخاري وغيره. وذهب الزمخشري رغم هذا إلى تفسير الظلم بالمعصية التي تفسق، وأبى التعويل على التفسير الثابت عن رسول اللّه ﷺ بحجة أن لفظ «اللبس» يأبى ذلك. انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور محمد الشايع: ٤٥.

انظر في هذه المسألة - أسباب الاختلاف بين المفسرين - مقدمة ابن جزي: ١/ ١٥.

(٢) تعرَّف قواعد الترجيح بأنها: ضوابط وأمور أغلبية يتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب اللّه. انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ١/ ٣٢ تأليف: حسين علي الحربي، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٥هـ.

بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال[(١)].

الثانية: حديث النبي ﷺ: فإذا ورد عنه - عليه السلام - تفسير شيء من القرآن عوّلنا عليه، لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح[(٢)].

---

(١) وهذا لا خلاف فيه عند المفسرين وغيرهم، غير أن الأمر لا يدركه كل أحد، وهو موكل إلى المجتهدين فهم الذين يعرفون ويعلمون المواضع التي تدل على غيرها من الآيات. وقد اعتمد هذا جميع المفسرين، يقول ابن تيمية: أصح طرق تفسير القرآن هي تفسير القرآن بالقرآن. مقدمة في أصول التفسير: ٩٣.

ومثال ذلك ما ذكره الطبري في تفسير ﴿واصب﴾ من قوله تعالى: ﴿ولهم عذاب واصب﴾ [الصافات: ٩] حيث ذكر من الأقوال: الموجع وغيرها، ثم صرح بأن أولى الأقوال أن معناه: خالص. وذلك أن اللّه تعالى قال ﴿وله الدين واصباً﴾ [النحل: ٦] قال: فمعلوم أنه لم يصفه بالإيلام والإيجاع وإنما وصفه بالثبات والخلوص. انظر: تفسير الطبري: ٢٣/ ٤٠ - وانظر قواعد الترجيح للحربي: ١/ ٣١٥.

(٢) واعتبر هذه القاعدة أغلب المفسرين، كما اعتبروا الحديث الحسن، أما الضعيف فيعتبر مرجحاً إذا تعاضد مع وجوه أخرى للترجيح.

يقول ابن تيمية: ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى أقوال أهل اللغة، فإنه قد عرف تفسيره وما أريد بذلك من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم. اهـ.

ويقول ابن جرير في معرض حديثه عن وجوه تفسير القرآن: وهذا - أي الوجه الذي جُعل بيانه لرسول اللّه ﷺ - لا يجوز القول فيه إلا ببيان رسول اللّه ﷺ وتأويله بنص منه عليه أو بدلالة قد نصبها دالة أمته على تأويله. =

الثالثة: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين، فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه[1].

=انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٧٤ - ومجموع الفتاوى لابن تيمية: ١٣/ ٢٧ - وأضواء البيان للشنقيطي: ٢/ ٨٩ - وقواعد الترجيح للحربي: ١/ ١٩٦ - وقد اعتمد ذلك المفسرون في تفاسيرهم كالطبري: ١٧/ ١١١ - وابن عطية: ٥/ ٢١٤ ط المغرب - والقرطبي: ٢٠/ ١٦٠ - وأبو حيان: ١/ ٣١ ط دار الفكر ١٤١٢ - والشوكاني: ٢/ ٣٢٠ وغيرهم. ومن مثال القاعدة، قول القرطبي في تفسيره لسورة العاديات وبيان معنى ﴿لكنود﴾ [العاديات: ٦]، فقد قال بعد أن أورد الخلاف في معنى «الكنود»: قلت هذه الأقوال كلها ترجع إلى معنى الكفران والجحود، وقد فسر النبي ﷺ معنى الكنود بخصال مذمومة، وأحوال غير محمودة، فإن صح فهو أعلى ما يقال، ولا يبقى لأحد معه مقال. تفسير القرطبي: ٢٠/ ١٦٢.

(١) وقد اعتبر هذه القاعدة أئمة التفسير كابن عطية والرازي والقرطبي وغيرهم، يقول الشنقيطي: وقد تقرر في الأصول أن كثرة الرواة من المرجحات، وكذلك كثرة الأدلة، كما عقده في مراقي السعود في مبحث الترجيح باعتبار حال الراوي:

وكثرةُ الدليل والرواية مرجح لدى ذوي الدراية

انظر: أضواء البيان: ١/ ٢٩٨ - ونشر البنود في مراقي السعود لعبد الله الشنقيطي: ٢/ ٢٨٤.

وقد ذكر الحربي مثال هذه القاعدة قوله تعالى ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ [البقرة: ٦٥] حيث ذهب عامة المفسرين إلى أن المسخ في الآية كان مسخاً حقيقياً، معنوياً وصورياً. وذهب مجاهد إلى أن المسخ كان معنوياً لا صورياً. وهو قول خالف فيه مجاهد عامة المفسرين. يقول القرطبي عن قول=

الرابعة: أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة، وعبد الله بن عباس لقوله ﷺ:

«اللّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»(١).

الخامسة: أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب

=مجاهد: لم يقله غيره من المفسرين فيما أعلم. يريد أنه مرجوح لا يعتد به لكونه خالف جمهور المفسرين. انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٤٣ - وقواعد الترجيح للحربي: ١/ ٢٩٩.

(١) واعتمد هذه القاعدة جمهور المفسرين وأهل العلم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وبالجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك، بل مبتدعاً وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه... إلى أن قال: فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً. اهـ.

وقال ابن القيم: لا ريب أن تفسيرهم أصوب من أقوال من بعدهم، وذهب بعض أهل العلم إلى أن تفسيرهم في حكم المرفوع. اهـ. والأمثلة على هذه القاعدة كثيرة ومن ذلك ما قاله ابن جرير في تفسير قوله تعالى ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ [الأحقاف: ١٠] فقد ذكر تأويل الآية وبعض الأقوال ثم قال: غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ بأن ذلك عنى به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به...

انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية: ١٣/ ٣٦٢ - وإعلام الموقعين لابن القيم: ٤/ ١٥٣ وتفسير الطبري: ٢٦/ ١٢ - وقواعد الترجيح للحربي: ١/ ٢٧٥.

أو التصريف[١] أو الاشتقاق.[٢]

---

(١) يعرَّف التصريف بمعنين، المعنى العملي والمعنى العلمي، وهو في الاصطلاح العملي - كما ذكره الحربي في قواعد الترجيح -: تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها، كاسمي الفاعل والمفعول، واسم التفضيل والتثنية والجمع إلى غير ذلك.

وبالمعنى العلمي: علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء. انظر: قواعد الترجيح للحربي: ٢/ ٥١٤ - وشذا العرف: ١٩، والاشتقاق: رد لفظ إلى آخر لموافقته له في الحروف الأصلية ومناسبته في المعنى. انظر شرح الكوكب للفتوحي: ١/ ٢٠٦ - والتعريفات للجرجاني: ٤٩ - وقواعد الترجيح للحربي: ٢/ ٥١٤

(٢) وقد اعتمد القاعدة المفسرون وغيرهم، ورجحوا بموجبها بعض الأقوال كما ردوا بها أقوالاً أخرى لمخالفتها تصريف الكلمة، وقد سبق أن بينت عند الحديث عن العلوم التي يحتاجها المفسر أهمية فن الصرف بالنسبة للمفسر لكتاب اللّه، ومن الأمثلة على اعتماد المفسرين للقاعدة، قولهم في قوله تعالى ﴿إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً﴾ [الإسراء: ٢٥] فقد اختلف المفسرون في المراد بـ«الأواب»: فقال بعضهم: المسبحون. وقيل: المطيعون المحسنون. وقيل: الذين يصلون بين المغرب والعشاء. وقيل: الأواب: الراجع من ذنبه والتائب منه.

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الأواب: هو التائب من الذنب، الراجع من معصية اللّه إلى طاعته ومما يكرهه إلى ما يرضاه؛ لأن الأواب إنما هو (فعّال) من قول القائل: آب فلان من كذا إما من سفره إلى منزله، أو من حال إلى حال، كما قال عَبيد بن الأبرص:

وكل ذي غَيبة يؤوبُ ... وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ =

السادسة: أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله وما بعده(١).

السابعة: أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن فإن ذلك دليل على

=فهو يؤوب أوباً، وهو رجل آئب من سفره، وأواب من ذنوبه.

انظر: تفسير الطبري: ١٥/ ٧١ - وقواعد الترجيح للحربي: ٢/ ٥٢٠.

(١) وقد اعتبر هذه القاعدة أئمة العلم عموماً منهم الإمام أحمد بن حنبل والطبري والقرطبي والرازي وابن تيمية وابن كثير وغيرهم، يقول ابن تيمية في معرض حديثه عن نفاة الصفات ومثبتيها: إن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه، وما يحفّ به من القرائن اللفظية والحالية. انظر: مجموع الفتاوى: ٦/ ١٤.

ويقول الشنقيطي: ومن أنواع البيان التي تضمنها هذا الكتاب المبارك أن يقول بعض العلماء في الآية قولاً، ويكون في نفس الآية قرينة تدل على بطلان ذلك القول. انظر: أضواء البيان: ١/ ٧٥.

ومن الأمثلة على هذه القاعدة قوله تعالى ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً﴾ [المائدة: ٢٧]، قال بعض المفسرين: هما من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم لصلبه وإنما كان القربان في بني إسرائيل، وكان آدم أول من مات.

وقال الجمهور: إن الابنين كانا لآدم من صلبه، وهو ظاهر التلاوة، ويؤيد قول الجمهور قرينة في السياق هو قوله تعالى: ﴿فبعث اللّه غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه﴾ [المائدة: ٣١] يدل على أن الحادثة حدثت قبل أن يتعلم الناس دفن الموتى وذلك في عهد آدم. انظر: تفسير الطبري: ٦/ ١٨٩ - وأضواء البيان: ١/ ٧٦- ٢/ ٥٨ - وقواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ١/ ٣١١.

ظهوره ورجحانه(١).

الثامنة: تقديم الحقيقة على المجاز، فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصولين، وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون الأغلب استعمالاً من الحقيقة، ويسمى مجازاً، والحقيقة مرجوحة(٢).

---

(١) قال الحربي: وقد اعتمد هذه القاعدة عامة علماء الأمة ومنهم الإمام الشافعي وابن جرير الطبري وابن عطية والفخر الرازي، وابن تيمية، والزركشي، وابن الوزير، والشنقيطي، وغير هؤلاء. وخالف القاعدة المرجئة والصاوي في حاشيته على الجلالين.

يقول الفخر الرازي: إن صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل باطل بإجماع المسلمين. مفاتيح الغيب: ٣٠/ ٩٤، ويقول الزركشي: كل لفظ احتمل معنيين فهو قسمان: أحدهما: أن يكون أحدهما أظهر من الآخر فيجب الحمل على الظاهر إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي دون الجلي فيحمل عليه. البرهان في علوم القرآن: ٢/ ١٦٧. وبمثل ذلك قال الشنقيطي. انظر أضواء البيان: ٧/ ٤٣٨، وأمثلة ذلك غالب الآيات التي ظاهرها واضح معلوم. انظر: قواعد الترجيح للحربي: ١/ ١٤٣.

(٢) اعتبر هذه القاعدة أغلب العلماء القائلين بوقوع المجاز في القرآن ، كالطبري وابن عبد البر، والرازي، والسيوطي وغيرهم.

يقول أبو حيان: والحمل على الحقيقة أولى من ادعاء المجاز. البحر المحيط: ٢/ ٢٣٧.

ومعلوم أن ابن تيمية لا يقول بالمجاز، فجميع النصوص عنده تحمل على الحقيقة، وكذا تلميذه ابن القيم. ومثال ذلك في قوله تعالى ﴿والتين والزيتون﴾ [التين: ١] يقول ابن العربي: قيل: هو حقيقة، وقيل: بل عبر به عن دمشق، أو جبالها، أو مسجدها. ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل.

انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٤/ ٤١٤ ط محمد عطا ١٤٠٨ هـ- وقواعد الترجيح=

وقد اختلف العلماء أيهما يقدَّم، فمذهب أبي حنيفة تقديم الحقيقة لأنها الأصل ومذهب أبي يوسف تقديم المجاز الراجح لرجحانه، وقد يكون المجاز أفصح وأبرع فيكون أرجح[(١)].

التاسعة: تقديم العمومي على الخصوصي؛ فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص[(٢)].

العاشرة: تقديم الإطلاق على التقييد، إلا أن يدل دليل على التقييد[(٣)].

=للحربي: ١/ ٣٩٠.

(١) انظر: شرح الكوكب للفتوحي: ٣/ ٤٣٥ - والتعارض والترجيح للبرزنجي: ٢/ ١١٨.

(٢) هذه القاعدة أجمع السلف عليها، وسار عليها عامة المفسرين، وهي من القواعد المشتهرة، ومن الذين قالوا بها الإمام الشافعي، والطبري، ومكي بن أبي طالب، وابن العربي، والآلوسي، وغيرهم.

قال مكي: اعلم أن القرآن إذا أتت اللفظة منه تعم ما تحتها حملت على ذلك من عمومها - عند مالك وأصحابه - حتى يأتي ما يخصصها فتحمل عليه. الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: ١٠١؛ ومثال هذه القاعدة ما ذكره ابن العربي في قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد اللّه أن يذكر فيها اسمه﴾ [البقرة: ١١٤] فقد ذكر عدة أقوال في تعيين المسجد، إلى أن ذكر الرابع من الأقوال، فقال: إنه كل مسجد، وهو الصحيح؛ لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع، فتخصيصه ببعض المساجد، أو بعض الأزمنة محال. أحكام القرآن: ١/ ٥٠ - وانظر: قواعد الترجيح للحربي: ٢/ ٥٣٨.

(٣) يعرَّف المطلق بأنه المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه. =

الحادية عشرة: تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار(١).

=ويعرَف المقيد: بأنه المتناول لمعين، أو لغير معين، موصوف بأمر زائد على الحقيقة الشاملة لجنسه. روضة الناظر مع شرحها لبدران: ٢/ ١٩١؛ وهذه القاعدة شبيهة بقاعدة العموم والخصوص، وقد اعتمدها عامة أهل العلم، ومنهم الرازي، وابن جزي، والزركشي، وغيرهم.

قال الزركشي: إن وجد دليل على تقييد المطلق صير إليه، وإلا فلا، والمطلق على إطلاقه والمقيد على تقييده؛ لأن الله خاطبنا بلغة العرب، والضابط أن اللّه تعالى إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقاً نظر، فإن لم يكن له أصل يرد إليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به، وإن كان له أصل غيره لم يكن رده إلى أحدهما بأولى من الآخر. البرهان: ٢/ ١٥.

ومثاله قوله تعالى ﴿ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة: ١٨٥] اختلف أهل العلم في لزوم التتابع في هذه الأيام. فقيل: يلزم، وقيل: لا يلزم. والراجح أن اللّه تعالى أطلق في وجوب صيام عدة ما أفطر ولم يقيدها بتتابع. ينظر: تفسير ابن كثير: ١/ ٣١٢ - وأحكام القرآن للكياهراسي: ١/ ٦٦ - وقواعد الترجيح عند المفسرين للحربي: ٢/ ٥٦٤.

(١) يعرف الشيخ مناع القطان الاستقلال بقوله: إفادة المعنى المراد بالكلام الملفوظ به منفرداً دون حاجة إلى تقدير. انظر قواعد الترجيح للحربي: ٢/ ٤٢٤ نقلاً عن فضيلة الشيخ القطان رحمه اللّه.

والإضمار: هو أن يخفي المتكلم في نفسه معنى ويريد من المخاطب أن يفهمه. قواعد الترجيح للحربي: ٤٢٤ نقلاً عن الصواعق المرسلة: ٢/ ٧١٤. =

الثانية عشرة: حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير(١).

=وعرفه الكفوي بقوله: الإضمار ما ترك ذكره من اللفظ وهو مراد بالنية. انظر: الكليات: ٨٧٠.

وقد اعتمد القاعدة المفسرون والأصوليون، كالطبري، والرازي، وابن تيمية، وابن القيم، والزركشي، يقول الشنقيطي: اللفظ إذا دار بين الاستقلال والافتقار إلى تقدير، فالاستقلال مقدم؛ لأنه هو الأصل، إلا بدليل منفصل على لزوم تقدير المحذوف. أضواء البيان: ٤/ ١٣٧؛ ومن أمثلة هذه القاعدة ما ذكره ابن تيمية في معرض رده على من ادعى إضمار استفهام في قوله تعالى ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٩] قال ابن تيمية: وقد ظن بعض المتأخرين أن معناه: أفمن نفسك؟ وأنه استفهام... إلى أن قال: إضمار الاستفهام - إذا دل عليه الكلام - لا يقتضي جواز إضماره في الخبر المخصوص من غير دلالة فإن هذا يناقض المقصود، ويستلزم أن كل من أراد أن ينفي ما أخبر اللّه به يقدر أن ينفيه - بأن يقدر في خبره استفهاماً، ويجعله استفهام إنكار. مجموع الفتاوى: ١٤/ ٤٢١- ٤٢٢، وانظر: قواعد الترجيح للحربي: ٢/ ٤٢٣.

(١) نص المفسرون على هذه القاعدة واعتمدوها، منهم الطبري، وابن عطية، والزمخشري، وابن تيمية، وابن جزي والآلوسي وغيرهم. يقول أبو حيان: والتقديم والتأخير من ضرورات الشعر فينزه القرآن عن ذلك. البحر المحيط: ٢/ ٦٧٠.

ومثال القاعدة: قوله تعالى ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ [البقرة: ٩٦] قال الآلوسي في معرض رده على من قال بالتقديم والتأخير، قال: ولا أظن يقدم على مثل ذلك في كتاب اللّه من له أدنى ذوق؛ لأنه وإن كان المعنى صحيحاً في نفسه، إلا أن التركيب ينبو عنه، والفصاحة تأباه ولا ضرورة تدعو إليه، لا سيما على قول من يخص=

الثالثة عشرة: تقديم الحقيقة الشرعية على الحقيقة اللغوية(١).

الرابعة عشرة: تقديم الحقيقة العرفية على الحقيقة اللغوية(٢).

=التقديم والتأخير بالضرورة. روح المعاني: ١/ ٣٣٠ - وانظر: قواعد الترجيح للحربي: ٢/ ٤٦١. والقواعد الاثنا عشر أوردها ابن جزي وهي في تفسيره: ١/ ١٥-١٧.

(١) هذه القاعدة اعتمدها جمهور المفسرين والفقهاء وغيرهم، ومن المفسرين الذين اعتمدوها الفخر الرازي، وابن الوزير والآلوسي والشنقيطي وغيرهم.

يقول الشنقيطي: والمقرر في الأصول عند المالكية والحنابلة وجماعة من الشافعية أن النص إذا دار بين الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية حمل على الشرعية. أضواء البيان: ٣/ ١٠٠.

وقد ضرب الشيخ الحربي مثال هذه القاعدة قوله تعالى ﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون﴾ [فصلت: ٦-٧] فقد اختلف المفسرون في المراد من ﴿لايؤتون الزكاة﴾، فقيل: لا يعطون لله الطاعة التي تطهرهم وتزكي أبدانهم ولا يوحدونه. وقيل: الذين لا يقرون بزكاة أموالهم التي فرضها الله فيها ولا يعطونها أهلها.

يقول الحربي: وهذا - الأخير - هو الذي ترجحه القاعدة وذلك أن من حمل معنى الزكاة على تزكية وتطهير أنفسهم بفعل الطاعة حملها على أصل المعنى اللغوي لها وهو النماء والزيادة والطهارة والصلاح. قواعد الترجيح: ١/ ٤١١.

(٢) هذه القاعدة قررها علماء الأصول، وقد اعتبرها من المفسرين الماوردي والزركشي والشنقيطي وغيرهم، يقول الزركشي: إذا دار اللفظ بين اللغوية والعرفية فالعرفية أولى لطريانها على اللغة. البرهان: ٢/ ١٦٧، وضرب الشيخ الحربي مثال هذه القاعدة قوله تعالى ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل﴾ [التوبة: ٦٠] فقد اختلف المفسرون في المراد=

الخامسة عشرة: تقديم الحقيقة الشرعية على الحقيقة العرفية.

هذه القواعد الثلاثة ذكرها الماوردي في مقدمته، فقال في معرض حديثه عن الوجه الذي يرجع فيه إلى اجتهاد العلماء من تأويل القرآن أن اللفظ إذا احتمل معنيان أو أكثر وكانت المعاني جلية ظاهرة، واللفظ مستعمل فيها حقيقة فهذا على ضربين:

أحدهما: أن يختلف أصل الحقيقة فيها، فهذا ينقسم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يكون أحد المعنيين مستعملاً في اللغة، والآخر مستعملاً في الشرع فيكون حمله على المعنى الشرعي أولى من حمله على المعنى اللغوي؛ لأن الشرع ناقل.

والقسم الثاني: أن يكون أحد المعنيين مستعملاً في اللغة، والآخر مستعملاً في العرف فيكون حمله على المعنى العرفي أولى من حمله على معنى اللغة؛ لأنه أقرب معهود.

والقسم الثالث: أن يكون أحد المعنيين مستعملاً في الشرع والآخر

=من ﴿في سبيل اللّه﴾، فقيل: المراد بهم الغزاة، وقيل: الحجيج، وقيل: طلبة العلم. والراجح أن المراد بهم الغزاة؛ يقول ابن حجر في الفتح: قال ابن الجوزي: إذا أطلق ذكر سبيل اللّه فالمراد الجهاد... وقال ابن دقيق العيد: ﴿في سبيل اللّه﴾ العرف الأكثر فيه استعماله في الجهاد. فتح الباري: ٦/ ٥٦ - وأحكام القرآن لابن دقيق العيد: ٢/ ٢٤٧ - وقواعد الترجيح للحربي: ١/ ٤٢٠.

مستعملاً في العرف، فيكون حمله على معنى الشرع أولى من حمله على معنى العرف لأن الشرع ألزم[١].

---

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٩.

الموضوع الرابع عشر

الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن

اهتم المفسرون بموضوع الأحرف السبعة اهتماماً بالغاً، وعالجوها معالجة جادة في مقدماتهم، وكان أكثر من توسع في ذلك شيخ المفسرين ابن جرير الطبري[(١)]، كما تناوله الماوردي من غير توسع مكتفياً بذكر بعض الأقوال[(٢)]، أما ابن عطية فقد فصَّل القول، وتعرض للآراء في الموضوع، وناقش ابن جرير في بعض أقواله[(٣)]، وكذا القرطبي[(٤)]، والخازن[(٥)].

وفي هذا الموضوع عدة مسائل:

المسألة الأولى: ذكر بعض الآثار الواردة في نزول القرآن على سبع أحرف[(٦)].

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٢١ - ٦٨.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٢٨.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ٣٣.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٤١ - ٥٢.

(٥) انظر: تفسيره: ١/ ١١.

(٦) الأحاديث والآثار الواردة في الأحرف السبعة خرجها الأئمة في كتبهم ومصنفاتهم، ولا تكاد تجد كتاباً معتبراً في جمع الآثار إلا ذكر طرقاً وروايات لحديث الأحرف السبعة،=

جاء النقل الصحيح بروايات كثيرة، من طرق مختلفة عن نزول القرآن على سبعة أحرف، روى ذلك عدد من الصحابة، ومن ذلك:

أخرج البخاري ومسلم والطبري عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام[(١)] يقرأ سورة (الفرقان) في حياة رسول

=وقد أفرده بعض المتقدمين والمتأخرين بتآليف مستقلة، فكتب أبو عمرو الداني كتابه الأحرف السبعة، وكتب أبو شامة كتابه المرشد الوجيز، ومن المتأخرين كتب الشيخ مناع القطان كتابه نزول القرآن على سبعة أحرف، وكتب الدكتور عبد العزيز القارئ حديث الأحرف السبعة، كلها مطبوعة متداولة.

وقد روى حديث الأحرف السبعة جمع غفير من الصحابة ومن التابعين، بطرق وأسانيد كثيرة حتى اعتبره أبو عبيد من الأحاديث المتواترة، وقد ذكر السيوطي أن القاضي أبا يعلى أخرج في مسنده عن عثمان بن عفان أنه قال يوماً وهو على المنبر: أذكّر اللّه رجلاً سمع النبي ﷺ قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف. لما قام، فقاموا حتى لم يحصوا، فشهدوا بذلك، فقال: وأنا أشهد معهم.

والحديث أورده الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٥٢ وقال: رواه أبو يعلى في الكبير وفيه راو لم يسم. اهـ. وذكره البقاعي في مصاعد النظر: ١/ ٤٠٤ وعزاه إلى الحارث بن أسامة، وأبي يعلى في مسنديهما بسند منقطع. والسيوطي في الإتقان: ١/ ١٤٥ وعزاه لأبي يعلى. وقد بحثت عنه في مسنده ولم أهتد إليه.

وانظر: حديث الأحرف السبعة للدكتور عبد العزيز القارىء: ٥٢.

(١) هو هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي، أسلم يوم الفتح، ومات قبل أبيه حكيم، كان من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر: ٣/ ٥٩٣ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١١/ ٣٧.

اللّه ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول اللّه ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة، فتربصت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها؟ قال: أقرأنيها رسول اللّه ﷺ. فقلت: كذبت، فإن رسول اللّه ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول اللّه ﷺ فقلت: يا رسول اللّه إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأنيها!؟ فقال رسول اللّه ﷺ: أرسله، اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها فقال رسول اللّه ﷺ: هكذا أنزلت. ثم قال النبي ﷺ: اقرأ يا عمر. فقرأت القراءة التي أقرأني. فقال رسول اللّه ﷺ: هكذا أنزلت. ثم قال النبي ﷺ: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه.(١)

وأخرج مسلم والطبري عن أبي بن كعب ﷺ قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتُها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءةِ صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسولُ اللّه ﷺ فقلت:

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٢٤ - وأورده الخازن: ١/ ١١ - وهو في الموطأ لمالك، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في القرآن: - وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف: ٦/ ١٠٠ - ومسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف: ١/ ٥٦٠ - وأحمد في المسند: ١/ ٢٤ - ٤٠ -٤٣- وأبو عمرو الداني في الأحرف السبعة: ١١- والبيهقي في الشعب: (ح٢٩٥- ٢/ ٥٣٨) - وانظر التمهيد لابن عبد البر: ٨/ ٢٧٢

إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءةِ صاحبه. فأمرهما رسولُ اللّه ﷺ فقرآ فحَسَّن النبي ﷺ شأنهما، فسُقِطَ في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية[1]، فلما رأى رسول اللّه ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري فَفِضْتُ عَرَقاً، وكأنما أنظر إلى اللّه عز وجل فَرَقاً، فقال لي: يا أُبي! أُرسل إليَّ أنِ اقرأ القرآنَ على حرف واحد. فرددت إليه أن هَوِّن على أمتي. فرد إلي الثانية أنِ اقرأه على حرفين. فرددتُ إليه: أن هوِّن على أُمتي. فرد إلي الثالثة: أنِ اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رددتها مسألةٌ تسألنيها. فقلت: اللّهم اغفر لأمتي، اللّهم اغفر لأمتي، وأخَّرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ الناس كلهم حتى إبراهيم.[2]

وفي رواية عند الطبري: ثم قال الرسول ﷺ: اللّهم أخسئ الشيطان عنه يا أبيّ، أتاني آتٍ من ربي فقال: إن اللّه يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت: رب خفِّف عني. ثم أتاني الثانية فقال: إن اللّه يأمرك

---

(١) قال الخازن: معناها وسوس لي الشيطان تكذيباً للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية؛ لأنه كان في الجاهلية غافلاً ومشككاً فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب. وقيل: اعترته حيرة ودهشة ونزغ الشيطان في نفسه تكذيباً لم يعتقده. تفسير الخازن: ١/ ١٣.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٣٦ ومن طرق أخرى بنحو هذا الحديث. وفي بعض الطرق أن أبي قرأ «النحل». الطبري: ١/ ٣٧ - وأورده الخازن: ١/ ١٣ - وهو عند مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف: ١/ ٥٦١ - وأحمد في المسند: ٥/ ١١٤.

أن تقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت: رب خفف عن أمتي. ثم أتاني الثالثة فقال مثل ذلك، وقلت مثله. ثم أتاني الرابعة فقال: إن اللّه يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف، ولك بكل ردة مسألةٌ. فقلت: يا رب... الحديث.(١)

وأخرج الطبري والبخاري ومسلم عن ابن عباس - رضي اللّه عنهما - أن رسول اللّه ﷺ قال: أقرأني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فزادني، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف.(٢)

قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة الأحرف، إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً، لا يختلف في حلال ولا حرام.(٣)

وأخرج الطبري عن أبي بن كعب قال: أتى جبريل النبي ﷺ وهو

---

(١) تفسير الطبري: ١/ ٤١ - وقال أحمد شاكر: هذا الإسناد نقله ابن كثير في الفضائل وقال: صحيح. فضائل القرآن لابن كثير: ٥٣ - وأشار إليه الحافظ ابن حجر في الفتح: ٩/ ٢١.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٢٩ - وأورده الخازن في تفسيره: ١/ ١٣- وهو عند عبد الرزاق في المصنف: ١١/ ٢١٩ - وعند البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف: ٦/ ١٠٠ - وعند مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف: ١/ ٥٦١ - وأحمد في المسند: ١/ ٢٦٤ - ٢٩٩ - وأبي عمرو الداني في الأحرف السبعة: ١٢.

(٣) هذه الزيادة من الطبري: ١/ ٢٩ - ومسلم: ١/ ٥٦١ - والبيهقي في الشعب: (ح ٢٩٩ - ٢/ ٥٤٥).

عند أضاة بني غفار فقال: إن اللّـه تبـارك وتعـالى يـأمرك أن تقـريء أمتـك القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ منها حرفاً فهو كما قرأ.[١]

وفي رواية: فأتاه جبريل فقال: إن اللّه يـأمرك أن تقـرأ أُمّتَـك القـرآنَ على حرف. فقال ﷺ: أسـأل اللّـه مُعافاتـه ومغفرَتـه، وإن أمـتي لا تُطيـقُ ذلك. قال: ثم أتاه الثانيةَ فقال: إن اللّه يأمُرك أن تقرئَ أمتكَ القـرآنَ علـى حرفين. قال: أسأل اللّه معافاتَه ومغفرتَه، وإنّ أُمتي لا تُطيقُ ذلك. ثم جـاءه الثالثةَ فقال: إن اللّه يأمرك أن تقرئ أمتكَ القرآنَ على ثلاثةِ أحـرفٍ. قـال: أسأل اللّهَ معافاتَه ومغفرتَه، وإن أُمتي لا تطيقُ ذلك. ثم جاءه الرابعةَ: فقال: إن اللّهَ يأمرك أن تقرئ أمتكَ القرآنَ على سبعةِ أحرفٍ، فأيُّما حـرفٍ قـرأوا عليه فقد أصابوا.[٢]

وروى الترمذي عنه قـال: لقـي رسـول اللّـه ﷺ جـبريل فقـال: يـا جبريل إني بُعثتُ إلى أمـةٍ أُمّيـين منهـم العجـوزُ والشـيخُ الكبـيرُ، والغـلامُ والجاريةُ، والرجلُ الذي لا يقرأ كتاباً قطُّ، قال: يا محمد إن القرآنَ أُنزلَ على

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٣٩ - وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح - وأخرجـه أبـو عمرو الداني في الأحرف السبعة: ١٤ - وابن أبي شيبة في المصنـف: ١٠/ ٥٦٥ - وابـن عبد البر في التمهيد: ٨/ ٢٨٨

(٢) أخرجه الطـبري في تفسـيره: ١/ ٤٠ - وأورده القرطـبي في تفسـيره: ١/ ٤١ - وهـو في صحيح مسلم، كتاب: صـلاة المسـافرين وقصرهـا، بـاب: بيـان أن القـرآن علـى سـبعة أحرف: ١/ ٥٦٢ - وأحمد في المسند: ٥/ ١٢٧ - وابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/ ٥١٦.

سبع أحرفٍ. قال الترمذي: هذا حديث صحيح.(١)

وأخرج الطبري عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: قال جبريل: اقرأوا القرآن على حرف. فقال ميكائيل: استزده. فقال: على حرفين. حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف، فقال: كلها شاف كاف، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب، كقولك: هلمَّ وتعال.(٢)

وأخرج الطبري عن بُسر بن سعيد(٣): أن أبا جهيم الأنصاري(٤)

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره: ١/ ٤٢ - وهو عند الترمذي في سننه، كتاب: القراءات، باب: ما جاء أُنزل القرآن على سبعة أحرف: ٥/ ١٩٤ - وأخرجه أحمد في المسند: ٥/ ٤٠٠ - وأبو عمرو الداني في الأحرف السبعة: ١٨- وأخرجه بنحوه الطبري في تفسيره: ١/ ٣٥ وقال شاكر: صحيح الإسناد. وأورده الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٥٠ ونسبه للبزار وقال: وفيه عاصم بن بهدلة، وهو ثقة، وفيه كلام لا يضر، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٤٣ - وأحمد في المسند: ٥/ ٥١ و٥/ ٤١ مختصراً - وذكره الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٥١ وقال: رواه أحمد والطبراني بنحوه إلا أنه قال: واذهب وأدبر، وفيه علي بن زيد بن جُدعان وهو سيِّئ الحفظ، وقد توبع وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

قلت: وأخرجه أبو عمرو الداني في الأحرف السبعة: ٢١ - وابن أبي شيبة في المصنف: ١٠ / ٥١٧ - وانظر التمهيد لابن عبد البر: ٨/ ٢٩٠.

(٣) هو بسر بن سعيد، مولى بني الحضرمي، إمام قدوة، حدَّث عن جماعة من الصحابة، وثقه ابن معين وغيره، توفي (١٠٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤/ ٥٩٤ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١/ ٤٣٧.

(٤) هو سليمان بن الجهم بن أبي الجهم الأنصاري الحارثي، مولى البراء بن عازب، وثقه=

أخبره: أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، فقال هذا: تلقَّيتها من رسول اللّه ﷺ. وقال الآخر: تلقيتها من رسول اللّه ﷺ، فسألا رسول اللّه ﷺ عنها فقال رسول اللّه ﷺ: إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فلا تُماروا في القرآن، فإن المِراء فيه كفر.(١)

وأخرج الطبري في تفسيره عن أبي سلمة قال: لا أعلمه إلا عن أبي هريرة، أن رسول اللّه ﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف، فالمراء في القرآن كفر - ثلاث مرات - فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه.(٢)

=ابن حبان، وروى له أبو داود والنسائي وابن ماجه. انظر: تهذيب الكمال للمزي: ١١/ ٣٨١ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ٤/ ١٧٧.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٤٣ - وأحمد في المسند: ٤/ ١٦٩ - وأبو عبيد في فضائل القرآن: (ح ٧١٨ - ص٣٠٥) - والطحاوي في مشكل الآثار: ٤/ ١٨٣ - وأبو عمرو الداني في الأحرف السبعة: ١٧ بنحوه - والبيهقي في الشعب: (ح٢٩٣- ٢/ ٥٣٤) - وابن عبد البر في التمهيد: ٨/ ٢٨٢ - وابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/ ٥٢٨ - وأورده ابن كثير في فضائل القرآن: ٥٩ وقال: وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه - يعني أصحاب الكتب الستة - والهيثمي في المجمع: ٧/ ١٥١ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره: ١/ ٢١ - وأورده الماوردي: ١/ ٢٨ - وأخرجه أحمد في المسند: ١٥/ ١٤٦، قال أحمد شاكر: إسناده صحيح. قال الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٥١: رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح ورواه البزار بنحوه.- وأورده ابن كثير في فضائل القرآن: ٥٨ وقال: ورواه النسائي عن قتيبة عن أبي ضمرة أنس بن عياض به. وهو عند البزار مختصراً. كشف الأستار عن زوائد البزار: ٣/ ٩٠.

المسألة الثانية: المراد بالأحرف السبعة:

اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً، ذكرها أبو حاتم محمد بن حِبان البُستي[١]، ومن تلك الأقوال:

القول الأول: أن المراد سبع لغات متفقة المعاني مختلفة الألفاظ كقولك: هلمَّ، وتعال، وأقبل، وإليّ، ونحوي، وقصدي، وقربي.[٢]

وهو الذي عليه أكثر أهل العلم كسفيان بن عيينة، وعبد اللّه بن وهب[٣]، والطحاوي[٤][٥] وهو اختيار ابن جرير الطبري في مقدمته،

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٢ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٥٦. وقد ذكر هذا عن ابن حبان ابنُ النقيب في مقدمة تفسيره بواسطة الشرف المرسي، قال ابن حبان: فهذه خمسة وثلاثون قولاً لأهل العلم واللغة في معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف، وهي أقاويل يشبه بعضها بعضاً، وكلها محتملة ويحتمل غيرها.

قال المرسي: أكثرها متداخلة ولا أدري مستندها ولا عن من نقلت.... إلى أن قال: وأكثرها يعارض حديث عمر مع هشام. الإتقان للسيوطي: ١/ ١٤١ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٥٣٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٤٧ - ٥٧ - والماوردي: ١/ ٢٩ - وابن عطية: ١/ ٣٤ - والقرطبي: ٤٢، وفنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٠٦ - والبرهان للزركشي: ١/ ٢٢٠.

(٣) هو عبد اللّه بن وهب بن مسلم الفهري، إمام حافظ لقي صغار التابعين، وكان من أوعية العلم وكنوز العمل، وثقه ابن عدي وابن معين، توفي (١٩٧هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٩/ ٢٢٣ - وتهذيب الكمال للمزي: ١٦/ ٢٧٧.

واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة كثيرة منها الأحاديث السابقة في قصة عمر وهشام وقصة أبي؛ ومنها أيضاً:

١- حديث أبي بكرة[(١)] الذي أخرجه الطبري عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: قال جبريل: اقرأوا القرآن على حرف. فقال ميكائيل: استزده. فقال: على حرفين. حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف، فقال: كلها شاف كاف، ما لم يختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب، كقولك: هلمَّ وتعال.[(٢)]

قال الطبري: أوضح نص هذا الخبر أن اختلاف الأحرف السبعة إنما

---

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، إمام حافظ كبير، محدث الديار المصرية، وصاحب التصانيف العديدة، انتهت إليه رئاسة المذهب الحنفي توفي (٣٢١هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٥/ ٢٧ - وشذرات الذهب: ٢/ ٢٨٨.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٢ - ومشكل الآثار للطحاوي: ٤/ ١٩٠ - وهو منسوب لجمهور أهل الفقه والحديث، واختاره ابن عبد البر، ومن المعاصرين فضيلة الشيخ مناع القطان انظر: التمهيد لابن عبد البر: ٨/ ٢٨١ - ٢٨٤ - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٧٤ - ونزول القرآن على سبعة أحرف للشيخ مناع القطان: ٧٢.

(١) هو نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو، المعروف بأبي بكرة الثقفي، سمي بأبي بكرة عندما حاصر رسول الله ﷺ الطائف وقال: أيما عبد نزل إلي فهو حر. فتدلى ببكرة فاشتهر بذلك. مات بالبصرة (٥٣هـ). انظر: المعارف لابن قتيبة: ١٢٥ - والإصابة لابن حجر: ٥/ ٣٧١.

(٢) سبق تخريج الحديث قبل قليل.

هو اختلاف ألفاظ، كقولك «هلم وتعال» باتفاق المعاني لا باختلاف معان موجبة اختلاف أحكام.(١)

قال الطحاوي: وأبين ما ذكر في ذلك - أي في هذا الرأي - حديث أبي بكرة.(٢)

٢- ما أخرجه الطبري عن شقيق بن سلمة قال: قال عبد اللّه - يعني ابن مسعود -: إني قد سمعت إلى القرأة فوجدتهم متقاربين، فاقرأوا كما عُلّمتم، وإياكم والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هلمَّ وتعال.(٣)

٣- ما أخرجه الطبري عن الأعمش قال: قرأ أنس هذه الآية ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [المزمل: ٦] فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة، إنما هي ﴿وَأَقْوَمُ﴾. فقال: أقوم، أصوب، أهيأ، واحد.(٤)

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٥٠.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٢ - والتمهيد لابن عبد البر: ٨/ ٢٩٠.

(٣) تفسير الطبري: ١/ ٥٠، قال أحمد شاكر: وهذا الأثر عن ابن مسعود لم نجده في غير هذا الكتاب. وهو في التمهيد لابن عبد البر: ٨/ ٢٩١ - وفي الاستذكار له: ٨/ ٤٢ - والمصنف لابن أبي شيبة: ١٠/ ٤٨٨.

(٤) أخرجه الطبري: ١/ ٥٢ ط شاكر، و٢٩/ ١٣١ ط الحلبي من عدة طرق - وأورده ابن كثير في تفسيره: ٨/ ٢٧٨- ونقله السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٢٧٨، ونسبه لأبي يعلى، ومحمد بن نصر، وابن الأنباري في المصاحف.

٤- ما روي عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾ [الحديد: ١٣]: للذين آمنوا أمهلونا، للذين آمنوا أخّرونا، للذين آمنوا ارقبونا.(١)

وما روي عنه أنه كان يقرأ ﴿كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَشَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠] مروا فيه، سعوا فيه.(٢) وغير ذلك من الأدلة التي تبين أن الغاية التي لها أنزل القرآن على سبعة أحرف هي التيسير على الناس لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم، ولهذا يرى أصحاب هذا الرأي أن الأحرف أزيلت حين رفعت المشقة عن الناس بالتعلم، يقول ابن عبد البر: إن تلك السبعة الأحرف إنما كان في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك، ثم ارتفعت تلك

=- وذكره الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٥٦ وزاد نسبته للبزار، وقال: رجال أبي يعلى رجال الصحيح، ورجال البزار ثقات. وهو عند البزار كما في كشف الأستار: ٣/ ٩٢ قال البزار: لا نعلم رواه عن الأعمش إلا الحماني، وإنما ذكرت هذا لأبين أن الأعمش سمع من أنس.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٢ - وهو في المرشد الوجيز: ١٠٤ - والتمهيد لابن عبد البر: ٨/ ٢٩١ - والاستذكار له: ٨/ ٤٢ - والتذكار للقرطبي: ٣٢ - وفضائل القرآن لابن كثير: ٦٨ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٤٩ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ٢/ ٥٥١ تحقيق محمد صفاء حقي.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٢ - وهو في المرشد الوجيز: ١٠٤ - والتمهيد لابن عبد البر: ٨/ ٢٩١- والاستذكار له: ٨/ ٤٢- والتذكار للقرطبي: ٣٢- وفضائل القرآن لابن كثير: ٦٨- والزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ٢/ ٥٥١ تحقيق محمد صفاء حقي.

الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد.(١)

ويتساءل الطبري ليزيل الإشكال الذي قد يرد على اختياره: ما بال الأحرف الأخر الستة غير موجودة وقد أقرأهن رسول اللّه ﷺ أصحابه، وأمر بالقراءة بهن، وأنزلهن اللّه من عنده على نبيه ﷺ، أنسخت فرفعت؟! فما الدلالة على نسخها ورفعها؟ أم نسيتهن الأمة فذلك تضييع ما قد أمروا بحفظه؟ أم ما القصة في ذلك؟

ويجيب عن تساؤله قائلاً: إنها لم تنسخ فترفع، ولا ضيعتها الأمة وهي مأمورة بحفظها، ولكن الأمة أمرت بحفظ القرآن، وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت.

ويضرب لذلك مثالاً فيقول: كما أمرت إذا هي حنثت في يمين وهي موسرة أن تكفّر بأي الكفارات الثلاث شاءت إما بعتق، أو إطعام، أو كسوة، فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث دون حظرها التكفير بأي الثلاث شاء المكّفر كانت مصيبة حكم اللّه.

قال: فكذلك الأمة أمرت بحفظ القرآن وقراءته، وخيِّرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت، فرأت - لعلة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد - قراءته بحرف واحد، ورفض القراءة بالأحرف الستة

---

(١) القرطبي: ١/ ٤٣ - والتمهيد لابن عبد البر: ٨/ ٢٩٤.

الباقية، ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه بما أذن له في قراءته به[(١)].

وبين أن العلة التي أوجبت الثبات على حرف واحد هي ما حدث لأصحاب رسول الله ﷺ من الاختلاف في القراءة في اليمامة وأرمينية وغيرها من المواقع، وحينئذ رأى عثمان جمع الأمة على مصحف واحد رحمة بها ورأفة بحالها، وخوفاً من الاختلاف، فحرق ما سواه من المصاحف واستوسقت الأمة على ذلك بالطاعة، ورأت فيما فعل الهداية والرشد، وتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها، طاعة منها له حتى درست من الأمة معرفتها، وتعفت آثارها، وتتابع المسلمون على رفض القراءة بها من غير جحود منها صحتها

(١) يعلق الأستاذ عبد العزيز القاري في بحثه القيم حديث الأحرف السبعة: ٧٦ على مقولة الطبري هذه بقوله: إن التخيير كان في القراءة بواحد من تلك الأحرف حسبما يتيسر للقارئ، ويسهل عليه ولم يكن التخيير في نقل الأحرف، بل كانت الأمة ملزمة بنقلها جميعاً لأن كل حرف منها بمنزلة الآية. ويضرب لذلك مثلاً فيقول: هناك فرق واضح بين أن يكون المكلف مخيراً بين الأخذ برخصة الفطر في السفر، والعزيمة على الصيام، وبين أن يلغي هذه الرخصة فيُحرم على نفسه وعلى الأمة الفطر، ويحمل الناس على الصيام. اهـ

وما قاله الأستاذ القاري هو الحق، فلسيدنا عثمان - ﷺ - وللصحابة رضوان الله عليهم أن يقرأوا بأي الحروف شاؤوا، ويتركوا منها ما شاؤوا غير أنه ليس لهم أن يلزموا الأمة بحرف لم يلزمهم به رسول الله ﷺ، ولا أن يرفعوا رخصة قدمها الشارع لم يرفعها رسول الله ﷺ من بينهم.

وصحة شيء منها.

أما كيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها؟

فالجواب عند الطبري: أن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض، وإنما كان أمر إباحة ورخصة، لأن القراءة لو كانت فرضاً عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من تقوم بنقله الحجة، ويقطع خبره العذر، ويزيل الشك من قرأة الأمة.... إلى أن قال: إن في تركهم نقل ذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا مخيَّرين في القراءة.(١)

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٥٨ - ٦٤.

قلت: لقد رد المهتمون بحديث الأحرف السبعة، على ما ذهب إليه ابن جرير ومن تبعه ورأى مثل رأيه من أهل العلم، وذكروا في إبطال مذهبهم أوجهاً عديدة نذكر منها:

أ - أن ما ذكر في الآثار التي استشهد بها أصحاب هذا الرأي ليس من قبيل حصر الأحرف السبعة فيها، وفي نوعها، بل هو - كما قال ابن عبد البر - من قبيل ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها.

ب - أن الاختلاف بين العرب إنما يقع - غالباً - في اللّهجات من إدغام وإظهار، وفتح وإمالة، وهمز وتخفيف، ونحو ذلك إذ المشقة عليها في هذا الباب أعظم من المشقة في استعمال هلمَّ مكان أقبل وتعال.

جـ- أن أصحاب هذا المذهب - كما يقول الزرقاني - أوقعوا أنفسهم في مأزق ضيق، وقالوا أموراً خطيرة. =

....

=فحين صرحوا بأن المتبقي من الحروف هو حرف واحد، وأن الحروف الستة الأخر ذهبت واندرست لم يثبتوا لضياعها نسخاً ولا رفعاً. وحين ادعوا إجماع الأمة على أن تثبت على حرف واحد، وأن ترفض القراءة بجميع ما عداه من الأحرف الستة، لم يقدموا دليلاً على هذا الإجماع. ولو كان هناك لما اختلف العلماء في معنى الأحرف على أكثر من أربعين قولاً، وأكثرهم - رغم هذا الاختلاف - يؤكد أن الأحرف السبعة باقية.

وحين قالوا: إن استنساخ المصاحف زمن عثمان كان إجماعاً من الأمة على ترك الحروف الستة، والاقتصار على حرف واحد وهو ما نسخ عثمان المصاحف عليه، حين قالوا ذلك أوقعوا أنفسهم في ورطة ثالثة على حد تعبير الأستاذ الزرقاني، لكون ما احتجوا به أمر باطل، فالناس تنازعوا زمن النبي ﷺ في قراءات القرآن على حروف مختلفة، وقررها الرسول ﷺ فكان حلاً لمشكلتهم، وأفهمهم أن هذا الاختلاف رحمة من اللّه، وهو صريح قول النبي ﷺ: إن أمتي لا تطيق. فكيف يسوغ للصحابة وهم خير القرون أن يغلقوا باب الرحمة والتخفيف الذي فتحه اللّه للأمة؟!

ثم كيف ينسخ عثمان رضي الله عنه والصحابة بعض القرآن، إذ أن كل حرف من الأحرف السبعة المنزلة هو قرآن، وليس لأحد إلغاء شيء من القرآن بغير نص صريح من الشارع عز وجل.

إن موافقة أصحاب رسول اللّه ﷺ على ضياع ستة أحرف نزل عليها القرآن أمر لا يقبل في المنطق السليم، وكيف يقبل ورسول اللّه ﷺ قد أقرها بقوله وعمله، وقال: لا يجوز لأحد أياً كان أن يمنع أحداً من القراءة بحرف من السبعة.

أما ما فعله سيدنا عثمان - رضي الله عنه - فهو أنه نسخ مصحفاً أو مصاحف من الصحف التي كانت في عهدة أبي بكر - رضي الله عنه - وكان مشتملاً على الأحرف السبعة، ولم يثبت أن الذين نسخوا المصاحف لعثمان تركوا شيئاً من صحف أبي بكر، ولو كانوا فعلوا ذلك لنقل إلينا بالتواتر، إذ دواعي التواتر موجودة. وفي هذا يقول ابن الجزري:ذهب جماعات من=

القول الثاني: أن الأحرف السبعة هي سبع لغات من لغات العرب نزل

=الفقهاء والقراء والمتكلمين إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على الأحرف السبعة، وبنوا على ذلك أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصحف التي كتبها أبو بكر وعمر، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك. قال هؤلاء: ولا يجوز أن ينهى عن القراءة ببعض الأحرف السبعة، ولا أن يجمعوا على ترك شيء من القرآن.

ومن الرد على هذا الاتجاه أن يقال: كيف يغفل الحكيم الأمين عثمان عن العلاج وهو يعلم علاج مثل هذا النوع من الاختلاف من رسول الله ﷺ، فقد سبق أن وضع ﷺ الدواء الناجع حين جمع الصحابة على سبعة أحرف لا منعهم عنها.

أضف إلى هذا أن الصحابة حفظوا للتاريخ آيات نسخ رسمها وتلاوتها، ونسخت أحكامها جميعاً، وحفظوا قراءات شاذة، وكذا أحاديث منسوخة، ونقلت كلها لنا. فكيف لم تسمح نفس عثمان الكريمة - ﷺ - بإبقاء الستة الأحرف الباقية للتاريخ لا للقراءة؟ إن الأمر بعيد حقاً.

د - إن القائل بهذا القول قد ألغى بقوله هذا الرخصة والحكمة من إنزال القرآن على سبعة أحرف، وهي أن من الأمة من لا يطيق، وهي لا تزال قائمة بل الحاجة هي أشد وضوحاً بعد دخول الناس من مختلف الألسنة والأجناس في الإسلام، وكما يقول الأستاذ عبد العزيز القاري: أفيشق الأمر على القرشي والهذلي وهما أبناء لغة واحدة، ولا يشق على الأعاجم؟!

وأيضاً فإن العجوز، والصبي، والجارية، والشيخ الفاني، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، لا زالوا في الأمة، وهم في حاجة كما كانوا في حاجة.

انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ١/ ٣١ - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٥٧ - ١٥٩ - وحديث الأحرف السبعة للدكتور عبد العزيز القاري: ٧٥ - ٧٦.

عليها القرآن.[١] قاله أبو عبيد القاسم بن سلام، واختاره ابن عطية، وقال: مال إليه كثير من أهل العلم.[٢]

فالقرآن في جملته لا تخرج كلماته عن سبع لغات لسبع قبائل، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، ولكن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن. قال الخطابي: على أن في القرآن ما قد قرئ بسبعة أوجه، وهو قوله ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠] وقوله ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: ١٢][٣].

---

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٠ - وابن عطية: ١/ ٤١ - والقرطبي: ١/ ٤٣ - والخازن: ١/ ١٢ - وانظر المرشد الوجيز لأبي شامة: ٩١.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٤١ - وفضائل القرآن لأبي عبيد: ٣٠١ - ٣٢٨ - وذكره ابن عبد البر في التمهيد: ٨/ ٢٧٦ - وهو مذهب الأزهري في التهذيب: (حرف): ٥/ ١٤ - وصححه البيهقي في الشعب: ٢/ ٥٤٥ - وانظر: الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها للعتر: ١٧٠.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٣ - ولم أعثر على قول الخطابي في معالم السنن له. وهو في المرشد الوجيز لأبي شامة: ٩٧ - والبرهان للزركشي: ١/ ٢١٢ - وفتح الباري لابن حجر - ٩/ ٢٣ والإتقان للسيوطي: ١/ ١٣٨ ط أبو الفضل.

وقوله تعالى ﴿عبد الطاغوت﴾ فقد قرأ حمزة «عَبُدَ الطاغوتِ»، وقرأ الحسن «عَبْدَ الطاغوتِ»، وابن مسعود «عُبد الطاغوت»، والشنبوذي «عُبُدَ الطاغوتِ» جمع عبيد، وقرأ أُبيّ «وعَبَدوا الطاغوت»، وقرأ عبد الله في رواية «وعَبَدتْ الطاغوت» مبنياً للمفعول. والباقون ﴿عَبَدَ الطاغوت﴾. انظر: الحجة لابن زنجلة: ٢٣١ - وتفسير البحر المحيط=

يقول ابن عطية: معنى قول الرسول ﷺ «أنزل القرآن على سبعة أحرف» أي فيه عبارات سبع قبائل، بلغة جملتها نزل، فيعبر عن المعنى فيه بعبارة قريش، ومرة بعبارة هذيل، ومرة بغير ذلك، بحسب الأفصح والأوجز في اللفظة.(١)

واختلف أهل العلم في تعيين السبعة التي قد تكون مراده ﷺ، فمال الأكثر إلى أن أصل ذلك وقاعدته هي قريش، فإن عثمان قال للرهط الذي كتب الصحف: ما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش، فإنه نزل بلغتهم.

قال الباقلاني: يريد معظمه وأكثره، ولم تقم دلالة قاطعة على أن القرآن بأسره منزل بلغة قريش فقط، إذ فيه كلمات وحروف وهي خلاف لغة قريش، وقد قال قال تعالى ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ [الزخرف: ٣] ولم

=لأبي حيان: ٤/ ٣٠٧ - وإتحاف فضلاء البشر للبنا: ١/ ٥٣٩.

وقوله تعالى ﴿أرسله معنا غداً يرتع ويلعب﴾ قرأ نافع وأبو جعفر بالياء من تحت فيهما إسناداً ليوسف، وكسر عين يرتع من غير جزم «يَرْتَعِ ويَلعب»، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف بالياء فيهما لكن مع سكون العين «يَرْتَعْ ويَلْعبْ»، وقرأ ابن عامر بالنون فيهما وسكون العين «نَرْتع ونلعب» مضارع رَتَع، وقرأ البزي بالنون فيهما وكسر العين من غير ياء «نَرْتَعِ ونلعب»، وقرأ قنبل كذلك إلا أنه أثبت الياء من طريق ابن شنبوذ وصلاً ووقفاً، وعن ابن محيصن «يُرْتِعْ» بضم الياء وكسر التاء وسكون العين، انظر: حجة القراءات لابن زنجلة: ٣٥٦ - وإتحاف فضلاء البشر: ٢/ ١٤٢.

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٤٤.

يقل قرشياً.... واسم العرب يتناول جميع هذه القبائل تناولاً واحداً.[١]

وقال ابن عبد البر: قول من قال: إن القرآن نـزل بلغـة قريـش معنـاه عندي في الأغلب والله أعلـم؛ لأن غـير لغـة قريـش موجـودة في صحيـح القراءات من تحقيق الهمزات ونحوها وقريش لا تهمز.[٢]

ويلي قريش بنو سعد بن بكر، ويعلل ابن عطية ذلك بقوله: لأن النبي ﷺ قرشي، واسترضع في بني سعد، ونشأ فيهم، ثم ترعـرع وعُقّـت تمائمـه وهو يخالط في اللسان كنانة، وهذيلاً وثقيفاً وخزاعة وأسداً وضبة، وألفافهـا لقربهم من مكة وتكرارهم عليها.

قال: ثم بعد هذا تميماً وقيساً ومن انضاف إليه من وسط جزيرة العرب.

يقول ثابت بن قاسم: لو قلنا من هذه الأحرف لقريش، ومنها لكنانة، ومنها لأسد، ومنها لهذيل، ومنها لتميم، ومنها لضبة وألفافها، ومنها لقيس، لكان قد أتى على قبائل مضر في مراتب سبعة تستوفي للغات التي نـزل بهـا القرآن.[٣] لأن هذه الجملة هي التي انتهت إليها الفصاحـة، وسـلمت لغاتهـا من الدخل.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٤ - ونكت الانتصار للباقلاني: ٣٨٥.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٤ - والتمهيد لابن عبد البر: ٨/ ٢٨٠.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٤٢.

وقد ذكر أبو عبيد وأبو العباس المبرد أن عرب اليمن من القبائل التي نزل القرآن بلسانها. واستبعد ابن عطية ذلك وقال: عندي إنما هو فيما استعملته عرب الحجاز من لغة اليمن.(١)

ورغم أن ابن جرير لا يرى فائدة في تعيين الألسن الستة التي نزل عليها القرآن تبعاً لرأيه في الأحرف السبعة، غير أنه ذكر عن ابن عباس قوله في تعيينها أن خمسة منها لعجز هوازن، وهم سعد ابن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف، واثنين منها لقريش وخزاعة. وقال: هي ليست من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله.(٢)

ومن أدلة هذا الفريق:

١- ما حدث لابن عباس في فهم قوله تعالى ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]، حيث أن «فطر» معناها عند غير قريش: ابتدأ خلق الشيء وعمله. وهي بغير لغة قريش، ولم تتجه لابن عباس حتى اختصم إليه أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها. قال ابن عباس: ففهمت حينئذ موقع قوله تعالى ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(٣).

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٤٣ - وفضائل القرآن لأبي عبيد: ٢٠٤ ط غاوجي.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٦٦.

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائله: ٢٠٦ ط غاوجي - وأورده ابن كثير في فضائل القرآن: ٦٢ وقال: إسناده جيد.

٢- ما روي عن ابن عباس أنه قال: ما كنت أدري معنى قوله ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩] حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها: تعال أفاتحك. أي: أحاكمك[١].

٣- ما ورد أن عمر بن الخطاب كان لا يفهم معنى قوله تعالى ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧] فوقف به فتىً فقال: إن أبي يتخوفني حقي. فقال عمر: الله أكبر، أو يأخذهم على تخوف، أي على تنقُّص لهم.

وغير ذلك من الأدلة التي تثبت أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات لسبع قبائل.[٢]

واعترض أبو بكر الباقلاني على هذا الرأي وقال: هذا باطل بدليل أن لغة عمر بن الخطاب، وأبي بن كعب، وهشام بن حكيم، وابن مسعود، واحدة، وقراءتهم كانت مختلفة، وخرجوا فيها إلى المناكرة، فلو كان تفسير الحديث باللغات صحيحاً ما اختلف المذكورون، ولأنهم اختلفوا دل ذلك على أن المقصود أمر آخر.[٣]

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ٨/ ٥٢٩ و١٠/ ٤٧٤ - وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/ ١٠٣ وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في الوقف والابتداء، والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٤٤ - وتفسير القرطبي: ١/ ٤٤.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٣٩ - ونكت الانتصار للباقلاني: ١١٩.

قال ابن عطية: وإطلاقه البطلان على القول الذي حكاه فيه نظر... لأن ما استعملته قريش ومنهم عمر وهشام، وما استعملته الأنصار ومنهم أبيّ، وما استعملته هذيل ومنهم ابن مسعود قد يختلف، فليست لغتهم واحدة في كل شيء، وعلى فرض أن جميعهم من قبيلة واحدة فإن اختلافهم حجة على من قال: إن القرآن أنزل على سبع لغات؛ لأن مناكرتهم لم تكن لأن المنكر سمع ما ليس في لغته فأنكره، وإنما كانت لأنه سمع خلاف ما أقرأه النبي ﷺ.(١)

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٤٠.

وقد رد أهل العلم على من ذهب في تفسير الأحرف السبعة بسبع لغات من لغات العرب، ومن ردودهم:

أ – أن القائل بهذا الرأي يعارض الهدف الذي نزل القرآن على سبعة أحرف لأجله، وهو التسهيل على الأمة، لكونه يستلزم أن كل شخص لا يمكنه أن يقرأ إلا البعض الذي نزل بلغته دون الذي نزل بلغة غيره.

ب – أن هذا القول مخالف للاختلاف الذي صورته الروايات بين الصحابة في القراءة فالمقروء فيها كان واحداً كسورة الفرقان وغيرها، والرسول ﷺ صوب قراءة كل من المختلفين، وكلاهما قرشي، ومحال أن يُقرئ الرسول ﷺ كل واحد من عمر وهشام بغير ما يعرفه من لغته.

جـ– أن الصحابة قد اختلفوا في تعيين اللغات وحصرها، ولو كان المراد ما قالوه لما خفي على الصحابة تعيينها، وهم قد أقرئوا تلك الأحرف وقرأوها.

د – أن غالبية العرب لا تمزج لغات بعضها ببعض، يقول ابن عبد البر: وأنكروا – أي=

القول الثالث: أن الأحرف السبعة هي سبع لغات لمضر خاصة: ذكره القرطبي(١)، وقال: قاله قوم واحتجوا بقول عثمان: نزل القرآن بلغة مضر.

=أكثر أهل العلم - على من قال إنها لغات؛ لأن العرب لا تركب لغة بعضها على بعضاً.

هـ- أن الآثار الواردة في تعيين اللغات عن ابن عباس وغيره لا تقوم بها حجة لضعف إسنادها.

و- أن ما جاء في الصحيحين عن عثمان يرد هذا القول، فقد ثبت أن عثمان - ﷺ - قال لكتّاب المصحف: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلغة قريش، فإنه نزل بلسانهم. كما روي عن عمر بن الخطاب أنه قال لابن مسعود: إن القرآن أنزل بلغة قريش فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل [إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري: ١/ ١٣ - والتمهيد لابن عبد البر: ٨/ ٢٧٨].

قال الطحاوي: إن اللسان الذي بعث به - محمد ﷺ - هو لسان قومه وهم قريش لا ما سواه من الألسنة العربية وغيرها، وكان قومه المرادون بذلك وهم قريش لا من سواهم.

ويقول عبد العزيز القاري: فهذان الأثران صحيحان في أن القرآن ليست فيه إلا لغة واحدة، لغة قريش ولسانها.

انظر: مشكل الآثار للطحاوي: ٤/ ١٨٥ - المرشد الوجيز لأبي شامة: ١٠٢ - والتمهيد لابن عبد البر: ٢/ ٢٨١ - والبرهان للزركشي: ١/ ٢٢٠ - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٨١ - وحديث الأحرف السبعة للقاري: ٧٢ - ٧٤.

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٥ - والخازن: ١/ ١٢ - وانظر التمهيد لابن عبد البر: ٨/ ٢٧٧.

وبرغبة ابن مسعود في اختيار كتّاب المصاحف من مضر[(١)]. وقالوا: جائز أن يكون منها لقريش ومنها لكنانة ومنها لأسد ومنها لهذيل، ومنها لتميم، ومنها لضبة، ومنها لقيس. وقالوا: هذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات على هذه المراتب.

وأنكر آخرون أن تكون اللغات كلها في مضر، وقالوا: إن في قبائل مضر شواذ ينزَّه القرآن عنها ولا يجوز أن يقرأ بها، مثل كشكشة قيس وتمتمة تميم، فأما كشكشة قيس فإنهم يجعلون كاف المؤنث شيناً، فيقولون في ﴿جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾ [مريم: ٢٤] (جعل رَبُّشِ تحتش سرياً)، وأما تمتمة تميم[(٢)] فيقولون في الناس: النات.

وهذه لغات يرغب عن القرآن بها، ولا يحفظ عن السلف فيها شيء.[(٣)]

ورد القائلون فقالوا: إن إبدال الهمزة عيناً، وإبدال حروف الحلق بعضها من بعض فمشهور عن الفصحاء، وقد قرأ به الجلة، ومنه قراءة ابن

(١) انظر: نكت الانتصار للباقلاني: ٣٨٧ - والاستذكار لابن عبد البر: ٨/ ٣٧.

(٢) في التمهيد لابن عبد البر: عنعنة تميم، ومثاله ﴿عسى اللّه عن يأتي بالفتح﴾، قال: وبعضهم يبدل السين تاءً فيقول في الناس: النات. التمهيد: ٨/ ٢٧٧.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٥.

ويرد على هذا القول ما ورد على القول السابق، بل إن هذا أدني إلى البطلان لأنه أخص من الذي قبله كما يقول الزرقاني. انظر: مناهل العرفان: ١/ ١٨٢.

مسعود «ليسجننه عتى حين»، ويقول ذو الرمة[١]:

فعيناك عيناها وجيدُك جيدُها ولونك إلا عَنَّها غيرُ عاطل

يريد إلا أنها غير[٢].

القول الرابع: أن المراد بالأحرف السبعة وجوه التغاير السبعة التي وقع فيه الاختلاف.وهذا مذهب القاضي أبي بكر ابن الطيب الباقلاني صاحب الانتصار، وحكاه ثابت بن قاسم صاحب الدلائل عن بعض العلماء[٣].

---

(١) هو غيلان بن عقبة بن بهيس من بني صعب بن مالك، شاعر مجيد، حدث عن ابن عباس، وذو الرمة لقب، والرمة - بضم الراء وتشديد الميم - القطعة من الحبل الخلق، مات بأصبهان كهلاً سنة (١١٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٥/ ٢٦٧ - وخزانة الأدب للبغدادي: ١/ ١٠٦.

(٢) انظر تفسير القرطبي: ١/ ٤٥ - والتمهيد لابن عبد البر: ٨/ ٢٧٨.

وقد أخرج ابن عبد البر بسنده عن كعب الأنصاري قال: إنه كان عند عمر بن الخطاب فقرأ رجل «من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه عتى حين» فقال عمر: من أقرأكها؟ قال: أقرأنيها ابن مسعود. فقال عمر ﴿حتى حين﴾. وكتب إلى ابن مسعود: أما بعد: فإن اللّه أنزل القرآن بلسان قريش فإذا أتاك كتابي هذا فأقرأ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام. قال ابن عبد البر: ويحتمل أن يكون هذا من عمر على سبيل الاختيار لا أن ما قرأ به ابن مسعود لا يجوز. التمهيد: ٨/ ٢٧٨.

(٣) وما ذكره الباقلاني هو ما قاله ابن قتيبة وإلى نحوه ذهب ابن الجزري والرازي وغيرهم، وقال ابن عبد البر - وإن لم ينتصر له -: هذا وجه حسن من وجوه معنى الحديث. اهـ واختاره من المتأخرين الأستاذ الزرقاني وقال: لا فرق بين آرائهم إلا اختلاف في=

قال القاضي أبو بكر: تدبرت وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعة:

١- منها ما تتغير حركته، ولا يزول معناه ولا صورته، مثل: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨] و(أطهرَ)(١).

٢- ومنها ما لا تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب، مثل ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩] و(باعد)(٢).

٣- ومنها ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف، مثل ﴿نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] و«ننشرها»(٣).

=طرق التتبع والاستقصاء والتعبير والأداء. انظر: نكت الانتصار للباقلاني: ١١٤ و١٢٠ - وفنون الأفنان لابن الجوزي: ٢٠٩ - والتمهيد لابن عبد البر: ٨/ ٢٩٥ - والبرهان للزركشي: ١/ ٢١٤ - والنشر لابن الجزري: ١/ ٢٧ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٤٦- ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٥٨.

(١) قرأ بالنصب سعيد بن جبير والحسن ومحمد بن مروان وعيسى الثقفي وابن أبي إسحاق. انظر: المحتسب لابن جني: ١/ ٣٢٥- ومختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ٦٠.

(٢) قال الفراء: قوله ﴿ربنا باعد بين أسفارنا﴾ قراءة العوام، وتقرأ على الخبر «ربنا بَعَّد» و«باعد»، وعلى الدعاء «ربنا بعِّد» وتقرأ «بَعَدَ» معاني القراء للفراء: ٢/ ٣٥٩ - والمحتسب لابن جني: ٢/ ١٨٩ - والتبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٢/ ١٠٦٧.

(٣) قرأ بالزاي المنقوطة ابن عامر والكوفيون، وقرأ الباقون بالراء المهملة. انظر: الكشف لمكي: ١/ ٣١٠ - والنشر لابن الجزري: ٢/ ٢٣٠ - والتبيان للعكبري: ١ / ٢١٠

٤- ومنها ما تتغير صورته ويبقى معناه، مثل ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] و(كالصوف المنفوش)(١).

٥- ومنها ما تتغير صورته ومعناه، مثل ﴿وَطَلْحٍ مَنضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩] و(طلع منضود)(٢).

٦- ومنها بالتقديم والتأخير، مثل ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] و(سكرة الحق بالموت)(٣).

٧- ومنها بالزيادة والنقصان، مثل ﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص: ٢٣] (تسع وتسعون نعجة أنثى).(٤)(٥)

---

(١) انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ١٧٨، وقد أخرج أبو عبيد في فضائل القرآن عن أبي عثمان الأموي قال: سمعت سعيد بن جبير يقرأ كذلك. فضائل القرآن: (ح ٦٨٢ - ٢٨٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره: ٣٠/ ٢٨١.

(٢) القراءة بالعين هي قراءة علي بن أبي طالب، انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ١٥١.

(٣) قرأ أبو بكر وابن مسعود - رضي الله عنهما - «سكرة الحق بالموت» وتعليل ذلك أن السكرة هي الحق فأضيفت إلى نفسها لاختلاف اللفظين. قال القرطبي: وقد روي عن أبي بكر روايتان إحداهما موافقة للمصحف فعليها العمل، والأخرى مرفوضة تجري مجرى النسيان منه إن كان قالها، أو الغلط من بعض من نقل الحديث. تفسير القرطبي: ١٧/ ١٢، وانظر زاد المسير لابن الجوزي: ٨/ ١٢.

(٤) وهذه القراءة مسوبة إلى ابن مسعود. انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه:١٣٠=

=- وقد ذكر ابن عبد البر أن الحجاج كان يعاقب على قراءة ابن مسعود هذه ويقول: كان ابن مسعود يرى أن النعجة تكون ذكراً. التمهيد: ٨/ ٢٩٨.

(٥) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٣٦ - وتفسير القرطبي: ١/ ٤٥.

وقد رد العلماء على القائلين بهذا الرأي من عدة أوجه:

أ - أنه يلزم حصر هذه الأنواع وتعيينها، والقائلون به مختلفون في ذلك.

ب - أن الحكمة من إنزال القرآن على سبعة هي رفع المشقة عن طوائف من الأمة يشق عليها التعليم، ويعسر عليها التحول عما ألفته ألسنتها، والعرب على وجه الخصوص لم يكونوا يحسنون الكتابة ولا القراءة، وهذه الأنواع التي ذكروها معظمها متعلق بطريقة الخط واختلاف صورة الكلمة في الكتابة كما أن جميعها لا يتسنى إدراكها واستنباطها إلا بعد بحث وتعمق واستقراء من البارعين في القراءة والكتابة، وهو أمر بعيد عن الذين نزلت الأحرف السبعة لرفع المشقة عنهم من الأميين وغيرهم.

جـ- أن القائلين بهذا الرأي لم يذكروا ضمن الأنواع السبعة اختلاف اللّهجات - عدا الرازي - من التفخيم والترقيق والفتح والإمالة والإظهار والإدغام وغيرها، ومعظم أوجه الاختلاف هي من هذا النوع.

د - أصحاب هذا المذهب يرون أن المصاحف العثمانية اشتملت على جميع الأحرف السبعة، غير أن مما جاء في الأوجه السبعة عندهم ما لا يشتمل عليه المصحف العثماني مثل التقديم والتأخير، والزيادة والنقصان.

هـ- قال عبد الرحمن الرازي: لو كان ما ذكره ابن قتيبة ترتيباً لكان بعض ذلك منفياً عن رسول الله ﷺ، وهو ما ذكره مما يتعلق بالكتابة. اهـ؛ لكونه ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب.

انظر: معنى قول النبي ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف للرازي»: ٣٤، نقلاً عن الأحرف السبعة للعتر: ١٥٨- ونزول القرآن على سبعة أحرف لمناع القطان: ٨١ -٨٨=

القول الخامس: أن المراد بالأحرف السبعة معاني كتاب الله تعالى وهي: أمر، ونهي، ووعد، ووعيد، وقصص، ومجادلة، وأمثال.(١)

واستدل القائلون بهذا الرأي بما روي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: إن هذا القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، نهي وأمر، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال، فأحِلُّوا حلاله، وحرِّموا حرامه، وائتمروا بأوامره، وانتهوا بنواهيه، واعتبروا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه.(٢)

=- حديث الأحرف السبعة للقاري: ٧٨.

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٢٩ - وابن عطية: ١/ ٣٥ - والقرطبي: ١/ ٤٦ - والخازن: ١/ ١٢.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٦٨ - وأورده ابن عطية في تفسيره: ١/ ٣٧ - وانظر: مقدمتان في علوم القرآن، مقدمة كتاب المباني: ٢٠٨ - وأخرجه الطحاوي في مشكل الآثار: ٤/ ١٨٤ - وابن حبان في صحيحه، انظر موارد الظمآن: ٤٤١ - والحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وأقره الذهبي في التلخيص.- وأبو عمرو الداني في الأحرف السبعة: ٥٧ - وأبو عبيد في فضائل القرآن: (ح ٧٩-٣١)

- قال ابن عبد البر: هذا حديث عند أهل العلم لم يثبت، وأبو سلمة لم يلق ابن مسعود، وأبو سلمة ليس ممن يحتج به، وهذا الحديث مجمع على ضعفه من جهة إسناده، وقد رده قوم من أهل النظر منهم أحمد بن أبي عمران فيما سمعه الطحاوي منه. انظر: التمهيد: ٨/ ٢٧٥ - والمرشد الوجيز لأبي شامة: ١٣٧ - والبرهان للزركشي: ١/ ٢١٦.

وقال الحافظ ابن حجر: وقد صحح الحديث المذكور ابن حبان والحاكم وفي تصحيحه نظر؛ لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود. قال: وأخرجه البيهقي من وجه آخر=

وقد اعترض أهل العلم على هذا الرأي، فقال الباقلاني: هـذا تفسـير منه ﷺ للأحرف السبعة، ولكن ليست هذه التي أجاز لهم القراءة بها على اختلافها، وإنما الحرف في هـذه بمعنى الجهة والطريقة، ومنه قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] أي على وجه وطريقة هي ريب وشك، فكذلك معنى هذا الحديث على سبع طرائق من تحليل وتحريم وغير ذلك.(١)

كما رد ابن جرير الطبري هذا الرأي من وجوه:

فبين أولاً أن الروايات الثابتة عن عمر وابن مسعود وأبـي بـن كعب تثبت أنهم تماروا في القرآن، فخالف بعضهـم بعضـاً في نفس التلاوة دون المعاني، ولهذا حين تحـاكموا إلى النبي ﷺ واستقرأ كل رجل منهم، ثم صوَّب جميعهـم في قراءتهم على اختلافها، ومعلوم أن تماريهم كان في التلاوة، إذ لو كان ذلك الاختلاف فيما دلت عليه تلاوتهم من التحليل والتحريم والوعد والوعيد، ومـا أشـبه ذلـك، لكـان مستحيلاً أن يصوب جميعهم؛ لكون ذلـك يـؤدي إلى اختـلاف المعـاني وقـد قـال تعـالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ [النساء: ٨٢].

=عن الزهري عن أبي سلمة مرسلاً، وقال: وهذا مرسل جيد. الفتح: ٩/ ٢٩.

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٣٧ - وانظر: نكت الإنتصار للباقلاني: ١١٤.

ثم إن أمر الرسول ﷺ لجميعهم بالثبوت على قراءته، والرضى بقراءته وتصويبها، يدل على فساد هذا الرأي، إذ لو كان الاختلاف في المعاني وارداً، لكان ذلك إثباتاً لما قد نفى اللّه عن كتابه من الاختلاف، ونفياً لما قد أوجب له من الائتلاف.

ويدل على فساد هذا الرأي أيضاً قول ابن مسعود رضي الله عنه فيما أخرجه ابن جرير بسنده عن أبي إسحاق وعبد الرحمن بن عابس، عن رجل من أصحاب ابن مسعود يقول: من قرأ منكم على حرف فلا يتحولن منه إلى غيره.(١)

فابن مسعود لم يعن بقوله أن من قرأ ما في القرآن من الأمر والنهي فلا يتحولن منه إلى قراءة ما فيه من الوعد والوعيد، ومن قرأ ما فيه من الوعد والوعيد فلا يتحولن منه إلى ما فيه من القصص والمثل، وإنما عنى بالحرف القراءة، فالعرب تقول لقراءة رجل: حرف فلان.

ويدل على فساده ما أخرجه ابن جرير بسنده عن مجاهد أنه كان يقرأ القرآن على خمسة أحرف(٢).

وعن سالم: أن سعيد بن جبير كان يقرأ القرآن على حرفين(٣).

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٥١.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٤٨.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٤٨.

وعن مغيرة قال: كان يزيد بن الوليد يقرأ القرآن على ثلاثة حروف.

يقول ابن جرير: أفترى الزاعم أن تأويل قول النبي ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف». إنما هو أنه أنزل على الأوجه السبعة التي ذكرنا من الأمر والنهي....، كان يرى أن مجاهداً وسعيد بن جبير لم يقرآ من القرآن إلا ما كان من وجهيه أو وجوهه الخمسة دون سائر معانيه؟ لئن كان ظنَّ ذلك بهما، لقد ظن بهما غير الذي يعرفان به من منازلهما من القرآن، ومعرفتهما بآي الفرقان.(١)

وضعف ابن عطية هذا الرأي، وقال: إن هذه لا تسمى أحرفاً، ثم إن الإجماع وقع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال، ولا تحليل حرام ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة.(٢)

وقال الخازن: هذا خطأ محض لأنّ النبي ﷺ أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف، وإبدال حرف بحرف وقد تقرر إجماع المسلمين أنه يحرم إبدال آية أمثال بآية أحكام.(٣)

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٤٨ - ٥٣.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٣٥ - وتفسير القرطبي: ١/ ٤٦.

(٣) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٢.

قلت: وإضافة إلى الردود السابقة يقال:

أ - إن القائل بهذا ظن أن الأنواع المذكورة في الحديث تفسير للأحرف، والأمر خلاف=

....

=ذلك، فالنبي ﷺ بعد أن أخبر بخبر الأبواب والأحرف، استطرد زيادة في الفائدة فذكر أمراً ثالثاً لا علاقة له بهما، وهو ما تدور حوله معاني القرآن من مقاصد، ولهذا نُصب على الحالية، والتقدير: نزل القرآن حال كونه زاجراً.

ب - أن ما ثبت في روايات نزول الأحرف تثبت أن الاختلاف كان في الألفاظ، وأن الأحرف وجوه يقرأ بها، ولهذا قال ﷺ: «فاقرأوا ما تيسر منه». وإلا فكيف يفسر القائل بهذا الرأي قوله ﷺ: «أقرأني جبريل على حرف واحد»؟

جـ- أن ما قاله راوي حديث الأحرف السبعة عن عمر وابن عباس وهو الزهري يدل على فساد هذا الرأي فقد قال: بلغني أن تلك الأحرف السبعة إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال وحرام.

د - أن التوسعة التي هي مراد الشارع لا يتحقق وفق هذا القول.

هـ- أن الآثار التي وردت فيها لم تثبت عند أهل العلم.

و- أن هذا القول يردُ بمثل ما أورده الطحاوي عن أحمد بن أبي عمران حيث قال: من قال في تأويل السبعة أحرف هذا القول فتأويله فاسد، فمحال أن يكون الحرف منها حراماً لا ما سواه، أو يكون حلالاً لا ما سواه، لأنه لا يحتمل أن يقرأ القرآن على أنه حرام كله، ولا على أنه حلال كله...

ز - هذا القول يؤدي إلى القول بأن الصحابة كانوا يأخذون بعض الكتاب ويَدَعون بعضه، ففي حديث ابن مسعود: من قرأ منكم على حرف فلا يتحولن.. كما سبق. وليس معقولاً أن يأمر النبي ﷺ أصحابه بتعلم القرآن على أنه أمر فقط، ويأمر آخرين على أنه حلال وحرام فقط.

انظر: مشكل الآثار للطحاوي: ٤/ ١٨٤ - ومقدمة كتاب المباني: ٢١٠ - والتمهيد لابن عبد البر: ٨/ ٢٣٦ - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٨٣ - وحديث الأحرف السبعة للقاري: ٧٠ - والأحرف السبعة للعتر: ١٤١.

القول السادس: أن المراد خواتيم الآي، فيجعل مكان غفور رحيم: سميع عليم.(١)

لما رواه أبي بن كعب عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: يا أُبيّ، إني أُقرئت القرآن على حرف أو حرفين، ثم زادني المَلَك حتى بلغ سبعة أحرف، ليس منها إلا شاف كاف، إن قلت: غفور رحيم، سميع عليم، أو عليم حكيم، ما لم تختم عذاباً برحمة، أو رحمة بعذاب».(٢)

قال ابن عطية: وقد أسند ثابت بن قاسم نحو هذا عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، وذكر من كلام ابن مسعود نحوه.(٣)

وعلق القاضي الباقلاني على الحديث فقال: وهذه أيضاً سبعة غير السبعة التي هي وجوه وطرائق، وغير السبعة التي هي قراءات، ووسِّع فيها، وإنما هي سبعة أوجه من أسماء اللّه تعالى، إذا ثبتت هذه الرواية حمل على أن هذا كان مطلقاً ثم نسخ، فلا يجوز للناس أن يبدلوا أسماء اللّه في موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالفه.(٤)

وقال الخازن: هذا رأي فاسد وخطأ للإجماع على أنه لا يجوز تغيير

---

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الصلاة، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف: ٢/ ٧٦.

(٣) تفسير ابن عطية: ١/ ٣٨.

(٤) تفسير ابن عطية: ١/ ٣٨ - ونكت الانتصار للباقلاني: ١١٦.

نظم القرآن.(١)

القول السابع: أن المراد بالأحرف السبعة التوسعة والتسهيل، ولم يقصد به الحصر.(٢)

---

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٣.

ويرد على هذا بما رُدَّ به القول السابق، ويقال: نقل النووي الإجماع على منع تغيير كلمة من القرآن، ووجه ابن عبد البر الحديث بأن المراد منه ضرب المثل للحروف التي نزل عليها القرآن، أنها معان متفق مفهومها مختلف مسموعها، لا تكون في شيء منها معنى وضده...

ويضيف الزرقاني إلى الرد وجهة أخرى فيقول: روي أن البراء بن عازب عرض على الرسول ﷺ دعاء علّمه النبي ﷺ ومنه هذه الكلمات «.. ونبيك الذي أرسلتَ» فقال البراء: ورسولك الذي أرسلت. فلم يوافقه النبي ﷺ على ذلك وقال له: لا، ونبيك الذي أرسلت. فالرسول ﷺ رد هذا في كلامه ولم يقبله، فكيف يقبله في كتاب اللّه ويجيزه، واللّه يقول مخبراً عن نبيه ﴿ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ [يونس: ١٥]!

انظر: المنهاج للنووي: ٦/ ١٠٢ - والتمهيد لابن عبد البر: ٨/ ٢٨٣ - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٨٩ - والأحرف السبعة للعتر: ١٣٦.

(٢) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٢ - وانظر: المرشد الوجيز لأبي شامة: ٩٧ - ومصاعد النظر للبقاعي: ١/ ٣٨٨ - والبرهان للزركشي: ١/ ٢١٢ وفتح الباري لابن حجر: ٩/ ٢٣.

وينسب هذا الرأي للقاضي عياض، وقال به من المتأخرين جمال الدين القاسمي، والأديب مصطفى صادق الرافعي، انظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ١٤٥ - ومحاسن التأويل للقاسمي: ١/ ٢٨٧ - وإعجاز القرآن للرافعي: ١٣٠.

رد الخازن هذا القول وقال: قال الأكثرون: هو حصر العدد في سبعة أحرف.[(١)]

---

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٢.

والقائلون بهذا الرأي يرون أن لفظ السبعة في الحديث ليس مراداً بها حقيقة العدد، وإنما هي كناية عن الكثرة في الآحاد، ويرمز للكمال في نظر العرب.

وجاءت الشبهة للقائلين به - كما يقول د / عبد العزيز القاري - مما فهموه من ظاهر الآثار الواردة التي تبين أن لهم أن يبدلوا ألفاظ القرآن الكريم، مثل قوله ﷺ:.. عليماً حكيماً، غفوراً رحيماً، ما لم تختموا ذكر رحمة بعذاب، أو عذاب برحمة. ومثل الموقوف على ابن مسعود: فإنما هو كقول أحدكم: هلمَّ وتعال وأقبل..

وقد رُدَّ هذا الفهم من عدة جهات، ومن ذلك:

أ - أن قوله ﷺ في الحديث: «فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف». هذه الاستزادة المتابعة العدد، والتدرج فيه إلى السبعة تقطع أن المراد حقيقة العدد سبعة.

ب - أن غاية ما تفيد الآثار التي استشهدوا بها، التمثيل لنوع التغاير والاختلاف.

جـ- أنه يعارض النصوص الثابتة ومنها قول علي - ﷺ - بأمر النبي ﷺ: إن رسول اللّه ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما عُلِّمتم. فالقراءة لا تجوز إلا بما ثبت نقله وسماعه من رسول اللّه ﷺ، ولهذا لم ينقل في اختلاف الصحابة وإنكار بعضهم على بعض أن أحداً منهم قرأ من عند نفسه شيئاً، بل كان كل واحد يصرح بالسماع من الرسول على النحو الذي قرأ به.

د - أن القول بعدم إرادة العدد يؤدي إلى القول بجواز القراءة على المعنى لمن شاء، وهو أمر باطل.

وعلى ذلك يتبين أن القراءة مقيدة بالسماع من رسول اللّه ﷺ، وأن دعوى أن=

القول الثامن: أن المراد بالأحرف السبعة سبع قراءات. وهو اختيار الخازن(١).

قال: وهو الصحيح الموافق للحديث، لأن هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي ﷺ وضبطها عنه الصحابة، وأثبتها عثمان والجماعة في المصاحف، وأخبروا بصحتها، وحذفوا منها ما لم يثبت متواتراً، وأن هذه الأحرف تختلف معانيها تارة، وألفاظها أخرى، وليست متضادة ولا متباينة.(٢)

ونقل ابن عطية فيما حكاه عن القاضي أبي بكر الباقلاني أنه قال: وزعم قوم أن كل كلمة تختلف القراءة فيها فإنها على سبعة أوجه، وإلا بطل معنى الحديث، قالوا: وتعرف بعض الوجوه بمجيء الخبر به، ولا يعرف بعضها إذا لم يأت به خبر.

قال الباقلاني: وقال قوم: ظاهر الحديث يوجب أن يوجد في القرآن

=حقيقة العدد غير مرادة دعوى باطلة.

انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٤٩ - ونزول القرآن على سبعة أحرف لمناع القطان: ٨٨- وحديث الأحرف السبعة للقاري: ٦٧ - والأحرف السبعة للعتر: ١٢٩.

(١) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٢ - وبه قال الخليل بن أحمد. انظر: التمهيد لابن عبد البر: ٨/ ٢٧٤ - والبرهان للزركشي: ١/ ٢١٤ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٤٦ - ومناهل العرفان للزرقاني: ١/ ١٧٣.

(٢) انظر: تفسير الخازن: ١/ ١٢.

كلمة أو كلمتان تقرآن على سبعة أوجه، فإذا حصل ذلك تم معنى الحديث.[١]

وقد رد ابن جرير هذا الرأي ولم يرتضه وقال: إن اختلاف القراءة في رفع حرف وجره ونصبه، وتسكين حرف وتحريكه، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة، فمن معنى قول النبي ﷺ: «أُمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف». بمعزل؛ لأنه لا حرف من حروف القرآن مما اختلف القراء فيه بهذا المعنى يوجب المراء به كفر المماري به في قول أحد من علماء الأمة، وقد أوجب ﷺ بالمراء فيه الكفر، من الوجه الذي تنازع فيه المتنازعون إليه، وتظاهرت عنه بذلك الرواية.[٢]

وذكر القرطبي أن بعضهم قال: إن المراد بالأحرف السبعة: القراءات السبع التي قرأ بها القراء السبعة؛ لأنها كلها صحت عن رسول الله ﷺ.

ثم قال: وهذا ليس بشيء لظهور بطلانه.

قال: قال كثير من علمائنا كالداوودي[٣] وابن أبي صفرة وغيرهما:

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٣٨ - ونكت الانتصار للباقلاني: ١١٨.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ٦٥.

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداوودي البوشنجي، إمام حافظ مسند شاعر، محاسنه جمة، قال ابن النجار: كان من الأئمة الكبار في المذهب، توفي (٤٦٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١٨/ ٢٢٢ - والبداية والنهاية لابن كثير: ١٢/ ١١٢.

هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها؛ وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف.

والقراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء، وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى، فالتزمه طريقة ورواه وأقرأ به واشتهر عنه، وعرف به ونسب إليه، فقيل: حرف نافع، وحرف ابن كثير، ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره بل سوَّغه وجوزه[1].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٤٦.

قلت: ويظهر لي أن الأمر قد اختلط على بعض أهل العلم فظنوا أن القائل بأن الأحرف السبعة هي سبع قراءات يعني بقوله هذا قراءات القراء السبعة المشهورين الذين جمعهم الإمام ابن مجاهد في كتابه السبعة، ولهذا شددوا النكير على القائل به، فقال أبو شامة: وظن جماعة ممن لا خبرة له بأصول هذا العلم أن قراءة هؤلاء الأئمة السبعة هي التي عبر عنها النبي ﷺ بقوله: «نزل القرآن على سبعة أحرف». وزاد ابن الجزري فقال: بلغنا عن بعض من لا علم له أن الأحرف السبعة التي أشار إليها النبي ﷺ هي قراءة هؤلاء السبعة. وقال المهدوي: لقد فعل مسبع هذه السبعة ما لا ينبغي له، وأشكل على العامة بإيهامه كل من قلَّ نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر.

وهكذا يتبين لنا أن هذا الظن خطر للعامة وليس لأهل العلم المحققين، فما كان ينبغي أن يولى هذا الاهتمام لأمر عارض ويترك أصل الموضوع دون اهتمام، كما أن المرء ليستغرب من مثل الزرقاني - رحمه الله - وهو من هو في علمه ونظره الثاقب في=

....

=علوم القرآن أن يأخذ الرد على مثل هذا القول منه هذا الاهتمام العظيم.

إنني لم أقف خلال البحث على قول لأحد من أهل العلم فسر الأحرف السبعة بقراءات القراء السبعة المشهورين، إذ معلوم لدى الجميع تأخر القراء السبعة، وتقدم نزول حديث الأحرف السبعة، وقد نقل الزركشي والسيوطي هذا القول غير أنهما ذكرا بأن من جملة ما قيل أنها سبع قراءات. ونسبه الزركشي للخليل بن أحمد، كما ذكر ذلك غيره، وهو حق، فمن أين جاءت القراءات السبع؟ ولبعد هذا الرأي وجنوحه شدد أبو طاهر عبد الواحد بن أبي هاشم القول على من نسب إلى ابن مجاهد أنه فسر الأحرف السبعة بقراءة الأئمة السبعة. وقال: إن من نسب ذلك إليه قال على الرجل إفكاً واحتقب عاراً. وإن كنت أرى أن ابن مجاهد حين اختار من القراء سبعة أن اختياره كان تيمناً وتفاؤلاً في إصابة الأحرف السبعة التي نزل القرآن عليها، تماماً مثل أولئك الذين اجتهدوا في تحديد أسماء الله الحسنى فذكروا تسعة وتسعين اسماً راجين أن تكون هي الأسماء التي جاءت في الحديث: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة». إذاً فَرْقٌ بين القولين.

ولعل هذا الاختلاط كان السبب الذي جعل الأستاذ عبد العزيز القاري يعرض عن تسمية اختياره في الأحرف بسبع قراءات، وأن يطلق عليها عبارة أبعد عن الشبهة والاشتباه، فصاغ لذلك عبارة محكمة، دفع بها ما قد يعترض على القائل بأنها سبع قراءات، فقال يحفظه الله:

الأحرف السبعة هي: «وجوه متعددة متغايرة منزلة من وجوه القراءة، يمكنك أن تقرأ بأي منها فتكون قد قرأت قرآناً منزلاً، والعدد هنا مراد، بمعنى أنّ أقصى حد يمكن أن تبلغه الوجوه القرآنية المنزلة هو سبعة أوجه، وذلك في الكلمة القرآنية الواحدة، ضمن نوع واحد من أنواع الاختلاف والتغاير، ولا يلزم أن تبلغ هذا الحد في كل موضع من القرآن».

وهكذا كان لعرضه هذا الرأي بهذه الصورة القبول في أوساط أهل العلم كما=

....

=علمت، وإن كان الدكتور القاري مسبوقاً في اختياره - فهو كما ذكر لم يأت بـالجديد - غير أنه صاغ الاختيار صياغة جديدة، فجمع أطراف المسألة المبعثرة، وممن سبقه إلى هـذا الخليل بن أحمد واختاره الخازن كما سبق، وعبر الحافظ ابن حجر بعبارة قريبة من عبارته حين قال: باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، أي على سبعة أوجه يجوز أن يقـرأ بكـل منها، وليس المراد كل كلمة ولا جملة منه تقرأ على سبعة أوجه، بل المراد غاية مـا انتهـى إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة إلى سبعة.

وهو الذي يفهم من عبارات بعض العلماء الذين اعتبروا القراءات السبع المشهورة جزءاً من الأحرف السبعة، وأكتفي بذكر قول أبي العباس المهدوي في هذا: فقد نقـل عنـه أنـه قال: أجمع الحذاق من أهل النظر في معنى ذلك أن ما نحن عليـه في وقتنـا هـذا مـن هـذه القراءات هو بعض الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن. وسواء كان جزءاً منها أو أنها كلها، فتفسير الحرف بـالقراءة وارد في كلامهـم، وتفسـيره بالوجـه وارد، فلـم لا تكـون القراءات التي يقرأ بها هـي الأحـرف السـبعة الـتي نـزل عليهـا القـرآن؟ إننـا إذا فسـرنا الأحرف بذلك نكون قد تجنبنا التكلف في القـول الـذي ظهـر علـى الأقـوال الأخـرى، ونكون قد اجتنبنا الوقوع في المحظور الذي ورد على الأقوال الأخرى من القائلين بـزوال الأحرف على يد الصحابة، وما يترتب على هذا من المحظور.

فما رآه المهدوي والحافظ ابن حجر والخازن والدكتور القاري هو الذي أميل إليه في هذه المسألة الهامة، وهو الذي يميل إليه أستاذي الدكتور / محمد بن عبد الرحمن الشايع، ويراه أستاذي الدكتور / علي بن سليمان العبيد، ولإثبات ذلـك أقتبـس مـن تعليـل الأسـتاذ القاري بعضاً من أقواله وما ذكره من احترازات للتعريف، إذ بها يتضح الأمر وينجلي.

وقبل ذلك يحسن إيراد جملة من المؤيدات لهذا الرأي إضافة إلى ما سبق من الـردود علـى الأقوال الأخرى:

أ - أن الحرف فسر في اللغة بالقراءة وبالوجه، فقيل: حرف فلان، أي قراءة فلان، قال=

....

=ابن سيده: الحرف القراءة التي تقرأ على أوجه.

ب - أن اختلاف الصحابة كان في اللفظ دون المعنى.

جـ- أن التخفيف والتسهيل الذي هو مراد الشرع من الإنزال يتحقق في هذا الوجه دون غيره.

د - أن القول بأنها سبع قراءات تظهر معجزة قوله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ فالقراءات من دون بقية الأقوال محفوظة على مرور السنين، تكَّفل اللّه بحفظها.

هـ- أن أسانيد القراءات القرآنية الصحيحة ثابتة إلى الصحابة ثم إلى رسول اللّه ﷺ فكل قراءة سمعها صحابي أو أكثر من رسول اللّه ﷺ، وكذا الأحرف السبعة كما هي في الأحاديث الثابتة، ولهذا كان تفسيرها بالقراءات من ألزم الأمور وأوضحها.

و- أن جمع عثمان كما يقول القرطبي كان للقراءات المشهورة يقول في ذلك:.. وكان هذا من عثمان - أي حرق المصاحف - بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وجلة أهل الإسلام، وشاورهم في ذلك؛ فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت في القراءات المشهورة عن النبي ﷺ وإطراح ما سواها.

ز - صحيح أن الموجود بين أيدينا عشرات القراءات الصحيحة، غير أن أقصى ما تبلغه القراءة في الكلمة القرآنية الواحدة هي سبع قراءات ولا تتجاوز ذلك.

أما تفسير الرأي المختار:

قوله: (هي وجوه متعددة متغايرة منزلة من وجوه القراءة): هذا ترجيح لأحد المعاني التي تحتملها لفظة الحرف، وهي موصوفة بأربع صفات: فهي (متعددة) قد تصل إلى سبعة، وهي (متغايرة) سواء في اللفظ أو في اللفظ والمعنى، وهي (منزلة) تلقاها الرسول ﷺ من جبريل عن اللّه، وأقرأها أصحابه كما هي، وفي هذا القيد ردٌّ على من زعم أن الرخصة تتضمن إباحة التصرف في ألفاظ القرآن. وهي (من وجوه القراءة) لكون =

....

=اجتماع كافة ألفاظ الأحاديث على هذه اللفظة: أقرأني جبريل.. إن اللّه يأمرك أن تقريء أمتك... فبأي حرف قرأوا... سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئنيها رسول اللّه ﷺ.. فقرأ قراءة أنكرتها عليه... إلخ من الألفاظ الصريحة في تعلق الاختلاف بالقراءة.

وقوله: (يمكنك أن تقرأ بأي منها فتكون قد قرأت قرآناً منزلاً) فكل وجه منها قرآن كما في الحديث: فأيما حرف قرأوا فقد أصابوا. فهي كلها في منزلة واحدة؛ ولهذا حرص عثمان على كتابتها جميعها برسم واحد في المصاحف.

وقوله: (والعدد هنا مراد) وهو سبعة كما في ألفاظ الحديث.

وقوله: (بمعنى أن أقصى حد يمكن أن تبلغه الوجوه القرآنية المنزلة هو سبعة أوجه..) وهو ما قاله جمهور العلماء عدا ابن جرير والقاضي عياض. وغالب القرآن قرأ على وجه واحد، وفيه ما قرئ إلى سبعة أوجه.

انظر: المرشد الوجيز لأبي شامة: ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٦ - وتفسير القرطبي: ١/ ٥٢ - والنشر في القراءات العشر لابن الجزري:١/ ٣٣ -ومناهل العرفان للزرقاني:١/ ١٩١ - ١٩٢ - وحديث الأحرف السبعة للدكتور / عبد العزيز القاري: ٨٨ - ١١٠.

الموضوع الخامس عشر

الظهر والبطن والحد والمطلع

يعد هذا الموضوع تتمة للموضوع السابق (الأحرف السبعة)، ولذا تعرض له المفسرون في مقدماتهم عند حديثهم عن الأحرف السبعة، وقد ذكره ابن جرير الطبري[(١)]، ثم الماوردي[(٢)]، فالبغوي[(٣)]، فالخازن تبعاً لأصله[(٤)].

وقد أخرج ابن جرير بسنده من طريقين عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: أُنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حَدٌّ، ولكل حد مطلع[(٥)] [(٦)].

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٢٢.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٤٠.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ٤٦.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ١٣ - وقد بحث السيوطي هذا الموضوع في الإتقان: ٤/ ١٩٥ وابن عقيلة في الزيادة والإحسان: ٢/ ٥٥٩ تحقيقي.

(٥) مطَّلع، ويجوز ((مَطْلَع))، بوزن مصعد ومعناه. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير «طلع»: ٣/ ١٣٢.

(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٢٢، قال أحمد شاكر: هما حديث واحد بإسنادين ضعيفين، أما أحدهما فلانقطاعه بجهالة راوية «عمن ذكره عن أبي الأحوص»، وأما=

وأخرجه البغوي بسنده عن ابن مسعود، وأورده الخازن بسند البغوي.[١]

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: ما نزل من القرآن من آية إلا لها ظهر

=الآخر فمن أجل إبراهيم الهَجَري. قال: وبهذا اللفظ ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير: ٢٧٢٧ ونسبه للطبراني في المعجم الكبير، ورمز له بعلامة الحسن. قال شاكر: أما أوله «أنزل القرآن على سبعة أحرف» فإنه صحيح ثابت.

قلت: إبراهيم الهجري ضعيف، ضعفه ابن معين والنسائي، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٢/ ١٣١ - وتهذيب الكمال للمزي: ٢/ ٢٠٣ - والضعفاء والمتروكين للنسائي: ٤٠ - وتهذيب التهذيب لابن حجر: ١/ ١٦٤.

ورواه ابن حبان في صحيحه رقم (٧٤) من طريق آخر بلفظ: «أُنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن». - وانظر موارد الظمآن: ٤٤١ قال شعيب الأرناؤط: إسناده قوي. انظر: شرح السنة للبغوي: ١/ ٢٦٣ حاشية (١).

ورواه أبو عُبيد في فضائل القرآن: (ح ٨٣ - ٣٧) - وفي غريب الحديث: ٢/ ١٢٠ - والطحاوي في مشكل الآثار: ٤/ ١٨٢ - وأورده البقاعي في مصاعد النظر: ١/ ٣٧٢ - والهيثمي في المجمع: ٧/ ١٥٢ وعزاه للبزار وأبي يعلى في الكبير والطبراني في الأوسط ورجال أحدهما ثقات.

(١) تفسير البغوي: ١/ ٤٦ - والخازن: ١/ ١٣، وفي سند البغوي أبو الهذيل بن غالب بن الهذيل الأودي، قال عنه ابن حجر في التقريب: ٢/ ١٠٤: رمي بالرفض.

وبطن، ولكلِّ حرف حدٌّ، ولكل حد مطلع.(١)

وقد اختلف العلماء في تفسير مفردات الأثر.

فقوله: «إن لكل حرف منه حداً»:

قال الطبري: لكل وجه من أوجهه السبعة حَدٌّ حدَّه اللّه جل ثناؤه، لا يجوز لأحد أن يتجاوزه(٢).

وذكر الماوردي تأويلان آخران للحد:

فقيل: معناه أن لكل لفظ منتهى فيما أراده اللّه تعالى من عباده.

وقيل: إن لكل حكم مقداراً من الثواب والعقاب.(٣)

قال البغوي: أراد أن لـه حـدّاً في التلاوة والتفسير لا يجاوزه، ففي التلاوة لا يجاوز المصحف - الذي هو الإمام - وفي التفسير لا يجاوز المسموع.(٤)

---

(١) أورده الماوردي في تفسيره: ١/ ٤٠ - وأخرجه البغوي عن الحسن يرفعه إلى النبي ﷺ. شرح السنة: ١/ ٢٦٢ - وهو في مشكاة المصابيح للخطيب: ١/ ٨٠ من حديث ابن مسعود مرفوعاً. وأورده الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٥٣، وعزاه للطبراني.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٨٢.

(٣) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٤١.

(٤) انظر: تفسير البغوي: ١/ ٤٧ - والخازن: ١/ ١٣ - وما بين المعقوفتين من شرح السنة=

وقوله: «وإن لكل حرف منها ظهراً وبطناً»

قال الطبري: ظهره: الظاهر من التلاوة، وبطنه: ما بطن من تأويله[(١)].

وذكر الماوردي أن العلماء اختلفوا في معنى الظهر والبطن على أربعة تأويلات:

فقيل: معناه أنك إذا فتشت عن باطنها وقسته على ظاهرها وقفت على معناها. وهذا قول الحسن[(٢)].

وقيل: يعني القصص، ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين، وباطنها عظة للآخرين. وهذا قول أبي عبيد[(٣)].

وقيل: يعني ما من آية إلا وقد عمل بها قوم، ولها قوم سيعملون بها. وهذا قول ابن مسعود[(٤)].

وقيل: ظاهرها لفظها، وباطنها تأويلها. وهذا قول الجاحظ[(٥)]. وهو

=للبغوي: ١/ ٢٦٤.

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٧٢.

(٢) انظر: شرح السنة للبغوي: ١/ ٢٦٣.

(٣) انظر: تفسير البغوي: ١/ ٤٦ - والخازن: ١/ ١٣ - وشرح السنة للبغوي: ١/ ٢٦٣.

(٤) أخرجه أبو عبيد عنه في فضائل القرآن: (ح ٨٤ - ٣٨) - وأورده البغوي في شرح السنة: ١/ ٢٦٣ وقال: هذا حديث مرسل. وانظر: مصاعد النظر للبقاعي: ١/ ٣٧٤.

(٥) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٤١ - والبغوي: ١/ ٤٦ - والخازن: ١/ ١٣.

قريب مما قاله الطبري. قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤] فهذا هو الظاهر، و﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩] هذا هو الباطن.

قال البغوي: والتلاوة تكون بالتعلم والحفظ بالدرس، والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة، وطيب المطعم(١).

وقوله: «وإن لكل حد من ذلك مطلعاً»

قال الطبري: يعني إن لكل حد من حدود اللّه التي حدها فيه - من حلال وحرام وسائر شرائعه - مقداراً من ثواب اللّه وعقابه، يعاينه في الآخرة، ويطلع عليه ويلاقيه في القيامة، كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: ولو أن لي ما في الأرض من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع. يعني بذلت ما يطلع عليه ويهجم عليه من أمر اللّه بعد وفاته.(٢)

وأضاف الماوردي فقال: وقيل: معناه أن لكل غامض من الأحكام مطلعاً يوصل منه إلى معرفته، ويوقف منه على المراد منه(٣).

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ١/ ٤٦ - والخازن: ١/ ١٣٣ - وشرح السنة للبغوي: ١/ ٢٦٤.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ٧٢ - وأورده الماوردي: ١/ ٤٢ - وانظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (طلع): ٣/ ١٣٢ - ونهاية البيان لابن المعافى، مخطوط: (و٣ب) - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٢/ ٥٦٢ تحقيقي.

(٣) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٤٢.

وقال البغوي: أي مصعد يصعد إليه من معرفة علمه. قال: ويقال: المطلع: الفهم. فقد يفتح الله على المتدبر والمتفكر في التأويل والمعاني ما لا يفتح على غيره، وفوق كل ذي علم عليم.(١)

---

(١) انظر: تفسير البغوي: ١/ ٤٦ - والخازن: ١/ ١٤ - وشرح السنة للبغوي: ١/ ٢٦٥.

والذي يترجح لدي، والله أعلم، إن ثبتت الروايات أن نقول: إن (الظاهر) هو ما يتبادر من ظاهر الآية، وهو ما تعرفه العرب من كلامها، و(الباطن) ما يخفى ولا يدركه إلا من أُيّد بفهم من الله سبحانه، وهو التفسير الذي يعلمه العلماء بالاستنباط والفقه.

و(الحد) المعنى الذي ينبغي أن يوقف عنده، و(المطلع) هو المعنى الذي يرشد إلى الوقوف عند هذه النهاية. ويضرب ابن عقيلة المكي لذلك مثالاً قوله تعالى ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، فيقول:

ظاهر الآية: الثناء عليه سبحانه وتعالى.

وباطنها: توحيد الله سبحانه، وتفريده بالعبادة، فإنه إذا كان الثناء جميعه مخصوصاً به فلا أحد يستحق الثناء سواه، فكيف يُعبد أو يقصد من ليس له حمد في شيء.

والحد: الذي ينبغي أن يقصد ويوقف عنده، الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى في كل شيء، والتوكل عليه، والاكتفاء بما سواه.

والمطلع: هو الذي أرشد إلى فهم الحد، وهو حصر الحمد فيه سبحانه، فإن لفظ الحمد أفهم انحصار الحمد فيه، فأطلعنا من حصر الحمد فيه - جل شأنه - إلى أن ما سواه في حكم العدم، فلم ننزل بسواه حاجاتنا، ولم نتوكل على ما عداه في مهماتنا.

انظر: الزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي: ٢/ ٥٦٣ تحقيق محمد صفاء حقي.

الموضوع السادس عشر

ما وقع في القرآن بغير لغة العرب

بحث هذا الموضوع في مقدمته ابن جرير الطبري(١) وابن عطية(٢) والقرطبي(٣).

وقد وردت آثار عديدة من الصحابة تفيد وجود كلمات بغير لغة العرب في القرآن، ومن تلك الآثار:

١) ما أخرجه الطبري بسنده عن أبي موسى قال: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَحْمَتِهِ﴾ [الحديد: ٢٨] قال: الكفلان ضعفان من الأجر بلغة الحبشة.(٤)

٢) وأخرج عن ابن عباس ﷺ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ [المزمل: ٤] قال:

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٨ - ٢٠.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٥٧.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ٦٨؛ وقد بحث هذا الموضوع ابن الجوزي في فنون الأفنان: ٣٤١ - والسيوطي في الإتقان: ١٤/ ٤٢٧ - ونقله بتمامه ابن عقيلة في الزيادة والإحسان: ٣/ ١٢٣٠ تحقيق / خالد اللاحم.

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ١٣ - وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ١٠/ ٤٧١ - وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٨/ ٦٧ ط دار الفكر.

هي بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل قالوا: نشأ.(١)

٣) وأخرج عن أبي ميسرة ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ [سبأ: ١٠] قال: سبحي بلسان الحبشة(٢).

٤) وأخرج عن ابن عباس أنه سئل عن قوله: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥١] قال: هو بالعربية: الأسد، وبالفارسية: شار، وبالنبطية: أريا، وبالحبشية: قسورة.(٣)

٥) وأخرج عن أبي ميسرة قال: في القرآن من كل لسان.(٤) وغير ذلك من الآثار التي توحي بوجود ألفاظ وكلمات في كتاب اللّه وللغات العجم بها تعلق.

وقد اختلف العلماء في وقوع المعرَّب في القرآن على ثلاثة أقوال:

القول الأول: عدم وقوع المعرَّب في القرآن:

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ١٣ - وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ١٠ / ٤٧١ - والبيهقي في السنن الكبرى: ٣/ ٢٠ - والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود: ٢/ ٥٠٥ وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ١٤ - وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٧/ ١٤٩ ط دار الفكر.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ١٤ - وانظر تفسير ابن كثير: ٤/ ٤٧٦.

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره: ١/ ١٤ - وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف: ١٠ / ٤٦٩

ذهب ابن جرير الطبري، وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو بكر بن الطيب الباقلاني وغيرهما[١] إلى أن القرآن كله عربي ليس فيه لفظة إلا وهي عربية صريحة، وما وجد فيه من الألفاظ التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد، فتواردت اللغات عليها وتكلمت بها العرب والفرس والحبشة وغيرهم، وليس أحد أولى بأن يكون أصل ذلك كان من عنده من الجنس الآخر[٢].

وقد استشهد أصحاب هذا الرأي بأدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].

---

(١) وقال أبو عبيدة: إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول.

وإلى هذا الرأي ذهب الإمام الشافعي وشدد النكير على القائل بوقوع المعرب في القرآن وقال عن إخفاء معنى بعض الكلمات عن بعض مشاهير الصحابة؛ أن لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي.

وذهب إليه ابن فارس وقال: لو كان فيه من لغة غير العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها.

انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٨ - والرسالة للشافعي: ٤٠ - ٤٢ - والمعرَّب للجواليقي: ٩٢ - والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي: ٢٢ - والصاحبي لابن فارس: ٣٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١/ ١١ - ١٥ - وتفسير القرطبي: ١/ ٦٨ - ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ١/ ٨ - ونكت الانتصار للباقلاني: ٣٤٥.

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

٣- أن الحجة لا تقوم على من نزل عليهم القرآن إلا إذا كان ذلك بلغتهم، قال تعالى: ﴿لَّقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء﴾ [فصلت: ٤٤].

حيث وصف اللّه تعالى كتابه بأنه عربي، ونفى سبحانه أن يكون جعل شيئاً منه أعجمياً، والعربية صفة شاملة لا يجوز لأحد أن يخصص شمولها على بعض القرآن دون بعض.

٤- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

فالحكمة والمنطق السليم يستدعيان أن يكون القرآن كله بلسان العرب، ويثبت ابن جرير ذلك على النحو الآتي:

إن أبين البيان بيان اللّه، وأفضل الكلام كلامه، وهو جلت قدرته منزّه عن النقص والعيب، ومن كماله سبحانه أنه ما أرسل رسولاً إلا بلسان قومه، وما أنزل كتاباً إلا بلسان النبي المرسل، والقوم المرسل إليهم، وحينئذ

يكون في الخطاب فائدة، وإلا كان ما أنزل عبثاً، واللّه جل ثناؤه يتعالى أن يخاطب أحداً أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب به أو أرسل إليه، فذلك في العباد صفة نقص وعيب، واللّه تعالى متعال عن ذلك.

فإذا عرف هذا تبين أن النبي محمد ﷺ العربي المرسل إلى قومه، حمل إليهم الكتاب المنزل بلغتهم وعلى أساليب كلامهم ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وكان ما جاء فيه من المعاني واضحة ولمعاني كلامهم موافقة، وظاهره لظاهر كلامها ملائمة. وعليه فليس فيه شيء خارج كلامهم، ولا من لغة غيرهم، لكون ذلك يناقض كمال الحكمة.(١)

ويوجه ابن جرير الآثار السابقة التي أكدت وجود كلمات لها نفس المدلول والمعنى في كلام العرب وكلام غيرهم، بأن القائل بها لم يقل أنها ليست عربية، بل غاية ما قاله أن حرف كذا بلسان الحبشة معناه كذا، وحرف كذا بلسان العجم معناه كذا. قال: ولم نستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق عليه ألفاظ جميع أجناس الأمم المختلفة الألسن بمعنى واحد، فكيف بجنسين منها، فمثلاً كلمة الدرهم، والدينار، والدواة، والقرطاس، والقلم، وغيرها كثير مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى.

واعترض: بأن ما ذكر أصله فارسي لا عربي، أو عربي لا فارسي، أو

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ٨-١٢ بتصرف.

أن بعضه عربي وبعضه فارسي، أو أن مخرج أصل ذلك الفرس، ثم تكلمت العرب به، أو مخرج أصله العرب ثم تكلمت الفرس به.

وأجيب بأن أياً من الجنسين ليس بأولى به من الآخر، ولا هو أحق به منه، وادعاء الأولوية لا يكون إلا بخبر صحيح يوجب العلم، ويزيل الشك، وهو أمر متعذر، ولهذا كان السبيل الأقوم إضافة ذلك إلى سائر الأجناس المشتركة فيه، فتكون عربية أعجمية حبشية.. إلخ.(١)

قال ابن عطية: وما ذهب إليه الطبري من أن اللغتين اتفقتا في لفظة لفظة فذاك بعيد، بل إحداهما أصل، والأخرى فرع في الأكثر، لأنا لا ندفع أيضاً جواز الاتفاق قليلاً شاذاً.(٢)

كما اعترض عليه بقول أبي ميسرة: إن في القرآن من كل لسان.

وأجيب: أن معناه أن فيه من كل لسان اتفق فيه لفظ العرب ولفظ غيرها من الأمم التي تنطق به.(٣)

واعترض أيضاً بأن تلك الكلمات ليست على أوزان كلام العرب.

وأجاب القرطبي: أن أحداً لم يدَّعِ حصر أوزان كلام العرب، بل إن

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٥.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٧.

القاضي - أبو بكر الباقلاني - بحث أصول أوزان كلام العرب، ورد تلك الأسماء إليها على الطريقة النحوية[(١)].

القول الثاني: وقوع المعرَّب في القرآن:

ففي القرآن كلمات قليلة غير عربية لا تخرج القرآن عن كونه عربياً مبيناً، ولا رسول اللّه ﷺ عن كونه متكلماً بلسان قومه، فـ(المشكاة): الكوة. و(الغساق): البارد المنتن بلسان الترك. و(القسطاس): الميزان بلغة الروم. و(السجيل): الحجارة والطين بلسان الفرس.. وغير ذلك.[(٢)]

القول الثالث: وجود كلمات أصولها غير عربية لكن العرب استعملتها وعرَّبتها: وهذا رأي وسط ذهب إليه ابن عطية[(٣)]، وبين أن القرآن نزل

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٨. قلت: وقال بهذا الفقهاء كما حكا ذلك أبو عبيد، واستشهد أصحاب هذا الرأي إضافة إلى ما سبق أن النحاة اتفقوا على منع صرف نحو (إبراهيم) للعلمية والعجمة. وأجيب: بأن الأعلام ليست محل خلاف. ورُدَّ: أنه إذا اتفق على وقوع الأعلام فلا مانع من وقوع الأجناس. وهو ما ذهب إليه ابن النقيب، واختاره السيوطي، وقال: إن الرسول ﷺ مبعوث إلى كل الأمم ولا بد أن يكون في المنزل من كل لسان، وإن كان أصله بلغة قومه. انظر: الإتقان للسيوطي: ١/ ٤٢٨ - والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرَّب للسيوطي: ٢٨.

(٣) وإلى هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام، ومال إليه الجواليقي وابن الجوزي وغيرهم.

يقول أبو عبيد: والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه=

بلسان عربي مبين، فليس فيه لفظة تخرج عن كلام العرب فلا تفهمها إلا من لسان غيرها.

لقد كان للعرب العاربة مخالطة لسائر الألسنة والأمم بالتجارة والرحلات والأسفار وغيرها من دواعي الاتصال، وكان من نتائج هذا الاختلاط انتقال بعض ألفاظ تلك الشعوب إلى العرب، كما انتقلت من ألفاظ العرب إليها، فغيرت العرب تلك الألفاظ بالنقص من حروفها، وتخفيف ثقل العجمة فيها، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الصريح، فهي في الأصل غير عربية لكن استعملتها العرب وعربتها، فهي عربية بهذا الوجه.(١)

ورُدَّ هذا بأنه لا يوجد دليل على أن العرب هي التي أخذت تلك

=الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعرَّبتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها عربية فهو صادق ومن قال: أعجمية فصادق. انظر: المعرَّب للجواليقي: ٩٢ - وفنون الأفنان لابن الجوزي: ٣٤٤.

قلت: وهذا القول هو الذي أميل إليه، فوجود كلمات أصولها البعيدة غير عربية، واستعملتها العرب في كلامها على مر العصور، حتى انتشرت واشتهرت، لا تخرج القرآن من كونه عربياً مبيناً، فجميع كلمات القرآن عربية لوصف الله تعالى للقرآن بأنه عربي مبين، فلا لبس في كلمة من كلماته، وما حدث من الخلاف هو في الأصول البعيدة لبعض الكلمات لا في وصفها ووضعها الآن، والله أعلم.

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٧ - ٥٨.

الكلمات من غيرها وعربتها. ثم لم لا تكون العرب هي التي تكلمت بها أولاً ثم وقعت إلى سائر أجناس الأمم فنطقت بها، وأجرتها على أساليب لغتها؟![1]

وأجيب بأن أوزان تلك الكلمات توحي أنها غير عربية. وقد سبق القول في هذا.

(١) انظر: تفسير الطبري: ١/ ١٩.

الموضوع السابع عشر

الوقف والابتداء[(١)]

بحث هذا الموضوع في مقدمته من بين المفسرين جميعهم ابن جزي الكلبي[(٢)]، ذكر فيه أن الوقف على أربعة أنواع[(٣)]:

١- وقف تام[(٤)].

---

(١) عرف أبو حيان الوقف بأنه: قطع النطق آخر اللفظ. وقال الجعبري: قطع صوت القارئ على آخر الكلمة الوضعية زماناً. وقال ابن الجزري: قطع صوت القارئ على آخر الكلمة زماناً يتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة بما يلي الحرف الموقوف عليه، أو بما قبله، لا بنية الإعراض. وهذا هو أفضل تعريف للوقف وقفت عليه.
انظر: كنز المعاني للجعبري: ٣٦٦ مخطوط - والنشر لابن الجزري: ١/ ٢٤٠ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ٤/ ١٠٤٣ تحقيق الشيخ فهد العندس.

(٢) انظر تفسيره: ١/ ٢٠-٢١.

(٣) هذا التقسيم للوقف هو الراجح الذي عليه الحذاق من أهل العلم بالقراءات كأبي عمرو الداني وأبي الأصبغ الأندلسي، وغيرهما، وهو عند ابن الأنباري ثلاثة أوجه إذ ليس عنده بالكاف، وقد يبلغ عند بعضهم إلى ثمانية أضرب كما قال السيوطي.
انظر: المكتفى في الوقف والابتداء للداني: ١٣٨- ونظام الأداء في الوقف والابتداء لابن أبي الأصبغ الأندلسي: ٢٨- والإتقان للسيوطي: ١/ ٢٥٩.

(٤) يعرف الداني الوقف التام ويسمى "المختار" بقوله: هو الذي يحسن القطعُ عليه، والابتداء بما بعده لأنَّهُ لا يتعلق بشيءٍ مما بعدهُ، وذلك عند تمام القصص وانقضائهن، موجوداً في=

٢- وقف حسن[١].

٣- وقف كاف[٢].

=الفواصل ورؤوس الآي. اهـ. أي ويكثر وجوده عند الفواصل ورؤوس الآي. وقد يكون قبل انقضاء الفاصلة، أو بعد انقضائها بكلمة أو كلمتين أو أكثر، وقد يكون في درجة الكاف، وأمثلة كثيرة منها: ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ [البقرة:٥] والإبتداء بقوله: ﴿إنَّ الذين كفروا ﴾ [البقرة:٦].

انظر: المكتفى في الوقف والابتداء للداني: ١٤٠- ونظام الأداء في الوقف والابتداء لابن أبي الأصبغ: ٣٠.

(١) يعرف الداني الوقف الحسن بقوله: هو الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً. ويسمى الوقف الحسن صالحاً لأنه لا يمكن للقارئ أن يقف في كل موضع على تام ولا كاف؛ لأن نَفَسَه ينقطع دون ذلك.

ومن أمثلة الوقف الحسن: ﴿الحمد للّه رب العالمين﴾ و﴿الرحمن الرحيم﴾ والابتداء بـ﴿رب العالمين﴾ لا يحسن لأن ذلك مجرور والابتداء بالمجرور قبيح لأنه تابع لما قبله.

انظر: المكتفى في الوقف والابتداء للداني: ١٤٥ - ونظام الأداء في الوقف والابتداء لابن أبي الأصبغ: ٤٥ - وجمال القراء للسخاوي: ٢/ ٥٦٤.

(٢) الوقف الكاف ويسمى مفهوماً وهو: الذي يحسن الوقف عليه أيضاً، والابتداء بما بعده، غير أن الذي بعده متعلق به جهة المعنى دون اللفظ.

ومن أمثلته ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ﴾ [النساء: ٣٣] والابتداء بما بعد ذلك

٤- وقف قبيح[١].

قال: وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى.

فإن كان الكلام مفتقراً إلى ما بعده في إعرابه أو معناه، وما بعده مفتقراً إليه كذلك، لم يجز الفصل بين كل معمول وعامله، وبين كل ذي خبر وخبره، وبين كل ذي جواب وجوابه، وبين كل ذي موصول وصلته.

وإن كان الكلام الأول مستقلاً يفهم دون الثاني، إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله فالوقف على الأول كاف، وذلك في التوابع والفضلات: كالحال، والتمييز، والاستثناء، وشبه ذلك إلا أن وصل المستثنى المتصل آكد

=في الآية كلها.

انظر: المكتفى في الوقف والابتداء للداني: ١٤٣ - ونظام الأداء في الوقف والابتداء لابن أبي الأصبغ: ٣٨.

(١) ويسمى متروك، وقد عرفه الداني بقوله: هو الذي لا يعرف المراد منه. وقال السخاوي: هو الذي لا يجوز تعمد الوقف عليه، إما لنقص المعنى، وإما لتغييره.

ومثال نقص المعنى ﴿بسم﴾ فهذا لا يفيد معنى، ومثال التغيير ﴿فويل للمصلين﴾ [الماعون: ٥]، وهذا يجب الاحتراز منه.

قال الداني: ويسمى وقف الضرورة لتمكن انقطاع النَّفَس عنده.

انظر: المكتفى في الوقف والابتداء للداني: ١٤٨ - ونظام الأداء في الوقف والابتداء لابن أبي الأصبغ: ٥٠ - وجمال القراء للسخاوي: ٢/ ٥٦٤.

من المنقطع، ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات، آكد من وصلها إذا كانت جملة.

وإن كان الكلام مستقلاً والثاني كذلك، فإن كانا في قصة واحدة فالوقف على الأول حسن.

وإن كانا في قصتين مختلفتين فالوقف تام.

وقد يختلف الوقف باختلاف الإعراب أو المعنى، وكذلك اختلف الناس في كثير من الوقف. ومن أقوالهم فيه: راجح، ومرجوح، وباطل، وقد يقف لبيان المراد ولم يتم الكلام[(١)].

وبعد هذا ذكر تنبيهاً أشار فيه إلى أن مراعاة الإعراب والمعنى في المواقف هو الذي استقر عليه العمل وأخذ به شيوخ المقرئين، وكان الأوائل يراعون رؤوس الآيات فيقفون عندها لأنها في القرآن كالفِقَر في النثر، والقوافي في الشعر.

قال: ويؤكد هذا ما أخرجه الترمذي عن أم سلمة رضي اللّه عنها أن رسول اللّه ﷺ كان يقطع قراءته يقول: ﴿الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقف، ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾، ثم يقف.[(٢)]

---

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٢١.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: القراءات، باب: فاتحة الكتاب: ٥/ ١٨٥،=

....

=وقال: هذا حديث غريب، وليس إسناده بمتصل، وحديث الليث أصح.- وأخرجه أبو داود في سننه (ح٤٠٠١ - ٤/ ٣٧) - والحاكم في المستدرك: ١/ ٢٣٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وأقره الذهبي.

الموضوع الثامن عشر

إعجاز القرآن

بحث هذا الموضوع أغلب المفسرين في مقدماتهم، فذكر شيئاً من إعجاز القرآن البلاغي ابن جرير الطبري[١]، وأورد الماوردي[٢]ثمانية من وجوه الإعجاز في القرآن، ثم ابن عطية[٣]، فالقرطبي[٤] الذي فصل القول، ثم ابن جزي[٥]، فأبو حيان[٦].

أنزل اللّه تعالى الحكيم، كتابه العظيم، بلسان عربي مبين، على قوم كانوا رؤساء صناعة الخطب والبلاغة، وقيل: الشعر والفصاحة، ودعاهم إلى الإيمان به، وبين لهم من أرسل إليهم وهو محمد ﷺ أن حجته على حقيقة نبوته، ودليله على صدق دعوته، ما أتاهم به من البيان والحكمة والفرقان، بلسانهم ووفق منطقهم وبيانهم، وتحداهم أن يأتوا بمثل سورة من سوره، فكانوا من هذا التحدي عجزة ومن القدرة عليه نقصه، فأقروا

---

(١) انظر: تفسيره: ١/ ٥ -٨.

(٢) انظر: تفسيره: ١/ ٣٠ - ٣٣.

(٣) انظر: تفسيره: ١/ ٥٩ - ٦٢.

(٤) انظر: تفسيره: ١/ ٦٩ - ٧٨.

(٥) انظر: تفسيره: ١/ ٢٣ - ٢٤.

(٦) انظر: تفسيره: ١/ ١٧.

بالعجز، وأذعنوا له بالتصديق، وإن تجاهل نفر من المستكبرين، وظنوا أن بمقدورهم الإتيان بمثله، وحاولوا فجاؤوا بما دل على ضعف عقولهم، وسفاهة أحلامهم، وفرَّ بعضهم إلى القتال، ورضي بسفك الدماء عجزاً عن المعارضة، وبقي الكتاب معجزاً، وظل التحدي قائماً، وبقي الفصحاء والبلغاء عاجزون[1].

وفي هذا الموضوع ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تعريف المعجزة:

عرف القرطبي المعجزة بأنها واحدة معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم، وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها.[2]

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير: ١/ ١٠ - وابن عطية: ١/ ٦١.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٩ .

وتعرف المعجزة بأنها: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة، تظهر على يد مدعي النبوة، وهي إما حسية أو عقلية. الإتقان: ٢/ ١٠٠١ - وقولنا: «تظهر على يد مدعي النبوة» مأخوذ من كلام القرطبي في الشرط الثالث.

وهو في تعريف المتكلمين: ظهور أمر خلاف العادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي نبوة من الأنبياء. انظر: أصول الدين للبغدادي: ١٧٠. =

المسألة الثانية: شروط المعجزة:

ذكر القرطبي أن للمعجزة خمسة شروط، ومتى اختل شرط منها لم تكن معجزة، وهذه الشروط هي:

الشرط الأول: أن يكون مما لا يقدر عليها إلا اللّه سبحانه، كفلق البحر، وانشقاق القمر، وما شاكلها مما لا يقدر عليها البشر.

الشرط الثاني: أن تكون خارقة للعادة، أما الأمور التي لا يقدرعليها إلا اللّه غير أنها لم تفعل لأجل مدعي الرسالة، بل كانت قبل دعواه وبقيت بعدها - كطلوع الشمس من مشرقها، ومجيء النهار بعد الليل، والليل بعد النهار وكل ما هو من هذا القبيل - فهي لا تعد معجزة لمن يدعي أنها آية صدقه، بل لا بد أن تكون خارقة للعادة ولسنن الكون، كأن ينقلب العصا ثعباناً، ويشق الحجر ويخرج من وسطه ناقة، أو ينبع الماء من بين الأصابع، وغير ذلك من الخوارق التي تشهد على نبوة من ظهر على يده.

الشرط الثالث: أن يستشهد بها مدعي الرسالة على اللّه عز وجل. فيقول مثلاً: آيتي أن يقلب اللّه سبحانه الماء زيتاً. فإذا فعل اللّه سبحانه ذلك حصل المتحدى به.

=ويعرف إعجاز القرآن بأنه: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به. مناهل العرفان للزرقاني: ٢/ ٣٣١.

الشرط الرابع: أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجزة له. لا أن تقع عكس ما ادعاه، ويروى أن مسيلمة الكذاب لعنه اللّه تفل في بئر ليكثر ماؤها، فغارت البئر وذهب ما كان فيها من الماء، فما فعل اللّه سبحانه من هذا كان من الآيات المكذبة لمن ظهرت على يديه، لأنها وقعت على خلاف ما أراده المتنبئ الكذاب.

الشرط الخامس: أن لا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة، فإن أقام اللّه تعالى من يعارضه حتى يأتي بمثل ما أتى به ويعمل مثل ما عمل بطل كونه نبياً، وخرج عن كونه معجزاً ولم يدلّ على صدقه، ولهذا قال تعالى ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤] وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: ١٣][1].

(تنبيه) قد يقال: ثبت بالأدلة الصحيحة أنه يظهر على يد المسيخ الدجال أمور جسام، وآيات عظام، وخوارق للعادة، وما ذكر من الشروط تنطبق عليه؟

ويرد القرطبي فيقول: إن ذاك يدعي الرسالة، وهذا الدجال يدعي

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٦٩ - ٧١ - وانظر: مباحث في إعجاز القرآن، للدكتور مصطفى مسلم: ١٥.

الربوبية، وبينهما من الفرق ما بين البصراء والعميان[١].

ثم إن المسيخ الدجال فيه التصوير والتغيير من حال إلى حال، وهي صفات لا تليق إلا بالمحدثات، تعالى الرب عن أن يشبه شيئاً أو يشبهه شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.[٢]

المسألة الثالثة: معجزات الرسول ﷺ:

معجزات الرسول ﷺ على ضربين:

الأول: ما اشتهر وانقرض بموت النبي ﷺ.

الثاني: ما بقي بعد وفاته ﷺ، وهو القرآن الكريم الذي تواترت الأخبار بصحته وحصوله، واستفاضت بثبوته ووجوده، ووقع لسامعها العلم بذلك ضرورة، ومن شرطه - التواتر - أن يكون الناقلون له خلق كثير وجَمٌّ غفير، وأن يكونوا عالمين بما نقلوه علماً ضرورياً، وأن يستوي في النقل أولهم وآخرهم وأوسطهم في كثرة العدد، حتى يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب، وهذه هي صفة القرآن الكريم، ونقل وجود النبي

---

(١) قال العلماء: لا يقر مدعي النبوة الكاذب على خارقة؛ لأن الأمر يلتبس على البشر، أما مدعي الربوبية أو الألوهية فيمكن أن يقر على خارقة؛ لأن العقول تدرك كذبه، ولا يلتبس أمره على العقلاء من البشر. تعليق لفضيلة الدكتور مصطفى مسلم.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٢.

ﷺ. فالقرآن معجزة نبينا ﷺ الباقية بعده إلى يوم القيامة، ومعجزة كل نبي انقرضت بانقراضه، أو دخلها التبديل والتغيير كالتوراة والإنجيل.(١)

المسألة الرابعة: وجوه إعجاز القرآن الكريم(٢):

تناول أوجه الإعجاز في القرآن الكريم الماوردي، وابن عطية، والقرطبي، وابن جزي، وأبو حيان. وقد اختلف الناس في إعجاز القرآن بما هو؟ فذكر الماوردي ثمانية أوجه(٣) الثامن منها الصرفة التي اعتبرها القرطبي خارجة عن أوجه الإعجاز المعتبرة، واكتفى ابن عطية وأبو حيان بوجهين من الأوجه الثمانية، واشترك القرطبي وابن جزي في ذكر عشرة أوجه(٤).

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٣.

(٢) من المؤلفات التي ذكرت أوجه الإعجاز في القرآن كتاب البرهان للزركشي: ٢/ ٩٠ - ١٢٤ - والإتقان للسيوطي: ١/ ١٠٠١ - ١٠٢٤ - والزيادة والإحسان لابن عقيلة: ١/ ٢٢٧ - ٢٨٠ تحقيق مصلح السامدي.

(٣) وذكر في كتابه أعلام النبوة عشرين وجهاً.

(٤) ما ذكره القرطبي من أوجه الإعجاز يتداخل كثير منها بعضها في بعض، فقد جعل ما يتعلق بالنظم جزءاً منه خاصاً بفصاحة القول، وجزءاً يتعلق بالنظم، وجزءاً يتعلق بالجزالة، وجزءاً يتعلق بالأسلوب، وكل ذلك يتعلق بالمنهج البياني.

ثم إن بعض هذه الوجوه التي ذكرها القرطبي وغيره لم يقع بها التحدي، وإن كانت من عند الله مثل إخباره عن أمور مغيبة في المستقبل ثم وقوعها، ومثل إخباره عن الأمم السابقة. انظر: المعجزة الكبرى القرآن لأبي زهرة: ٩١ ويضاف إلى هذا أن بعض=

وكان مجموع ما ذكروه من الأوجه هي:

الوجه الأول: هو الإعجاز والبلاغة، حتى اشتملت الألفاظ اليسيرة على المعاني الكثيرة، قال تعالى ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] قال الماوردي: جمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة أحرف معاني كلام كثير.(١)

يقول القرطبي: بلاغة القرآن في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الإيجاز والبيان، بل تجاوزت حد الإحسان والإجادة إلى حيز الإرباء والزيادة.(٢)

الوجه الثاني: البيان والفصاحة التي أعجزت الفصحاء وقصّر فيها البلغاء(٣)، حكا أبو عبيد أن أعرابياً سمع رجلاً يقرأ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] فسجد وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام.(٤)

=الوجوه التي ذكرها لا تصلح أن تكون وجوهاً للإعجاز لأنها لا تخرج عن حدود الطاقة، ولأن كلام كثير من الناس يشتمل عليها، مثل وجه اشتماله على الحكم البالغة، وعدم الاختلاف والتناقض بين معانيه. انظر: مناهل العرفان للزرقاني: ٢/ ٤١٣.

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٠ - وهذا اختيار الخطابي، وكثير من العلماء. البرهان للزركشي: ٢/ ١٠١.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٧.

(٣) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٠ - وابن جزي: ١/ ٢٣.

(٤) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٠.

وحكى الأصمعي أنه رأى جارية بالبادية وهي تقول:

أستغفر اللّه لذنبي كلّهِ	قتلتُ إنساناً لغير حِلّهِ
مثلَ غزالٍ ناعمٍ في دَلّهِ	فانتصف الليل ولم أُصَلِّهِ

فقال لها: قاتلك اللّه ما أفصحك؟

فقالت: أتعد هذه فصاحة بعد قول اللّه عز وجل ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧] فجمع في آية واحدة بين أمرين، ونهيين، وخبرين، وإنشاءين.(١)

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] أنبأ سبحانه في هذه الآية عن الموت، وحسرة القلوب، والدار الآخرة، وثوابها وعقابها، وفوز الفائزين، وتردي المجرمين، والتحذير من الاغترار بالدنيا، ووصفها بالقلة بالإضافة إلى دار البقاء(٢).

الوجه الثالث: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وغيرها.(٣)، وسماه الماوردي: الوصف الذي تنقضي به العادة حتى صار

---

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٠ - والقرطبي: ١/ ٧٦، والقصة ذكرها القرطبي في تفسيره: ١٣/ ٢٥٢ - وابن الجوزي: ٦/ ٢٠٣.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٦.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٣ - ابن جزي: ١/ ٢٣. وهذا اختيار القاضي أبي بكر=

خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر... فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها مع كون ألفاظه وحروفه في كلامهم، ومستعملة في نظمهم ونثرهم.(١)

قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩] وفي الحديث الذي أخرجه مسلم أن أنيساً أخا أبي ذر قال لأبي ذر: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله؛ قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون: شاعر، كاهن، ساحر. وكان أنيس أحد الشعراء، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر(٢) فما يلتئم على لسان أحد بعدي؛ أنه شعر، والله إنه لصادق، وإنهم لكاذبون(٣).

وكذلك إقرار عتبة بن ربيعة أنه ليس بسحر ولا شعر لما سمع سورة (فصلت) من رسول الله ﷺ.(٤)

وقال الوليد بن المغيرة: والله ما هو بالشعر، ولا هو بالكهانة، ولا

=الباقلاني: البرهان للزركشي: ٢/ ٩٨.

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣١.

(٢) أقراء الشعر: أي طرقه وأنواعه.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ٧٣ - والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل أبي ذر: ٤/ ١٩٢٠.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٣ و١٥/ ٣٣٧. وخبره في عيون الأثر لابن قتيبة: ١/ ١٠٦ - ودلائل النبوة للبيهقي: ٢/ ٢٠٢.

بالجنون، والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس، ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وأنه يعلو وما يعلى.(١)

فإذا اعترف عتبة على موضعه من اللسان وموضعه من الفصاحة والبلاغة بأنه ما سمع مثل القرآن قط كان هذا القول مقِرّاً بإعجاز القرآن له ولضُربائه من المتحققين بالفصاحة والقدرة على التكلم بجميع أجناس القول وأنواعه.(٢)

الوجه الرابع: الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب(٣).

الوجه الخامس: الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال، قال تعالى ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١-٢] وقال ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧].(٤)

يقول ابن الحصار: وهذه الثلاثة من النظم والأسلوب والجزالة لازمة كل سورة، بل هي لازمة كل آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٦١ - وأبي حيان: ١/ ١٨ - والخبر أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، سورة المدثر: ٢/ ٥٠٦ - والبيهقي في الدلائل: ٢/ ١٨٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٣.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٣ - وابن جزي: ١/ ٢٣.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٣.

آية وكل سورة عن سائر كلام البشر، وبها وقع التحدي والتعجيز.

الوجه السادس: أن قارئه لا يكلُّ وسامعه لا يمل، وإكثار تلاوته تزيده حلاوة في النفوس، وميلاً في القلوب.(١)

الوجه السابع: الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله من أُمِّي ما كان يتلو من قبله من كتاب، ولا يخُطُّه بيمينه، كإخباره عن قصة أهل الكهف، وشأن موسى مع الخَضِر عليهما السلام، وحال ذي القرنين وغير ذلك من أخبارالغيب.(٢)

الوجه الثامن: الإخبار عن المغيبات في المستقبل، وما سيكون،(٣) كقوله ﴿الم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ١-٢] وقوله تعالى ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]، وغيرها من الأخبار التي لا يمكن أن تكون إلا من عند اللّه، أو من عند من أوقفه عليها اللّه.

وهذان الوجهان عند ابن عطية هما معجزان لمن تقررت الشريعة

---

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣١ - وابن جزي: ١/ ٢٤ - وانظر نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض: ٢/ ٥١٣ - ومناهل العرفان للزرقاني: ٢/ ٤٠٥.

(٢) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٢ - وابن عطية: ١/ ٥٩ - والقرطبي: ١/ ٧٤ - وابن جزي: ١/ ٢٣.

(٣) المصادر السابقة. وانظر: مناهل العرفان للزرقاني: ٢/ ٣٦٧.

ونبوة محمد ﷺ في نفسه[١].

الوجه التاسع: كونه جامعاً لعلوم لم تكن فيهم آلاتها، ولا تتعاطى العرب الكلام فيها، ولا يحيط بها من علماء الأمم واحد، ولا يشمل عليها كتاب، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].[٢]

الوجه العاشر: الوفاء بالوعد المدرك بالحس في العيان، في كل ما وعد اللّه سبحانه؛ وينقسم إلى أخباره المطلقة كوعده بنصر رسوله ﷺ، وأخبار مقيده كقوله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].[٣]

الوجه الحادي عشر: ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام، في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام، وما أرشد إليه من مكارم الأخلاق.[٤]

الوجه الثاني عشر: الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر مع

---

(١) ورُدَّ هذا القول بأنه يستلزم أن الآيات التي لا خبر فيها بذلك لا إعجاز فيها، وهو باطل، فقد جعل اللّه كل سورة معجزة بنفسها. البرهان للزركشي: ٢/ ٩٦.

(٢) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٢ - وانظر: نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض: ٢/ ٤٧٣ - ومناهل العرفان للزرقاني: ٢/ ٣٤٢.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٤.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٥ - وابن جزي: ١/ ٢٤.

كثرتها من آدمي.(١)

الوجه الثالث عشر: التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف، قال تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ [النساء: ٨٢].

الوجه الرابع عشر: ما فيه من التعريف بالباري جل جلاله، وذكر صفاته وأسمائه وما يجوز عليه وما يستحيل، ودعوة الخلق إلى عبادته وتوحيده، وغير ذلك مما يوحي بأنه من لدن عليم خبير.(٢) ويرى ابن عطية أن هذا الوجه يكون معجزاً لمن قد آمن بالله وتقررت الشريعة ونبوة محمد ﷺ في نفسه.

الوجه الخامس عشر: كونه محفوظاً من الزيادة والنقصان، محروساً عن التغيير والتبديل على طول الزمان.(٣)

الوجه السادس عشر: تيسيره للحفظ.(٤)

الوجه السابع عشر: عجز المخلوقين في زمان نزوله وبعد ذلك عن

---

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٥.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٩ - وابن جزي: ١/ ٢٤.

(٣) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٢٤.

(٤) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٢٤.

الإتيان بمثله.[١]

ويرى ابن عطية أن الإعجاز والتحدي إنما وقع من جهة نظمه، وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه، ووجه إعجازه: أن اللّه تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى.[٢]

ويؤكد ابن عطية هذا المعنى بأن كفار العرب لم يمكنهم قط أن ينكروا أن رصف القرآن ونظمه وفصاحته متلقى من قبل محمد ﷺ، فإذا تُحُدِّيت إلى ذلك وعجزت فيه عِلم كل فصيح ضرورة أن هذا نبي يأتي بما ليس في مقدور البشر.[٣]

فهذه وجوه عديدة من وجوه الإعجاز، يصح أن يكون كل واحد منها إعجازاً، فإذا جمعها القرآن صار إعجازه من جميع الأوجه أبلغ في الإعجاز، وأبدع في الفصاحة والإيجاز[٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن جزي: ١/ ٢٤.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٩ - ٦٠.

(٣) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٥٩.

(٤) اعتبر الزركشي هذا الكلام قولاً منفرداً، وقال: وذهب أهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال، لا بكل واحد على انفراده، فإنه جمع ذلك كله، ولا=

المسألة الخامسة: القول بالصرفة والمنع:

وهذا القول قاله النظام وبعض القدرية، ومفاده أن اللّه تعالى منع العرب وغيرهم من معارضة القرآن، وصرفهم عند التحدي بمثله، فلم تحركهم أنفة التحدي، وصبروا على نقص العجز، فلم يعارضوه، وهم فصحاء العرب مع توفر دواعيهم على إبطاله، وبذل نفوسهم في قتاله.

واختلف من قال بالصرفة على وجهين:

أحدهما: أنهم صُرفوا عن القدرة عليه(١)، ولو تعرضوا لعجزوا عنه.

والثاني: أنهم صُرفوا عن التعرض له(٢)، مع كونه في قدرتهم لو

=معنى لنسبته إلى واحدة منها بمفردة مع اشتماله على الجميع، وغير ذلك مما لم يسبق: ٢/ ١٠٦. قلت: والقول بأن الإعجاز وقع بجميع ذلك أدعى إلى الكمال في كلام اللّه، فأي جانب أردت في كتابه العظيم كان فيه الكمال والإعجاز كان فوق كلام البشر. غير أنه ينبغي التفريق بين أمرين:

أ - ما وقع به التحدي، وأثبت العجز للإنس والجن، وهذا موجود في جميع سور القرآن، وهو وجه الإعجاز البياني بكل فروعه: الفصاحة، والبلاغة، والأسلوب، والنظم.

ب - وما دلّ على مصدر القرآن الكريم، وأنه ليس من عند البشر (ربانية المصدر) ولم يقع بها التحدي، ولا يشترط أن تكون موجودة في جميع سور القرآن، مثل الإعجاز التشريعي، والإعجاز الطبي، والإعجاز العلمي وغير ذلك.

(١) أي سلبت علومهم أو قدرتهم على المعارضة، فلو توجهوا للمعارضة لعجزوا.

(٢) أي سلبت منهم دواعي المعارضة فلم يتوجهوا لها، ولو توجهوا لاستطاعوا المعارضة.

تعرضوا له لجاز أن يقدروا عليه.[(١)]

وقد رد أهل العلم هذا القول، وبينوا فساده، وأن القائلين به هم من نقصان الفطرة الإنسانية في رتبة بعض النساء - كما يقول أبو حيان - حين رأت زوجها يطأُ جارية فعاتبته، فأخبر أنه ما وطئها، فقالت له: إن كنت صادقاً فاقرأ شيئاً من القرآن، فأنشدها بيت شعر قاله، ذكر اللّهَ فيه ورسولَه وكتابه، فصدقته، فلم ترزق من الذوق ما تفرق به بين كلام الخلق وكلام الحق.[(٢)]

ومن ذلك أن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف أن القرآن هو المعجز، فإذا قلنا أن المنع والصرفة هو المعجز لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً، وذلك خلاف الإجماع، ومن ذلك؛ عُلِمَ أن نفس القرآن هو المعجز؛ لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة.[(٣)]

---

(١) انظر: تفسير الماوردي: ١/ ٣٣ - والقرطبي: ١/ ٧٥.

(٢) انظر: تفسير أبي حيان: ١/ ١٧، وقد وقعت هذه القصة للصحابي الجليل عبد اللّه بن رواحة الأنصاري، ومن الذي قال:

شهدت بأن وعد اللّه حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طافٍ ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحملُه ملائكة كِرامٌ ... ملائكةُ الإله مُقَرَّبينا

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ١/ ٢٣٨ - والاستيعاب لابن عبد البر: ٢/ ٢٨٧.

(٣) انظر: تفسير القرطبي: ١/ ٧٥.

يقول ابن عطية: الصحيح أن القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في الفصيح منهم يضع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً ثم تعطى لآخر بعده فيأخذها بقريحة جامَّة [نشطة]، فيبدل فيها وينقح، ثم لا تزال بعد ذلك فيها مواضع للنظر والبدل، وكتاب اللّه تعالى لو نُزعت منه لفظة، ثم أُدير لسان العرب أن يوجد أحسن منها لم يوجد.(١)

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١/ ٦٠.

ومن الذين قالوا بالصرفة الشريف المرتضى من الشيعة، ونسب ذلك أيضاً إلى أبي إسحاق الإسفراييني، وإلى ابن حزم الظاهري. ومن جملة ردود العلماء على القائلين بالصرفة:

١ - أن دواعي المعارضة كانت قائمة، فالقرآن تحداهم غير مرة أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه، بل تجاوز التحدي إلى إثارة حميتهم إلى المعارضة حين ذكر أنهم عَجَزة عن الإتيان بمثله، ولو اتخذ بعضهم بعضاً ظهيراً. قال تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ [الإسراء: ٨٨] فكيف لم يثر حميتهم هذا التقريع الشديد، وهم مضرب المثل في الحمية والأَنَفة، والشوق إلى التنافس في ميادين الكلام.

٢ - أن القرآن أثار حفائظهم وسفَّه عقولهم وعقول آبائهم، ونعى عليهم الجمود والجهالة والشرك فكيف يسكتون بعد هذا التقريع والتشنيع؟!

٣ - أن القول بالصرفة لو كان صحيحاً لرجع العرب إلى كلامهم القديم الذي قالوه، ولقارنوه بالجديد وعقدوا بينه مقارنة، ولقارنوا بينه وبين القرآن، ثم لوجدوا أنهم بعد نزول القرآن أقل فصاحة وبلاغة من قبله، وهذا لم يكن. =

....

---

٤ - أن شهادة أساطين البلاغة والفصاحة فيهم قالوا الحق واعترفوا بإعجاز القرآن في حالات تخليهم عن عنادهم وضلالهم.

٥ - أن قوله تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ دليل على عجزهم مع بقاء قدرتهم، لأنهم لو سلبوا القدرة لم يبق فائدة في اجتماعهم.

٦ - أن القول بالصرفة يفضي إلى زوال الإعجاز بزوال زمان التحدي، وهذا خلاف إجماع الأمة، حيث أجمعت على بقاء معجزة الرسول العظمى وهي القرآن.

انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢/ ٩٤ - والمعجزة الكبرى القرآن: لأبي زهرة: ٧٥ - ٨٦ - ومناهل العرفان للزرقاني: ٢/ ٤١٤ - ٤١٩ - ومباحث في إعجاز القرآن للدكتور مصطفى مسلم: ٥٢ - ٦٢.

الخاتمة

الحمد للّه أولاً وآخراً، والشكر له ظاهراً وباطناً، دائماً وأبداً، والصلاة والسلام على من أرسله اللّه بالخير بشيراً، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

فما سبق جولة في بطون العديد من المصنفات، استغرقت مني ما يقرب من نيف وثلاث سنين، بذلت خلالها من الجهد ما اللّه به عليم، ولا شك أن هذه الجولة الطويلة في بطون المصنفات والمراجع، والعيش مع العلماء بمعايشة سيرتهم وتتبع أخبارهم، ثم تكرار النظر وإدامته في مقدمات تفاسير من شملتهم الفترة المقررة لهذا البحث من المفسرين، كل تلك الأمور جعلتني أخرج بنتائج عديدة وللّه الحمد، وربما أعجز عن سردها هنا، وهي في أماكنها من البحث لا يعجز القارئ من الوقوف عليها، إذ العبارة المستخدمة تبين ذلك بيسر ووضوح، وأذكر من تلك النتائج ما يلي:

- إن نشأة العلوم الإسلامية كانت مواكبة للدعوة، على خلاف ما يذكره جل المصنفين من تأخره إلى القرنين الثاني والثالث، فرسول اللّه ﷺ منذ أن صدع بوحي اللّه تبارك وتعالى، وتحدث عن نزول الآيات، نشأ علم نزول الوحي، وعلم أسباب النزول، نشأ علم صفة حال النبي ﷺ حين نزول الوحي عليه، وغير ذلك من العلوم التي نشأت فيما بعد مواكبة

للدعوة.

- تمت الكتابة في جملة من علوم القرآن في عهد النبي ﷺ، وسجل الصحابة كثيراً من الذي تلقفوه من في رسول اللّه ﷺ فيما يتعلق بالآية ونزولها وترتيب الآيات وغير ذلك، ونقصد بالكتابة التسجيل من إملاء رسول اللّه ﷺ أو إملاء أحد الصحابة.

أما تدوين تلك العلوم، أعني نقل تلك المعلومات المكتوبة من قِبَلِ الصحابة، وترتيُبها، فقد تأخر إلى القرن الثاني الهجري، وكذا التصنيف، وهو التدوين بعد إدخال عناصر جديدة.

- إن النصوص المنقولة إلينا تؤكد أن أول من استعمل مصطلح علوم القرآن هو الإمام الشافعي رحمه اللّه تعالى.

- إن الاهتمام بالتصنيف الموضوعي في علوم القرآن، والتأليف فيه، كان متقدماً على التصنيف الموسوعي، والذي نقصد به جمع الحديث عن أكثر من علم في تصنيف واحد، وكان أول من صنف فيه هو الحارث المحاسبي.

- إن التصنيف الموسوعي في علوم القرآن وصل إلى الذروة في العقد الثاني من القرن الثامن الهجري، وذلك حين صنف السيوطي كتابيه التحبير والإتقان.

- إن ثلة من أهل العلم المتخصصين في عصرنا الحالي استطاعوا أن

يقدموا بحوثاً جادة في جملة من الموضوعات الهامة في علوم القرآن، وأن لأقسام الدراسات العليا في الجامعات المتخصصة دور كبير في تطوير هذا العلم ونمائه.

- إن مقدمات التفاسير احتوت مادة علمية قيمة، لم يعتمد منها المصنفون في علوم القرآن إلا القليل، كما أن تلك المقدمات قد احتوت آراء المفسرين في كثير من المسائل والموضوعات وهي آراء من الأهمية بمكان، ورغم ذلك لم توضع للبحث والنقاش كما ينبغي.

- إن توزيع مادة المقدمات ونثرها حسب الموضوعات في هذا البحث وضح لنا نشأتها، وأظهر لنا تطور علوم القرآن ومباحثه عند المفسرين، وذلك لأن المفسر قد ضمن مقدمته رأيه في بعض المسائل، فجاء اللاحق ليتابع السابق فيما قاله وأثبته، وليستدرك عليه ما لم يقله مما هو مطلوب قوله، وهو أمر يسد حاجة القارئ ويغنيه من الرجوع إلى المقدمات نفسها.

- إن المفسرين تأثر بعضهم ببعضهم في ذكر الموضوعات التي تذكر في المقدمة، كما تأثروا في ذكر أدلة تلك الموضوعات المطروقة، ولهذا لم يتطور هذا الفن كثيراً بالمقارنة بالعلوم الأخرى.

- إن أكثر الموضوعات التي أولاها المفسرون اهتمامهم هي تلك الموضوعات المتعلقة بأصول التفسير، وأنواعه، ومراتب المفسرين، وجمع القرآن وتدوينه، مع الاهتمام الخاص بموضوع الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها، وكذا فضائل القرآن.

- إن تفسير الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها، بسبع قراءات قرآنية هو الأقرب والأصح في اعتقادي، إذ هو الموافق للأحاديث والآثار الواردة، كما أنه هو التفسير الذي يسلم من الاعتراضات التي ترد على غيره من التفسيرات.

وغير ذلك من النتائج التي لا يعدم الناظر في هذا البحث من الوقوف عليها.

وأخيراً يعلم اللّه أني بذلت ما في وسعي من الوقت والجهد لتقديم ما أرجو أن يكون حلقة في سلسلة هذا العلم النافع، واجتهدت قدر معرفتي لتحقيق نتائج مرضية، ويبقى جهد البشر معرّضاً للنقص والقصور، فأرجو اللّه أن يوفقني لتعديل ما قد جانبه الصواب، وأن يرشدني لتقديم الأفضل والأحسن في المستقبل بعونه وَمَنّه وفضله، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

١- (أبجد العلوم): لصديق حسن القنوجي، أعده للنشر ووضع فهارسه: عبد الجبار زكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٨ م.

٢-(إتحاف البررة بالمتون العشرة)، تحقيق وتصحيح: أبو الحسن الأعظمي، المكتبة الإمدادية، مكة، ١٤٠٤هـ.

٣- (إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين): لمحمد بن محمد الحسيني الزبيدي ت (١٢٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩ هـ.

٤- (إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر): لأحمد بن محمد البنا، تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٥- (الإتقان في علوم القرآن): للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت (٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة المشهد الحسيني، القاهرة، مصر.

أخرى: تقديم وتعليق الدكتور مصطفى أديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت ط١، ١٤٠٧ هـ.

٦- (أثر التطور الفكري في التفسير في العصر العباسي): للدكتور

مساعد مسلم آل جعفر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٥ هـ.

٧- (الإحاطة في أخبار غرناطة): لسان الدين الخطيب، تحقيق محمد عبد اللّه عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٣٩٣ هـ.

أخرى: نشر دار المعارف، مصر، القاهرة.

٨- (الأحرف السبعة للقرآن)

: لأبي عمرو الداني ت (٤٤٤هـ)، تحقيق الدكتور عبد المهيمن طحان، مكتبة المنارة، مكة، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٩- (الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها): للدكتور حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، ط١٢، ١٤٠٩ هـ.

١٠- (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان): لعلي بن بلبان الفارسي ت (٧٣٩هـ)، قدم له وضبط نصه كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ.

أخرى: (صحيح ابن حبان) تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر.

١١- (الإحكام في أصول الأحكام): لعلي بن محمد الآمدي، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٢- (أحكام القرآن): لأبي بكر محمد بن عبد اللّه بن العربي

ت(٥٤٣ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.

أخرى تحقيق: محمد عطا ١٤٠٨٠هـ.

١٣- (أحكام القرآن): لإلكيا الهراسي الطبري، ت (٥٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٠٣ هـ.

١٤- (إحياء علوم الدين): لأبي حامد محمد بن أحمد الغزالي ت (٥٠٥ هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

١٥- (اختلاف المفسرين، أسبابه وآثاره): للدكتور سعود بن عبد اللّه الفنيسان، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين الرياض.

١٦- (أخلاق أهل القرآن): لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، حققه وخرج أحاديثه محمد بن عمر بن عبد اللطيف، إشراف المكتب السلفي لتحقيق التراث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٧- (أدب الإملاء والاستملاء): لعبد الكريم بن محمد السمعاني، ت (٥٦٢ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠١ هـ.

١٨- (أدب الدنيا والدين): لأبي الحسن الماوردي، شرح وتعليق محمد كريم راجح، دار اقرأ، ط٤، ١٤٠٥ هـ.

١٩- (الأذكار النووية) لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد القادر أرناؤوط، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

٢٠- (إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول): لمحمد بن علي الشوكاني ت (١٢٥٥ هـ) دار الفكر، بيروت.

٢١- (أزهار الرياض في أخبار عياض): للمقري تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة، ١٣٩٣ هـ.

٢٢-(أساس البلاغة): لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩ هـ.

أخرى: دار المعرفة، بيروت.

٢٣- (أسباب اختلاف المفسرين) للدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦ هـ.

٢٤- (أسباب النزول): لعلي بن أحمد الواحدي، ت (٤٦٨ هـ)، تحقيق السيد صقر، القاهرة، ١٣٨٩ هـ.

٢٥- (الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار): لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري ت (٤٦٣هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٣ هـ.

أخرى: وثق أصوله وخرَّج نصوصه، ورقمها وقنن مسائله وصنع فهارسه الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي. دار قتيبة، دمشق، ودار الوعي، حلب، ط١، ١٤١٤هـ.

٢٦- (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لأبي عمر يوسف بن عبد اللّه بن محمد بن عبد البر النمري، ت (٤٦٣ هـ)، بهامش الإصابة لابن حجر، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٨ هـ.

٢٧- (أسد الغابة في معرفة الصحابة) لعلي بن أبي الكرم محمد ابن محمد المعروف بابن الأثير ت (٦٠٦ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٨- (أسرار البلاغة في علم البيان): لعبد القاهر الجرجاني ت (٤٧١هـ)، تحقيق وتعليق: محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية.

٢٩- (الأسماء والصفات): لأحمد بن حسين بن علي البيهقي ت (٤٥٨ هـ).

٣٠- (الإصابة في تمييز الصحابة): للحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ت (٨٥٢ هـ)، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر، ط١، ١٣٢٨ هـ.

٣١- (أصول التفسير وقواعده): لخالد العك، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ.

٣٢- (أصول الدين): لعبد القاهر بن طاهر الجرجاني، نشر وطبع مدرسة الإلهيات، دار الفنون، استنبول، تركيا، ط١، ١١٣٤٦ هـ.

٣٣- (الأصول في علم الأصول»: لمحمد بن صالح بن عثيمين، دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٩ هـ.

٣٤- (الأعلام) [قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين]: لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٨٠ م.

٣٥- (أعلام الموقعين عن رب العالمين): لابن القيم، تحقيق عبد الرؤوف سعد، مطبعة شقرون، القاهرة، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٨٨ هـ.

٣٦- (الأغاني): لأبي الفرج الأصفهاني ت (٣٥٦هـ)، شرحه وكتب هوامشه الأستاذ: عبد، والأستاذ علي مهنا، والأستاذ: سمير جابر، دار الفكر، بيروت ط١، ١٤٠٧ هـ.

أخرى: دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٣ م.

٣٧- (الإمام ابن كثير المفسر): لمطر بن أحمد الزهراني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٠٣ هـ.

٣٨- (إنباه الرواة على أنباء النحاة): للقفطي ت (٦٤٦ هـ) تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ط١، ١٩٥٠ م.

٣٩- (إنباء الغمر بأبناء العمر): لابن حجر العسقلاني، ت (٨٥٢ هـ)، راجعه الدكتور محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ.

٤٠ - (الانتصار لصحة نقل القرآن): لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، مخطوط، مكتبة قرة مصطفى بايزيد، استنبول.

٤١- (الأنساب): لعبد الكريم بن محمد السمعاني ت (٥٦٢ هـ)، مصورة عن طبعة ليدن ١٣١٢ م، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٧٠ م.

أخرى: تقديم وتعليق / عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٢- (أوصاف الناس في التواريخ والصلات): لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: محمد كمال شبانة، لجنة نشر التراث الإسلامي.

٤٣- (الإيضاح في علوم البلاغة): للخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.

٤٤- (الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه): لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٦ هـ.

٤٥ - (إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون): لإسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، بيروت ١٤٠٢ هـ.

٤٦- (إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل): تأليف أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي ت (٣٢٨ هـ)، تحقيق: محي الدين عبد الرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠ هـ.

٤٧- (بدائع الزهور في وقائع الدهور): لمحمد بن أحمد بن إياس ت (٩٣٠ هـ)، نشر مصر واستنبول، ١٩٣٢ م.

٤٨- (البداية والنهاية): للحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير ت (٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، ط٥، ١٩٨٤م.

٤٩- (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع): لمحمد بن علي الشوكاني ت (١٢٥٠هـ) مطبعة السعادة، القاهرة، ط١، ١٣٤٨ هـ.

٥٠- (بديع القرآن): لابن أبي الأصبع المصري ت (٦٥٤هـ)، تحقيق حفني محمد شرف، دار النهضة، ط٢، مصر، القاهرة.

٥١- (البرهان في تناسب سور القرآن): لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي ت (٧٠٨ هـ)، تقديم وتحقيق الدكتور سعيد الفلاح، الجامعة الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتونس، ١٤٠٨ هـ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٥٢ - (البرهان في علوم القرآن): لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي ت (٧٩٤هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط ٣، ١٤٠٠ هـ.

٥٣ – (بشير اليسر شرح ناظمة الزهر للإمام الشاطبي): لعبد الفتاح القاضي، المكتبة المحمودية التجارية، ١٩٧١ م.

٥٤– (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز): لمحمد بن يعقوب بن الفيروزأبادي ت (٨١٧ هـ) تحقيق: عبد العليم الطحاوي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٥٥– (البغوي الفراء وتفسيره للقرآن الكريم): للدكتور محمد إبراهيم شريف، ط١، ١٤٠٦ هـ.

٥٦– (البغوي ومنهجه في التفسير): لعفاف عبد الغفور حميد، دار الفرقان للنشر والتوزيع وعمان، الأردن، ١٤٠٢ هـ.

٥٧– (بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس): لابن عميرة الضبي، القاهرة، ١٩٦٧ م.

أخرى: مدريد: ١٨٨٢ م.

٥٨– (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة): لجلال الدين السيوطي ت (٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٩٦٤ هـ.

أخرى: المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

٥٩– (البيان في مباحث من علوم القرآن) لعبد الوهاب الغزلان، دار

التأليف، القاهرة.

٦٠- (تاج العروس من جواهر القاموس) لمحمد مرتضى الزبيدي، مكتبة الحياة، مصورة عن ط١، ١٣٠٦ هـ.

أخرى: تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بدولة الكويت، تحقيق ومراجعة مجموعة من العلماء، ١٣٨٦ هـ.

٦١- (تاج التراجم): لقاسم بن قطلوبغا ت (٨٧٩ هـ)، تحقيق محمد خير يوسف، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٣ هـ.

٦٢- (تاريخ الأدب العربي) لكارل بروكلمان، ترجمة: عبد الحليم نجار، دار المعارف

٦٣- (تاريخ بغداد) لأبي بكر بن الخطيب البغدادي، ت (٤٦٣ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٦٤- (تاريخ التراث العربي): لفؤاد سيزكين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٦٥- (تاريخ التفسير): لقاسم القيسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٨٥ هـ.

٦٦- (تاريخ جرجان): لحمزة بن يوسف السهمي ت (٤٢٧ هـ)، مراقبة: محمد عبد المنعم خان، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤٠١ هـ.

٦٧- (تاريخ الخط العربي وآدابه): لمحمد طاهر بن عبد القادر الكردي، ط٢، ١٤٠٢ هـ.

٦٨- (تاريخ ابن خلدون) [كتاب: العبر وديوان المبتدأ والخبر...]: لعبد الرحمن ابن خلدون ت (٨٠٨ هـ)، مؤسسة جمال، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ.

٦٩- (تاريخ علوم القرآن حتى نهاية القرن الخامس الهجري): لأحسن محمد أشرف الدين، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٥ هـ.

٧٠ - (تاريخ قضاة الأندلس): لعلي بن عبد اللّه النباهي، تحقيق: بروفنسا، دار الكتاب المصري، ١٩٤٨ م.

٧١- (التاريخ الكبير) لأبي عبد اللّه إسماعيل بن إبراهيم البخاري ت (٢٥٦ هـ) مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

٧٢- (تاريخ مدينة دمشق) لابن عساكر. مخطوط، اهتم بنشره ووضع الفهارس، دار الفكر، دمشق.

٧٣- (التبصرة في القراءات السبع): لمكي بن أبي طالب القيسي ت (٤٣٧ هـ) اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه: محمد غوث الندوي، الدار السلفية، الهند.

٧٤- (التبيان في آداب حملة القرآن) لمحي الدين أبي زكريا النووي

ت(٦٧٦ هـ) اعتنى بـه وفهرسـه: محـي الديـن الشـامي، مؤسسـة التقويـم الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧ هـ.

أخرى: تحقيق السيروان، دار النفائس، بيروت.

٧٥- (التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريقـة الإتقـان): للشيخ طاهر الجزائري الدمشقي، ت (١٣٣٨هـ)، اعتنى به عبد الفتاح أبـو غده، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب ط٣، ١٤١٢ هـ.

٧٦- (التحبير في علم التفسير): لجلال الدين عبـد الرحمـن بـن أبـي بكر السيوطي ت (٩١١ هـ) حققه وقدم لـه: الدكتـور فتحـي عبـد القـادر فريد، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٢ هـ.

٧٧- (تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي): لجلال الديـن عبـد الرحمن بن أبي بكـر السيوطي ت (٩١١هــ)، حققـه: عبـد الوهـاب عبـد اللطيف، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط١، ١٣٧٩ هـ. وط٢، ١٣٨٥ هــ دار الكتب الحديثة.

٧٨- (التذكار في أفضل الأذكار): لأبــي عبـد اللّـه محمـد بـن أحمـد القرطبي ت (٦٧١ هـ)، حققـه وخـرج أحاديثـه: عبـد القـادر الأرنـاؤوط، مكتبة دار البيان، ط٢، دمشق، ١٣٩٩ هـ.

٧٩- (تذكرة الحفاظ) لأبي عبد اللّه شمس الدين محمـد الذهـبي ت (٧٤٨ هـ) دار إحياء التراث العربي.

٨٠- (التراتيب الإدارية، نظام الحكومة النبوية): لعبد الحي الكتاني، نشر: حسن جعنا، بيروت.

٨١- (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب الإمام مالك): للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ت (٥٤٤ هـ)، تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٣٨٧ هـ.

٨٢- (الترغيب والترهيب من الحديث الشريف): لأبي محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ت (٦٥٦ هـ) حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، القاهرة، ط١، ١٣٧٩ هـ.

٨٣- (التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية) للشيخ عبد اللطيف البرزنجي ت (١٤١٥ هـ) مطبعة العاني، العراق، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٨٤- (التعريفات): لعلي بن محمد السيد الحسيني الجرجاني، تحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ.

٨٥- (تفاسير آيات الأحكام) للدكتور علي بن سليمان العبيد، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين بالرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٨٦- (تفسير الآلوسي) « روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»: لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي

ت(١٢٧٠ هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

٨٧- (تفسير البغوي) «معالم التنزيل»: لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ت (٥١٦ هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر، وعثمان ضميرية، وسليمان الحرش، دار طيبة للنشر، الرياض، ١٤٠٩ هـ.

٨٨- (تفسير الثعالبي) الموسوم: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٨٩- (تفسير ابن جزي الكلبي) « تسهيل السبيل لعلوم التنزيل»: لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، تحقيق: محمد عبد المنعم اليونسي، وإبراهيم عطوة عوض، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

٩٠- (تفسير ابن الجوزي) « زاد المسير في علم التفسير »: لعبد الرحمن بن الجوزي ت (٥٩٦ هـ) ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٨٤ هـ.

٩١- (تفسير أبي حيان) (البحر المحيط) لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (٦٥٤ هـ)، بعناية الشيخ عرفان العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٢ هـ.

أخرى: تحقيق وتقديم وتعليق الدكتور عبد السميع محمد حسنين، ط١ ١٤١٣هـ.

٩٢- (تفسير الخازن) «لباب التأويل في معاني التنزيل»: لعلي بن

محمد البغدادي المشهور بالخازن، ت (٧٢٥ هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٣، ١٣٧٥ هـ.

٩٣- (تفسير الرازي) «مفاتيح الغيب»: لأبي عبد الله محمد بن عمر المعروف بالفخر الرازي ت (٦٠٦ هـ)، المطبعة البهية المصرية.

٩٤- (تفسير الزمخشري) «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل»: لمحمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ت (٥٣٨ هـ) دار المعرفة، بيروت.

٩٥- (تفسير السمرقندي): لأبي الليث السمرقندي، تحقيق علي محمد عوض، وعادل أحمد عبد الموجود، وزكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العربية، بيروت، ١٤١٣ هـ.

أخرى: تحقيق صالح يحيى صواب، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين بالرياض، ١٤١٦هـ.

٩٦- (تفسير الطبري) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت (٣١٠ هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٣، ١٣٨٨ هـ.

أخرى: تحقيق محمود وأحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط١، ١٣٧٤ هـ.

٩٧- (تفسير ابن عاشور) «التحرير والتنوير»: لمحمد الطاهر بن

عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤ م.

٩٨- (تفسير عبد الرزاق) «تفسير القرآن العزيز»: لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ت (٢١١هـ)، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١١ هـ.

أخرى: تحقيق الدكتور مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١١ هـ.

٩٩- (تفسير ابن عطية) «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»: لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية ت (٥٤٦ هـ)، تحقيق وتعليق: الرحالي الفاروق، وعبد الله الأنصاري، والسيد عبد العال إبراهيم، ومحمد الشافعي العناني، الدوحة، ط١، ١٣٨٩ هـ.

أخرى: تحقيق: المجلس العلمي بفاس، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ط٢، ١٤٠٣ هـ.

١٠٠- (تفسير القرطبي) «الجامع لأحكام القرآن»: لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ت (٦٧١ هـ) دار الكاتب العربي، القاهرة، مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٣٨٧ هـ.

١٠١- (تفسير ابن كثير) «تفسير القرآن العظيم»: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ت (٧٧٤ هـ)، تحقيق: د/ محمد إبراهيم البنا، ومحمد أحمد عاشور، وعبد العزيز غنيم، دار الشعب، القاهرة، مصر.

١٠٢- (تفسير الماوردي) «النكت والعيون»: لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي ت (٤٥٠ هـ)، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

أخرى: تحقيق الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين.

أخرى: تحقيق خضر محمد خضر، راجعه عبد الستار أبو غده، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط١، ١٤٠٢ هـ.

١٠٣- (تفسير الواحدي) «الوسيط في تفسير القرآن المجيد»: لعلي بن أحمد الواحدي، ت (٤٦٨ هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وأحمد محمد صيره، وأحمد عبد الغني الجمل. وعبد الرحمن عويس. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

١٠٤- (التفسير ورجاله): لمحمد الفاضل بن عاشور، دار الكتب الشرقية، تونس، ط٢، ١٩٧٢ م.

١٠٥- (التفسير والمفسرون): لمحمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٣٩٦ هـ.

١٠٦- (تقريب التهذيب): لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت (٧٧٣ هـ)، حققه وعلق حواشيه: عبد الوهاب بن عبد اللطيف، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥ هـ.

١٠٧- (تقييد العلم): للخطيب البغدادي، ت (٤٦٣ هـ)، تحقيق يوسف العش، دار إحياء السنة النبوية، ط٢، ١٩٧٤ هـ.

١٠٨- (التكملة والصلة): لمحمد بن عبد اللّه القضاعي، المعروف بابن الأبار، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة، ١٣٧٥ هـ.

١٠٩- (التكملة لوفيات النقلة): إملاء الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ت (٦٥٦هـ)، علق عليه: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨١ م.

١١٠- (التلخيص في علوم البلاغة): لمحمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب، ضبط وشرح عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت.

١١١- (تلخيص المستدرك) للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت (٧٤٨ هـ) بهامش المستدرك للحاكم، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

١١٢- (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد) لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري، تحقيق مجموعة من الباحثين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط٢، ١٤٠٥هـ.

أخرى: تحقيق مجموعة من الباحثين، توزيع مكتبة السوادي.

١١٣- (تناسق الدرر في تناسب السور): لجلال الدين عبد الرحمن

بن أبي بكر السيوطي ت (٩١١ هـ)، تحقيق عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٦ هـ.

١١٤- (التنبيه على فضل علوم القرآن): لأبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، ت (٤٠٦ هـ) تحقيق محمد عبد الكريم كاظم، وزارة الثقافة والإعلام في بغداد، ضمن مجلة المورد، المجلد السابع عشر، العدد الرابع، ١٤٠٩ هـ.

١١٥- (تهذيب تاريخ دمشق) لعبد القادر بدران

١١٦- (تهذيب السيرة النبوية لابن هشام): لعبد السلام هارون، دار البحوث العلمية، الكويت، ط٥، ١٣٩٧ هـ.

١١٧- (تهذيب التهذيب): لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت (٨٥٢ هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الدكن، ط١، ١٣٢٥ هـ.

١١٨- (تهذيب الكمال في أسماء الرجال): لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي ت (٧٤٢ هـ)، قدم له وعلق عليه: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣ هـ.

١١٩- (تهذيب اللغة): لأبي منصور محمد الأزهري ت (٣٧٠ هـ) تحقيق عبد السلام هارون، وآخرين، وزارة الثقافة المصرية ١٣٨٤ هـ.

أخرى: تحقيق عبد السلام هارون، ومحمد علي النجار، الدار المصرية

للتأليف والترجمة.

١٢٠- (التيسير في القراءات السبع): لأبي عمرو الداني ت (٤٤٤ هـ)، تصحيح أوتوبرتزل، مطبعة الدولة استانبول، ١٩٣٠ م.

١٢١- (التيسير في قواعد علم التفسير): لمحمد بن سليمان الكافيجي ت (٨٧٩هـ)، تحقيق: ناصر بن محمد المطرودي، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

١٢٢- (الثقات): لمحمد بن حبان البستي ت (٣٥٤ هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ط١.

١٢٣- (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع): للخطيب البغدادي، ت (٤٦٣ هـ) تحقيق الدكتور محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣ هـ.

١٢٤- (جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله): لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري الأندلسي ت (٤٦٣ هـ) دار الطباعة المنيرية، مصر.

١٢٥- (الجامع لشعب الإيمان): لأحمد بن حسين البيهقي ت (٤٥٨ هـ)، تحقيق سعود بن سالم الدعجان [الشعبة التاسعة عشرة]، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

أخرى: كاملة تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد، الدار السلفية،

بومباي، الهند، ط١، ١٤٠٨ هـ.

١٢٦- (جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس): للحميدي، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة، مصر، ١٩٦٦ م.

١٢٧- (ابن جزي ومنهجه في التفسير): لعلي بن محمد الزبيري، دار القلم، ط١، ١٤٠٧ هـ.

١٢٨- (جمال القراء وكمال الإقراء): لعلم الدين علي بن محمد السخاوي ت (٦٤٣هـ)، تحقيق الدكتور علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٢٩- (جمهرة اللغة): لمحمد بن عيسى بن دريد ت (٣٢١ هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، العراق.

١٣٠ - (جوامع السيرة): لابن حزم الأندلسي.

١٣١- (الجواهر المضية في طبقات الحنفية): لعبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشي ت (٧٧٥ هـ) مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الدكن، ١٣٣٢ هـ.

١٣٢- (الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن): للدكتور عدنان زرزور، مؤسسة الرسالة للطباعة، بيروت، ١٣٩١ هـ.

١٣٣- (الحجة في علل القراءات السبع) لأبي علي الحسن بن علي

الفارسي، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرون، الهيئة المصرية للكتاب، ط٢، ١٤٠٣ هـ.

١٣٤- (الحجة في القراءات السبع): لابن خالويه، تحقيق عبد العال سالم مدكور، دار الشروق، بيروت، ط٢، ١٣٩٧ هـ.

١٣٥- (حجة القراءات): لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط٤، بيروت، ١٤٠٤ هـ.

١٣٦- (الحجة في بيان المحجة لقوام السنة) إسماعيل بن محمد الطلحي، ت (٥٣٥ هـ) مخطوط، مكتبة أحمد الثالث، رقم (١٣٩٥) استنبول، تركيا.

١٣٧- (حجة القراءات): لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩ هـ.

١٣٨- (حجية السنة): لمحمد بن محمد أبو شهبة، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، أمريكا.

١٣٩- (حديث الأحرف السبعة): للدكتور عبد العزيز القاريء، دار النشر الدولي، الرياض، ط١، ١٤١٢ هـ.

١٤٠- (حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع): لقاسم بن فيره بن خلف الشاطبي، ت (٥٩٠ هـ)، دار الكتاب النفيس، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ.

١٤١- (حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة): لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت (٩١١ هـ). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ط١، ١٣٨٧ هـ.

١٤٢- (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء): لأبي نعيم أحمد بن عبد اللّه الأصفهاني، ت (٤٣٠ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٣- (خريدة القصر وجريدة العصر): للعماد الأصفهاني، مخطوط، رقم (٤٢٥٥) أدب، مصورة عن نسخة بدار الكتب المصرية.

١٤٤- (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب): لعبد القادر ابن عمر البغدادي ت (١٠٩٣ هـ) تحقيق عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، مصر.

١٤٥- (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر): لمحمد أمين المحبي ت (١١١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

١٤٦- (خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل): للإمام البخاري، طالعه: أبو محمد الهاشمي، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٣٨٩ هـ.

١٤٧- (الدارس في تاريخ المدارس): لعبد القادر النعيمي، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٨ م، نشر: جعفر الحسيني.

١٤٨- (دائرة المعارف المسماة: مقتبس الأثر ومجدد ما دثر): لمحمد

حسين شيخ سليمان الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، طهران، قم، ط١، ١٣٩٣ هـ.

١٤٩- (دائرة المعارف الإسلامية): نقلها إلى العربية محمد ثابت القندي، وأحمد الشنتناوي، وإبراهيم بن زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس، مصر ١٩٥٧ م.

١٥٠- (دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان للزرقاني): لخالد ابن عثمان السبت، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، ١٤١١ هـ.

١٥١- (دراسات في تاريخ الخط العربي): للمنجد.

١٥٢- (دراسات في التفسير الموضوعي): للشيخ زاهر بن عواض الألمعي، الرياض، ط١، ١٤٠٥ هـ.

١٥٣- (دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه): لمحمد مصطفى الأعظمي. توزيع دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

١٥٤- (دراسات في علوم القرآن): للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة توبة، ط١، ١٤١٣ هـ.

١٥٥- (دراسات في علوم القرآن): لمحمد بكر إسماعيل، دار المنار، ط١، ١٤١١ هـ.

١٥٦- (درة الحجال في أسماء الرجال): لابن القاضي المكناسي، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، مصر، ١٣٩٠ هـ.

١٥٧- (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة): لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ت (٨٥٢ هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط١، ١٣٤٨ هـ.

أخرى: تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر١٣٨٥ هـ.

١٥٨- (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون): لأحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد بن محمد الخراط، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ.

١٥٩- (الدر المنثور في التفسير بالمأثور): لجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي ت (٩١١ هـ)، المطبعة الميمنية، مصر، ١٣١٤ هـ.

أخرى طبعة دار الفكر.

١٦٠- (الدر النظيم في فضائل القرآن والآيات والذكر الحكيم): لعبد الله بن سعد اليافعي، مكتبة محمد أفندي حسن.

١٦١- (دلائل النبوة) لأحمد بن الحسن البيهقي ت (٤٥٨ هـ) وثق نصوصه وخرج حديثه وعلق عليه، الدكتور عبد المعطي القلعجي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥ هـ.

١٦٢- (الدليل إلى كتابة البحوث الجامعية ورسائل الماجستير والدكتوراة): تأليف: ل. ج. بيكفورد، ول. و. سمث، ترجمه إلى العربية الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، دار الشروق، جدة ط١، ١٤٠١ هـ.

١٦٣- (دليل الباحث في تنظيم كتابة البحوث الاجتماعية): للدكتور يحيى الحسن، الجامعة الأردنية، ١٩٧٦ م.

١٦٤- (الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب): لإبراهيم بن علي بن محمد فرحون المالكي، تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة.

أخرى: طبعة عباس بن عبد السلام شقرون، مصر، ط١، ١٣٥١ هـ.

١٦٥- (ديوان النابغة الذبياني): لزياد بن معاوية ت (١٨ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٧ هـ.

١٦٦- (ذكر أخبار أصبهان): لأبي نعيم أحمد بن عبد اللّه الأصفهاني، طبعة ليدن، ١٩٣١ م.

١٦٧- (ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي): لأبي المحاسن الحسيني، دار الكتب العلمية.

١٦٨- (الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب): لزين الدين عبد الرحمن بن شهاب الحنبلي، ت (٧٩٥ هـ). دار المعرفة، بيروت.

١٦٩- (الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة): للمراكشي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٤ م.

١٧٠- (الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة): للكتاني، دار البشائر.

أخرى: تحقيق محمد المنتصر الكتاني، دمشق ١٣٨٣ هـ.

١٧١- (رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية) لغانم قدوري الحمد، نشر اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، الجمهورية العراقية، ط١، ١٤٠٢ هـ.

١٧٢- (روضة الطالبين وعمدة المفتين): ليحيى بن شرف النووي ت (٦٧٦ هـ)، المكتب الإسلامي.

١٧٣- (روضة الناظر وجنة المناظر): لابن قدامة المقدسي، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٠٤ هـ.

١٧٤- (زاد المعاد في هدي خير العباد): لابن القيم الجوزية ت (٧٥١ هـ)، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.

١٧٥- (الزيادة والإحسان في علوم القرآن): لابن عقيلة المكي، ت (١١٥٠ هـ) تحقيق مجموعة من الباحثين في كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، رسائل ماجستير.

١٧٦- (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة): لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩٨ هـ.

١٧٧- (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر): لمحمد خليل بن علي المرادي ت (١٢٠٦ هـ) دار ابن حزم، ودار البشائر، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ.

١٧٨- (السنة): لعبد الله بن أحمد بن حنبل، ت (٢٩٠ هـ)، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.

١٧٩- (السنة قبل التدوين): لمحمد عجاج الخطيب، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ١٣٨٣ هـ.

١٨٠- (السنن): لابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني ت (٢٧٥ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان.

١٨١- (السنن): لأبي داود، سليمان بن الأشعث الأزدي، ت (٢٧٥ هـ)، مراجعة وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنن النبوية، بيروت.

١٨٢- (السنن): للترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ت (٢٧٩هـ) تحقيق وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٣٩٨ هـ.

أخرى: تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة

عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٤٠٢ هـ.

١٨٣- (السنن): للدارقطني ، لعلي بن عمر الدارقطني ت (٣٨٥ هـ)، تحقيق عبد الله هاشم يماني المدني، دار المحاسن، القاهرة.

١٨٤- (السنن): للدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ت (٢٥٥ هـ) تخريج وتحقيق وتعليق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، نشر حديث أكاديمي، نشاط آباد، فيصل آباد، باكستان، ١٤٠٤ هـ.

١٨٥- (السنن الكبرى): لأحمد بن الحسين البيهقي ت (٤٥٨ هـ)، تصوير دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١.

١٨٦- (السنن): لأحمد بن شعيب النسائي، ت (٣٠٣ هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٠٨ هـ.

١٨٧- (سير أعلام النبلاء): لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت (٧٤٨ هـ)، أشرف على التحقيق، وخرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢ هـ.

١٨٨- (السيرة الحلبية من إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون): لبرهان الدين الحلبي، المكتبة الإسلامية، بيروت

١٨٩- (السيرة الشامية) «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد»: لمحمد بن يوسف الصالحي ت (٩٤٢ هـ) تحقيق مصطفى عبد الواحد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٤ هـ.

١٩٠- (السيرة النبوية): لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ت (٧٧٤ هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد، نشر عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٤ هـ.

١٩١- (السيرة النبوية): لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٧٥ هـ.

١٩٢- (السيوطي وجهوده في علوم القرآن): لعبد الحليم.

١٩٣- (شجرة النور الزكية في طبقات المالكية): لمحمد مخلوف التونسي، المكتبة السلفية بمصر، ط١، ١٣٤٩ هـ

١٩٤- (شذرات الذهب في أخبار من ذهب): لعبد الحي بن العماد الحنبلي ت (١٠٨٩ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٩٥- (شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة) للالكائي، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ط١.

١٩٦- (شرح السنة) للبغوي، الحسين بن مسعود البغوي، ت (٥١٦ هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط، وزهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣ هـ.

١٩٧- (شرح الشفاء): لعلي القاري، بهامش نسخة الرياض من شرح شفاء القاضي عياض، لشهاب الدين الخفاجي، المطبعة الأزهرية، ط١، ١٣٢٧ هـ.

١٩٨- (شرح الطحاوية): لصدر الدين أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٦ هـ.

١٩٩- (شرح الكواكب المنير): لمحمد بن أحمد الفتوحي، المعروف بابن النجار، تحقيق محمد الزحيلي، ونزيه حماد، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٢٠٠- (شرح مختصر الروضة): لسليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق الدكتور عبد اللّه بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٩ هـ.

٢٠١- (شرح النووي على صحيح مسلم): لمحي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، ت (٦٧٦ هـ)، دار الفكر وبيروت، لبنان، ط٣، ١٣٩٨ هـ.

٢٠٢- (شرح معاني الآثار): لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، ت (٣٢١ هـ) تحقيق وتقديم: محمد سيد جاد الحق، مطبعة الأنوار المحمدية.

أخرى: تحقيق: محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية ط١.

٢٠٣- (الشعر الجاهلي): لناصر الدين الأسد

٢٠٤- (الشعر والشعراء) المسمى «طبقات الشعراء»: لعبد اللّه بن مسلم بن قتيبة، حققه وضبط نصه وراجعه الدكتور مفيد قميحة، والأستاذ

نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ط٢، ١٤٠٥ هـ.

٢٠٥- (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية): لطاش كبري زاده، ت (٩٦٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ.

٢٠٦- (الصاحبي): لأحمد بن فارس بن زكريا، ت (٣٩٥هـ) تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

٢٠٧- (صبح الأعشى في صناعة الإنشا): لأحمد بن علي القلقشندي، ت (٨٢١هـ) شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ.

أخرى: الهيئة المصرية للكتاب ومركز تحقيق التراث.

٢٠٨- (الصحاح): لإسماعيل بن حماد الجوهري، ت (٣٩٣ هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة ط٢، ١٤٠٢ هـ.

٢٠٩- (صحيح البخاري): لأبي عبد اللّه محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية، تركيا.

٢١٠- (صحيح الجامع الصغير) «الفتح الكبير»: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٢١١- صحيح ابن حبان الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان.

٢١٢- (صحيح ابن خزيمة) لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة،

ت (٣١١٠هـ) تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢١٣- (صحيح مسلم): لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تصحيح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد، في المملكة العربية السعودية.

٢١٤- (صفوة الصفوة): لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، ت (٥٩٧هـ) مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ط١، ١٣٥٥هـ.

٢١٥- (الصلة) لابن بشكوال، تحقيق عزت العطار، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٥م.

٢١٦- (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة): لابن قيم الجوزية، ت (٧٥١ هـ)، تحقيق الدكتور علي الدخيل اللّه، دار العاصمة، الرياض.

٢١٧- (صيد الخاطر): لابن الجوزي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ.

٢١٨- (الضعفاء الصغير): لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت (٢٥٦ هـ)، تحقيق بدران الفنادي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ.

٢١٩- (الضعفاء الكبير): لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي، ت (٣٢٢هـ) تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط٢، ١٣٩٩ هـ.

٢٢٠- (الضعفاء والمتروكين) لعلي بن عمر الدارقطني، ت (٣٨٥ هـ)، دراسة وتحقيق، موفق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢٢١- (الضعفاء والمتروكين): لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت (٣٠٣ هـ)، تحقيق مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بوران الضناوي، وكمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٥ هـ.

٢٢٢- (ضعيف الجامع الصغير) تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٩ هـ.

٢٢٣- (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع): لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت (٣٠٢ هـ)، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٣ هـ.

٢٢٤- (الطبقات): لخليفة بن خياط، ت (٢٤٠ هـ)، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٠٢ هـ.

٢٢٥- (طبقات الحفاظ): لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت (٩١١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٢٢٦- (طبقات الحنابلة): لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى، تصحيح: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٠ هـ.

٢٢٧- (الطبقات السنية في تراجم الحنفية): لتقي الدين بن عبد القادر التميمي، ت (١٠٠٥ هـ)، تحقيق الدكتور عبد الفتاح الحلو، دار الرفاعي للنشر، الرياض ط١، ١٤٠٣ هـ.

٢٢٨- (طبقات الشافعية): للأسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن، ت (٧٧٢ هـ)، تحقيق عبد الله الجبوري، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط١، ١٣٩٠ هـ.

٢٢٩- (طبقات الشافعية) للسبكي، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي ت (٧٧١هـ) تحقيق عبد الفتاح الحلو، ومحمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٨٥.

٢٣٠- (طبقات الشافعية): لابن قاضي شهبة، أحمد بن محمد ت (٨٥١ هـ) تصحيح وتعليق: الدكتور عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٣١- (الطبقات الكبرى): لمحمد بن سعد ت (٢٣٠ هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٠ هـ.

أخرى: عنى بتصحيحه وطبعه أدوار سنو - مصورة عن طبعة بريل - مطبعة ليدن - عام ١٣٢١ هـ.

٢٣٢- (الطبقات الكبرى) لعبد الوهاب الشعراني، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢٣٣- (طبقات المفسرين) لمحمد بن علي الداودي ت (٩٤٥ هـ)، تحقيق علي محمد عمر ومطبعة الاستقلال الكبرى، الناشر: مكتبة وهبة، ط١، ١٣٩٢ هـ.

أخرى: راجعها لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.

٢٣٤- (طبقات المفسرين): لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت (٩١١هـ)، تحقيق يحيى بن محمد عمر، مطبعة الحضارة العربية، القاهرة ط١، ١٣٩٦ هـ.

٢٣٥- (طبقات النحويين واللغويين): لمحمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي ت (٣٧٩ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٣ هـ.

٢٣٦- (طيبة النشر): لابن الجزري.

٢٣٧- (العبر في خبر من غبر): لشمس الدين الذهبي ت (٤٧٨ هـ) تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، إدارة المطبوعات والنشر، الكويت.

٢٣٨- (العز بن عبد السلام، حياته وآثاره، ومنهجه في التفسير): للدكتور عبد الله الوهيبي.

٢٣٩- (العقد الفريد): لأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٤ هـ.

٢٤٠- (العقل وفهم القرآن): للحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق حسين القوتلي، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٣٩٨ هـ.

٢٤١- (العقيدة السلفية في كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية): لعبد اللّه بن يوسف الجديع، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٢٤٢- (العلل المتناهية في الأحاديث الواهية): لابن الجوزي، تحقيق إرشاد الحق الأثري، باكستان، ط٢، ١٤٠١هـ.

٢٤٣- (العلم) لأبي خيثمة.

٢٤٤- (علوم الحديث): لابن الصلاح، تحقيق الدكتور نور الدين عتر، حلب، ١٣٨٦ هـ.

٢٤٥- (علوم القرآن): للدكتور رشدي عليان، وقحطان الدوري، وكاظم الراوي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ١٩٨٠ م.

٢٤٦- (عمدة القارئ شرح صحيح البخاري): لأبي محمد محمود ابن أحمد العيني، ت (٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي،، بيروت، لبنان.

٢٤٧- (عمل اليوم والليلة): لأبي بكر بن السني، ت (٣٦٤ هـ) تحقيق وتعليق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١، ١٣٨٩هـ.

٢٤٨- (العواصم من القواصم): لأبي بكر بن العربي، تحقيق محب

الدين الخطيب، توزيع دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ١٤٠٤ هـ.

٢٤٩- (عيون الأخبار): لعبد اللّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت (٢٧٦ هـ) دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٨ هـ.

٢٥٠- (غاية النهاية في طبقات القراء): لابن الجزري، محمد بن محمد ت (٨٣٣ هـ) عني بنشره: ج. برجستراثر، دار الكتب العلمية، بيروت ط٢، ١٤٠٠ هـ.

٢٥١- (غريب الحديث): لأبي عبيد القاسم بن سلام ت (٢٢٤ هـ)، تحقيق عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١، ١٣٨٤هـ.

٢٥٢- (الفائق في غريب الحديث) لجار اللّه الزمخشري، ت (٥٨٣ هـ) تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢.

٢٥٣- (فتح الباري بشرح صحيح البخاري): لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت (٨٥٢هـ) بعناية الشيخ عبد العزيز بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٥٤- (الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني): لأحمد بن عبد الرحمن البنا، دار الشهاب، القاهرة.

٢٥٥- (فتوح البلدان): لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق

عبد اللّه أنيس الطباع، وعمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٢٥٦- (فصول في أصول التفسير): لمساعد بن سليمان الطيار، دار النشر الدولي، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

٢٥٧- (فضائل القرآن) لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ت (٧٧٤ هـ) دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ.

٢٥٨- (فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة) لأبي عبد اللّه محمد بن أيوب بن الضريس ت (٢٩٤هـ) تحقيق: غزوة بدير، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٥٩- (فضائل القرآن ومعالمه وآدابه): لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، ت (٢٢٤ هـ) تحقيق: محمد نجاتي جوهري، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٣٩٣ هـ.

أخرى تحقيق وهبي غاوجي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١١ هـ.

٢٦٠- (فضائل القرآن وما جاء فيه من الفضل وفي كم يقرأ والسنة في ذلك): لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي ت (٣١٠هـ) تحقيق: عثمان فضل اللّه جبريل، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩ هـ.

٢٦١- (فنون الأفنان في عيون علوم القرآن) لأبي الفرج بن الجوزي ت (٥٩٧ هـ) تحقيق الدكتور حسن ضياء الدين عتر، دار البشائر

الإسلامية، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٢٦٢- (فهرس ابن خير الإشبيلي)، طبعة سرقسطة.

٢٦٣- (فهرس ابن عطية): لابن عطية الأندلسي ت (٥٤١هـ)، تحقيق محمد أبو الأجفان، ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣ م.

٢٦٤- (الفهرست): لابن النديم. طبعات مختلفة. منها طبعة دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨ هـ.

٢٦٥- (فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت): لعبد العلي أحمد بن نظام الدين الأنصاري، على هامش المستصفى للغزالي، مكتبة المثنى، بغداد.

٢٦٦- (فوات الوفيات) لمحمد شاكر الكتبي ت (٧٦٤هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٢٦٧- (الفوائد البهية في تراجم الحنفية): لأبي الحسنات محمد عبد الحي الكنوي الهندي ت (١٣٠٤هـ) تصحيح: محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٤هـ.

٢٦٨- (الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة): لمحمد بن علي الشوكاني ت (١٢٥٠ هـ) تحقيق عبد الرحمن يحيى المعلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢ هـ.

٢٦٩- (فيض القدير شرح الجامع الصغير): لعبد الرؤوف المناوي ت (١٠٣١ هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١ هـ.

٢٧٠- (في علوم القرآن، دراسات ومحاضرات): للدكتور عبد السلام كفافي، والأستاذ عبد الله الشريف، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١ م.

٢٧١- (القاموس الإسلامي): لأحمد عطية اللّه، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٣٩٩هـ.

٢٧٢- (القاموس المحيط) لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ت (٨١٧ هـ)، دار الجيل بيروت.

أخرى: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧ هـ.

٢٧٣- (القرآن الكريم والدراسات الأدبية): لنور الدين عتر

٢٧٤- (القطع والإئتناف): لأبي جعفر النحاس، تحقيق الدكتور أحمد خطاب العمرو، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد، ١٣٩٨ هـ.

٢٧٥- (قلائد العقيان في محاسن الأعيان): لأبي النصر الفتح بن خاقان، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ط١، ١٣٢٠ هـ.

٢٧٦- (قواعد التحديث): لمحمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩ هـ.

٢٧٧- (قواعد الترجيح عند المفسرين): لحسين بن علي الحربي، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٥ هـ.

٢٧٨- (قوت القلوب): لأبي طالب محمد بن أبي الحسن المكي. دار صادر، بيروت.

٢٧٩- (الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة) لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت (٧٤٨ هـ) مراجعة وضبط لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ ١٤٠٣ هـ.

٢٨٠- (الكامل في الضعفاء) لعبد اللّه بن عدي الجوجاني، ت (٣٦٥ هـ) دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ.

٢٨١- (الكتاب) لسيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر ت (١٨٠ هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ.

٢٨٢- (الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار): لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق عبد الخالق الأفغاني، الدار السلفية، حامد بلدنك، مومن بوده، بومبي، الهند، ط٢، ١٣٩٩ هـ.

٢٨٣- (كتاب الوحي): للدكتور أحمد بن عبد الرحمن عيسى، دار اللواء، الرياض، ط١، ١٤٠٠ هـ.

٢٨٤- (الكتيبة الكامنة فيمن لقيته بالأندلس من شعراء المائة

الثامنة): لابن الخطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت، ١٩٦٣ م.

٢٨٥- (كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة): لعلي بن أبي بكر الهيثمي ت (٨٠٧ هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ.

٢٨٦- (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس): لإسماعيل بن محمد العجلوني ت (١١٦٢ هـ)، صححه وعلق عليه أحمد القلاش، الناشر مكتبة التراث الإسلامي، حلب.

٢٨٧- (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون): لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢ هـ.

٢٨٨- (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها): لمكي بن أبي طالب القيسي ت (٤٣٧ هـ) تحقيق الدكتور محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤ هـ.

٢٨٩- (الكفاية في علم الرواية): لأبي بكر بن الخطيب البغدادي، ت (٤٦٣ هـ) راجعه: عبد الحليم محمد، وعبد الرحمن حسن، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢.

٢٩٠- (الكليات): لأبي البقاء الحسيني الكفوي، المطبعة العامرة، ١٢٨٧ هـ.

٢٩١- (كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال): تقي الدين بن

حسام الديــن الهنـدي ت (٩٧٥ هــ) ضبطـه وفسـر غريبـه: بكـر حيـاني، صححه ووضع فهارسه: صفوت السقا، بيروت، ١٩٧٩ م.

٢٩٢- (كنز المعاني شرح حرز الأماني): للجعبري، مخطوط.

٢٩٣- (كيف تكتب بحثاً أو رسالة [دراسة منهجية]) للدكتـور أحمـد شلبي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط٧، ١٩٧٣ م.

٢٩٤- (اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) لجلال الدين عبد الرحمن بن أبـي بكـر السـيوطي ت (٩١١ هــ) دار المعرفـة، بـيروت، ط٢، ١٣٩٥ هـ.

٢٩٥- (لباب النقول في أسباب النزول): لجلال الدين السـيوطي ت (٩١١ هـ)، دار إحياء العلوم، ط١، ١٩٧٨ م.

٢٩٦- (اللباب في تهذيـب الأسمـاء): لعلـي بـن محمـد بـن الأثير الجزري ت (٦٣٠ هـ) مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٧ هـ.

٢٩٧- (لسان العرب): لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بـن منظور، ت (٧١١ هـ) دار صادر، بيروت، ١٣٨٨ هـ.

أخرى: قدم له الشيخ عبد الله العلايلي، ورغده يوسـف خيـاط، دار لسان العرب بيروت.

٢٩٨- (لسان الميزان): لأحمد بــن علـي بـن حجـر العسـقلاني، ت

(٨٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت.

٢٩٩- (لطائف الإشارات): لعبد الكريم بن هوازن القسطلاني، ت (٤٦٥ هـ) تحقيق: إبراهيم البسيوني، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٧٠م.

٣٠٠- (لفتة الكبد): لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٣٠١- (مباحث في إعجاز القرآن) للدكتور مصطفى مسلم محمد، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٣٠٢- (مباحث في علوم القرآن): للشيخ مناع خليل القطان، مكتبة المعارف، الرياض ط٣.

٣٠٣- (مباحث في علوم القرآن) للدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢.

٣٠٤- (المباني في نظم المعاني): لمؤلف مجهول، ضمن مقدمتان في علوم القرآن، تحقيق: آرثر جفري، مكتبة الخانجي، القاهرة. ١٣٩٢ هـ.

٣٠٥- (مجاز القرآن): لأبي عبيدة معمر بن المثنى ت (٢١٠ هـ)، تحقيق وتعليق محمد فؤاد سيزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٠١ هـ.

٣٠٦- (المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين): للحافظ محمد بن حبان (٣٥٤هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة.

٣٠٧- (مجلة لواء الإسلام) العدد الأول، مقال للأستاذ عبد الوهاب حموده.

٣٠٨- (مجلة المنار) المجلد العاشر، الجزء العاشر، شوال (١٣٢٥ هـ) مصر، مقال للأستاذ رفيق العظم، بعنوان: التدوين في الإسلام.

٣٠٩- (مجلة المنهل): المجلد السابع، ربيع الثاني، ١٣٦٦ هـ، مقال للأستاذ محمد بهجت البيطار، بعنوان: أمهات كتب التفسير القديمة والحديثة، ما لها وما عليها.

٣١٠- (مجلة المورد العراقية) العدد (٧)، المجلد (١٧) عام ١٤٠٥ هـ.

٣١١- (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد): نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت (٨٠٧هـ)، دار الكتاب، بيروت، لبنان.

٣١٢- (مجمل اللغة): لأبي الحسن أحمد بن فارس ت (٣٩٥ هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة ط٢، ١٤٠٦ هـ.

٣١٣- (المجموع شرح المهذب): لأبي زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، ت (٦٧٦ هـ) إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

٣١٤- (مجموع الفتاوى): لشيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٨ هـ)،

جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي، توزيع رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط١، ١٣٩٨ هـ.

٣١٥- (المحبر): لمحمد بن حبيب بن أمية البغدادي ت (٢٤٥هـ) اعتنت بتصحيحه الدكتورة: إيلزة ليتد شتيتر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ١٣١٦ هـ.

٣١٦- (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها): لعثمان بن جني، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرون، دار سزكين، ط٢، ١٤٠٦ هـ.

٣١٧- (المحكم في نقط المصاحف): لأبي عمرو الداني، تحقيق عزة حسن، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٧ هـ.

٣١٨- (المحلى): لابن حزم علي بن أحمد بن سعيد ت (٤٥٦ هـ) تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

٣١٩- (مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع) لأبي عبد الله الحسين بن خالويه، ت (٣٧٠ هـ) عني بنشره ج. برجستراسر، مكتبة المتنبي، القاهرة.

٣٢٠- (مختصر قيام الليل) لمحمد بن نصر المروزي ت (٢٩٤ هـ): اختصره أحمد بن علي المقريزي ت (٨٤٥هـ)، فيصل آباد، باكستان، ١٤٠٢ هـ.

٣٢١- (المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى نهاية القرن الرابع عشر): لعبد الله مرداد أبو الخير، اختصره محمد سعيد العمودي، وأحمد علي، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ١٣٩٨ هـ.

٣٢٢- (مدخل إلى الدراسات الإسلامية): الدكتور محمد بلتاجي، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٨٢ م.

٣٢٣- (المدخل لدراسة القرآن الكريم): لمحمد محمد أبو شهبة، دار اللواء، الرياض، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

٣٢٤- (مدخل إلى علوم القرآن والتفسير): الدكتور فاروق حماده، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط١، ١٣٩٩ هـ.

٣٢٥- (المدخل إلى علوم القرآن والعلوم الإسلامية): للدكتور محمد أمين فرشوخ، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠ م.

٣٢٦- (مدرسة التفسير في الأندلس): لمصطفى إبراهيم المشيني، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ.

٣٢٧- (المدونة الكبرى): للإمام مالك بن أنس، ت (١٧٩ هـ)، دار صادر، بيروت، ط١.

٣٢٨- (مذكرة الدراسات العليا): للشيخ: مناع خليل القطان.

٣٢٩- (مرآة الجنان وعبرة القظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان): لعبد اللّه بن أسعد اليافعي ت (٧٦٨ هـ)، مصورة عن طبعة حيدر آباد، ١٣٣٧ هـ.

٣٣٠- (مراتب النحويين): لأبي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع، القاهرة، ط٢، ١٣٩٤ هـ. ونسخة مصورة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٣٣١- (المرشد الوافي في علوم القرآن): للدكتور محمود بسيوني فودة، مطبعة الأمانة، القاهرة، ١٤٠٢ هـ.

٣٣٢- (المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز): لشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة ت (٦٦٥هـ)، تحقيق طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، ١٣٩٥ هـ.

٣٣٣- (مروج الذهب ومعادن الجوهر): لأبي المحاسن علي بن الحسين المسعودي، ت (٣٤٦هـ)، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ١٩٦٦ م.

٣٣٤- (المستدرك على الصحيحين): لأبي عبد اللّه الحاكم النيسابوري، ت (٤٠٥هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٣٣٥- (المسند): للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ت (٢٤١هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٣ هـ.

أخرى: تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط٤.

٣٣٦ -(المسند): لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي ت (٣٠٧ هـ) تحقيق وتخريج حسن سليم أسد، دار المأمون، دمشق، ط١، ١٤٠٤ هـ.

٣٣٧- (مسند الإمام أبي بكر الصديق): لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت (٩١١ هـ).

٣٣٨- (مسند أبي داود الطيالسي): للإمام سليمان بن داود بن الجارود الفارسي ت (٢٠٤ هـ)، مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر آباد، الدكن، ط١، ١٣٢١ هـ.

٣٣٩- (مشكاة المصابيح): لأبي عبد اللّه محمد بن عبد اللّه الخطيب التبريزي ت (بعد ٧٣٧ هـ)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٩ هـ.

٣٤٠- (مشكل الآثار): لأبي جعفر الطحاوي، ت (٣٢١ هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٣٣هـ.

٣٤١- (مصابيح السنة): للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ت (٥١٦هـ)، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، ومحمد سليم سمارة، وجمال حمدي الذهبي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٧ هـ.

٣٤٢- (المصاحف): لأبي بكر عبد اللّه بن أبي داود السجستاني، مؤسسة قرطبة للنشر.

أخرى: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.

٣٤٣- (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية): لناصر الدين الأسد، القاهرة، ١٩٥٦ م.

٣٤٤- (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور): لإبراهيم بن عمر البقاعي، ت (٨٨٥ هـ) تحقيق: عبد السميع حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٣٤٥- (المصباح المنير) للفيومي - مكتبة لبنان، ١٩٨٧.

٣٤٦- (المصنف): لابن أبي شيبة، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني، الدار السلفية، حامد بلنك بومبي، الهند، ط٢، ١٣٩٩ هـ.

٣٤٧- (المصنف): لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ت (٢١١ هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ.

٣٤٨- (المطول في شرح التلخيص): للتفتازاني، مكتبة الداوري، قم، إيران، ط١، ١٣٠٩ هـ.

أخرى: مع حاشية السيد شريف، تصحيح عثمان أفندي زاده، وأحمد رفعت، مطبعة أحمد كامل، ١٣٣٠ هـ.

٣٤٩- (المعارف): لابن قتيبة الدينوري ت (٢٧٦ هـ) تصحيح وتعليق: محمد إسماعيل الصاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،

ط٢، ١٣٩٠ هـ.

٣٥٠- (معالم السنن): لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي ت (٣٨٨ هـ) تصحيح محمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١ هـ.

أخرى: تحقيق: الدعاس والسيد، دار الحديث.

٣٥١- (معاني القرآن): لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ت (٢٠٧ هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣ هـ.

٣٥٢- (معاني القرآن وإعرابه): لأبي إسحاق إبراهيم بن الزجاج، شرح وتحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٣٥٣- (المعجزة الكبرى القرآن الكريم): للدكتور محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

٣٥٤- (معجم الأدباء): لياقوت الحموي، دار الفكر ط٣، ١٤١٠هـ.

٣٥٥- (المعجم الأوسط): سليمان بن أحمد الطبراني، ت (٣٦٠ هـ) تحقيق الدكتور محمود الطحان مكتبة المعارف، الرياض ط١، ١٤٠٧ هـ.

٣٥٦- (معجم البلدان): لأبي عبد اللّه ياقوت الحموي ت

(٦٢٦هـ) دار صادر، بيروت، ١٤٠٤ هـ.

٣٥٧- (معجم الدراسات القرآنية) الدكتورة ابتسام مرهون الصفار، جامعة بغداد، ١٩٨٤ م.

٣٥٨- (المعجم في أصحاب أبي علي الصفدي): لابن الأثير، مدريد، ١٨٨٥ م.

٣٥٩- (معجم قبائل العرب القديمة والحديثة): لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٥، ١٤٠٥ هـ.

٣٦٠- (المعجم الكبير): لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت (٣٦٠ هـ) تحقيق حمدي السلفي، مطبعة الزهراء الحديثة، العراق ط٢.

٣٦١- (معجم مصنفات القرآن الكريم): لعلي شواخ إسحاق، دار الرفاعي، الرياض ط١، ١٤٠٣ هـ.

٣٦٢- (معجم مقاييس اللغة): لأحمد بن فارس بن زكريا ت (٣٩٥ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، إسماعيليان نجفي، إيران، القم.

٣٦٣- (معجم المؤلفين الدمشقيين): عمر رضا كحالة، دار الكتب الجديدة.

٣٦٤- (المعرب): للجواليقي.

٣٦٥- (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار): لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ت (٧٤٨ هـ) حققه وعلق عليه بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١، ١٤٠٤ هـ.

٣٦٦- (المغازي): لمحمد بن عمر الواقدي ت (٢٠٧ هـ) تحقيق مارسون جونس، عالم الكتب بيروت، ط٣، ١٤٠٤ هـ.

٣٦٧- (المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار): لعبد الرحيم بن الحسين العراقي ت (٨٠٦ هـ) بهامش إحياء علوم الدين للغزالي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣٦٨- (المغني في الضعفاء): لمحمد بن أحمد الذهبي ت (٧٤٨ هـ) تحقيق وتعليق نور الدين عتر.

٣٦٩- (مفتاح السعادة ومصباح السيادة): لأحمد بن مصطفى طاش كبري زاده، مراجعة وتحقيق: كامل كامل البكري، وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة، مصر القاهرة.

٣٧٠- (مفتاح العلوم): ليوسف بن أبي بكر السكاكي، ت (٦٢٦ هـ)، المكتبة العلمية الجديدة، بيروت.

٣٧١- (المفردات في غريب القرآن): لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ت (٥٠٢ هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني،

دار المعرفة، بيروت.

٣٧٢- (المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم): لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، ت (٦٥٦هـ) نسخة مصورة بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، رقم ٣٠٢٩ ميكروفيلم.

٣٧٣- (المقاصد الحسنة): لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت (٩٠٢هـ)، تحقيق محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.

٣٧٤- (مقدمة في أصول التفسير): لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ت (٧٢٨ هـ)، تحقيق الدكتور عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الكويت، ط٢، ١٣٩٢ هـ.

٣٧٥- (مقدمات تفسير الأصفهاني) (أنوار الحقائق الربانية في تفسير اللطائف القرآنية): لمحمود بن عبد الرحمن الأصفهاني ت (٧٤٩ هـ) مخطوط، تركيا، استنبول، مكتبة كوبرلي.

٣٧٦- (مقدمتان في علوم القرآن) تصحيح آرثر جفري، عبد اللّه إسماعيل القاريء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٢ هـ.

٣٧٧- (المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد): للإبراهيم بن محمد بن عبد اللّه بن مفلح، ت (٨٨٤ هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠ هـ.

٣٧٨- (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار): لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

٣٧٩- (المكتفى في الوقف والابتداء): لأبي عمر عثمان بن سعيد الداني، ت (٤٤٤هـ)، تحقيق يوسف المرعشلي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧ هـ.

٣٨٠- (منادمة الأطلال ومسامرة الخيال): لعبد القادر بدران ت (١٣٤٦ هـ)، دمشق ١٩٦٠ م.

٣٨١- (مناقب الإمام الشافعي): لفخر الدين الرازي ت (٦٠٦ هـ) تحقيق أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٣٨٢- (مناهل العرفان في علوم القرآن): محمد عبد العزيز الزرقاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٨٣- (مناهج البحوث وكتابتها: للدكتور يوسف مصطفى القاضي، دار المريخ، الرياض، ١٣٩٩ هـ.

٣٨٤- (المنتظم في تاريخ الأمم والملوك): أبي الفرج ابن الجوزي ت(٥٩٧هـ) دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند.

٣٨٥- (من الجامع لأحكام القرآن للقرطبي): اختيار وتعليق وتقديم الدكتور محمد أديب الصالح، المكتب الإسلامي ، ١٣٩٥ هـ.

٣٨٦- (منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز): لمحمد الأمين بن محمد الشنقيطي، ملحق بالجزء العاشر من تفسير أضواء البيان، للمصنف.

٣٨٧- (المنهاج في شعب الإيمان): لأبي عبد اللّه الحسن بن الحسن الحليمي ت (٤٠٣ هـ)، مخطوط مصورة عن نسخة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

أخرى: تحقيق حلمي أحمد فودة، دار الفكر، بيروت ط١، ١٣٩٩ هـ.

٣٨٨- (منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم): للدكتور عبد الوهاب فايد، الرئاسة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٣ هـ.

٣٨٩- (موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان): للإمام أبي بكر الهيثمي، ت (٨٠٧ هـ)، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة، دار الكتب العلمية.

٣٩٠- (موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية) المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون، للشيخ المولوي محمد علي التهانوي، بيروت، شركة خياط للكتب والنشر.

٣٩١- (موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف): لمحمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ.

٣٩٢- (الموضوعات): لأبي الفرج ابن الجوزي ت (٥٩٧ هـ)، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ.

٣٩٣- (الموطأ): للإمام مالك بن أنس، رواية يحيى الليثي، شرح وتعليق: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٣٩٠ هـ.

٣٩٤- (المهذب فيما وقع بغير لغة العرب من المعرب): لجلال الدين السيوطي ت (٩١١ هـ) تحقيق التهامي الراجحي، صندوق إحياء التراث الإسلامي، الدار البيضاء.

٣٩٥- (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت (٧٤٨هـ) تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٩٦- (الناسخ والمنسوخ): لأبي جعفر النحاس، ت (٣٣٨ هـ) تحقيق الدكتور سليمان بن إبراهيم اللاحم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ.

أخرى: تحقيق محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٩٧- (النبأ العظيم): لمحمد بن عبد الله دراز، الكويت، دار القلم، ط٣، ١٤٠٦هـ.

٣٩٨- (نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان): للدكتور محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٦ هـ.

٤٩٩- (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة): لأبي المحاسن بن

تغري بردي ت (٨٧٤هـ) دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٨ هـ.

٤٠٠- (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر): لعبد الحي الحسيني، حيدر آباد.

٤٠١- (نزول القرآن على سبعة أحرف) للشيخ مناع خليل قطان، مكتبة وهبة، القاهرة ط١، ١٤١١ هـ.

٤٠٢- (النسخ في القرآن الكريم): للدكتور مصطفى زيد، دار الوفاء، مصر ١٤٠٨.

٤٠٣- (نسيم الرياض شرح شفا القاضي عياض): لشهاب الدين الخفاجي المصري، المطبعة الأزهرية، ط١، ١٣٢٦ هـ.

٤٠٤- (نشر البنود في مراقي السعود): لعبد اللّه بن إبراهيم الشنقيطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٤٠٥- (النشر في القراءات العشر): لمحمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري ت (٨٣٣ هـ) تصحيح ومراجعة: علي محمد الصباغ، دار الفكر، بيروت.

٤٠٦- (نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية) للزيلعي.

٤٠٧- (نفح الطيب عن غصن أندلس الرطيب): لمحمد بن عبد الكريم المقري ت (١٠٤١ هـ) تحقيق يوسف محمد البقاعي، دار الفكر،

بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ.

أخرى: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

٤٠٨- (نكت الانتصار لنقل القرآن): لأبي بكر الباقلاني ت (٤٠٣ هـ) تحقيق الدكتور: محمد زغلول سلام، منشأ المعارف، الإسكندرية.

٤٠٩- (نهاية الأرب في فنون الأدب): لأحمد بن عبد الوهاب النويري ت (٧٣٣هـ)، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٤١٠- (نهاية البيان): لابن المعافى، مخطوط، مكتبة السليمانية، استنبول.

٤١١- (النهاية في غريب الحديث) لابن الأثير ت (٦٠٦ هـ)، تحقيق محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية.

٤١٢- (نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول): لمحمد بن علي بن الحسن، الحكيم الترمذي ت (٣٢٠هـ)، بيروت، دار صادر.

٤١٣- (نوادر المخطوطات): لرمضان ششن.

٤١٤- (نواسخ القرآن): لأبي الفرج بن الجوزي ت (٥٩٧ هـ)، تحقيق ودراسة: محمد أشرف علي، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٤هـ.

٤١٥- (نيل الابتهاج بتطريز الديباج): لأحمد بابا التنبكتي، على هامش الديباج المذهب، مطبعة شقرون، مصر، ط١، ١٣٥١ هـ.

٤١٦- (هدي الساري مقدمة فتح الباري): لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت (٨٥٢ هـ)، تحقيق عبد العزيز بن باز، ومحب الدين الخطيب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٤١٧- (هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين): لإسماعيل باشا البغدادي ت (١٣٣٩ هـ) دار الفكر، ١٤٠٢ هـ.

٤١٨- (الواحدي ومنهجه في التفسير): لجودة محمد المهدي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٨ م.

٤١٩- (الوثائق السياسية): لمحمد حميد الله.

٤٢٠- (الوسيط بين المقبوض والبسيط): لأبي الحسن علي بن الواحدي، تحقيق وتعليق مجموعة من الباحثين، تقديم الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٥ هـ.

٤٢١- (الوافي بالوفيات): صلاح الدين الصفدي ت (٧٦٤ هـ) اعتناء جماعة من العلماء والمستشرقين، الناشر: فرانز شتاينز بفيسبان، ١٣٨١هـ.

٤٢٢- (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان): لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان ت (٦٨١ هـ) تحقيق إحسان عباس، دار صادر.

أخرى: دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨ م.

٤٢٣- (اليونسكو في تعليم العلوم): نشر المنظمة العالمية يونسكو.

المحتويات